الكتاب الأكثر مبيعاً في أوساط المعلّمين والمربين والمتخصصين في علم النفس التربوي



سو كولي

تأديب الأولاد المشاغبين

- لماذا يُشاغب الأولاد؟
- ما الذي يمكنني فعله إزاء ذلك؟
- وما الذي ينبغي ألا أفعله إزاء ذلك؟







تأديب الأولاد المشاغبين

مكتبة الحبر الإلكتروني
مكتبة العرب الحصرية

تأليف
سو كولي

ترجمة
زينة إدريس



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION



يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

GETTING THE BUGGERS TO BEHAVE

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

Continuum International Publishing Group

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى

1429 هـ – 2008 م

ISBN: 978-614-421-352-0



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص. ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

لتنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت – هاتف 786233 (9611+)

المحتويات

ملاحظة المؤلف، الطبعة الثالثة
مقدّمة
...القسم الأوّل في البداية
أسِّس ضبط السلوك – 1
اللقاء الأوّل – 2
الاستراتيجيات والتقنيّات الأساسيّة – 3
القسم الثاني المعلّم ومهنة التعليم
المعلّم الناجح – 4
أساليب التعليم – 5
المكافأة والعقاب – 6
تعليم السلوك الحسن – 7
القسم الثالث التلاميذ
لمَ يسئ التلاميذ التصرّف – 8
أنواع التلاميذ – 9
رأي التلاميذ – 10
القسم الرابع البيئة المدرسيّة
غرفة الصفّ – 11
المدرسة – 12
ضبط السلوك في المرحلة الابتدائيّة – 13
ضبط السلوك في المدرسة الثانوية – 14
...القسم الخامس على سبيل المثال
المشاكل السلوكية البسيطة – 15
المشاكل السلوكية الخطيرة – 16
...القسم السادس حين تتأزّم الأمور
حل المواجهات – 17
السيطرة على التوتّر – 18

ملاحظة المؤلّف، الطبعة الثالثة

أقابل من خلال عملي عدداً كبيراً من المعلّمين وغيرهم من العاملين في المدارس. وعلى مرّ السنوات، تلقّيت كثيراً من الأفكار العظيمة عن كيفية ضبط سلوك التلاميذ. وقد ضمّنت كثيراً من هذه الأفكار في هذه الطبعة الجديدة، وأوجّه بالتالي شكراً كبيراً لكلّ من استعملت اقتراحاته. ولا بدّ من التذكير – لا سيّما من كان جديداً في حقل التدريس – بأنّه ما من تركيبة سحريّة حين يتعلّق الأمر بالتعامل مع سوءِ السلوك. (وحتّى لو كانت ثمّة تركيبة سحريّة، لافتقرَت حياة المعلّم إلى تلك الشرارة التي تجعل مهنته ممتعة ومثيرة للتحدّي). بيد أنّنا نملك مجموعة كبيرة ومنوّعة من الاستراتيجيات والتقنيات والمقاربات. وهذا ما ستجده في هذا الكتاب.

كثيراً ما فكّرت مؤخّراً بالأيام التي قضيتها في المدرسة. كانت لديّ أوقات سعيدة وبعض المعلّمين الجيّدين. ولكنّ الذكريات السلبيّة هي التي علقت فعلاً في ذهني. مشاعر كالملل والتوتّر والذلّ وحتّى الرعب. وكلّ من يعود بذكرياته إلى تلك الأيّام الجميلة – حين كان التلاميذ ينفّذون ما يؤمرون به من دون نقاش – يجب ألاّ ينسى جوّ الخوف الذي غالباً ما كان يسود في تلك الفترة. ويجب على كلّ من يعمل مع الأولاد ألاّ يسيء تقدير التأثير الذي يتركه المعلّمون على التلاميذ، سواء أكان إيجابيّاً أم سلبيّاً.

قال لي أحد المعلّمين مؤخّراً إنّ التلاميذ يسيئون التصرّف لسببين عموماً: إمّا لشعورهم بالضجر أو لأنّهم لا يفهمون. ومع أنّ في هذا القول تبسيطاً واضحاً للمسألة، إلاّ أنّه يلخّص مجالين يملك المعلّم سيطرة مباشرة عليهما. إذ يمكننا بالتأكيد جعل عمليّة التدريس أكثر إمتاعاً عبر إعادة المرح إلى جوّ الصفّ، وجعل التعليم تجربة مثيرة وممتعة بالنسبة إلى الأولاد. كما يمكننا أن نضمن بأن تكون المعلومات التي ننقلها مفهومة وبمتناول جميع تلاميذ الصفّ. نحن لا نستطيع إجبار الأولاد على تغيير سلوكهم (مع أنّنا نستطيع تشجيعهم بالطبع على اتّخاذ قرارات أفضل مع الوقت). ولكنّنا نستطيع تغيير سلوكنا بحيث تكون حياتنا وحياتهم أسهل وأفضل. إنني أرجو أن يساعدك هذا الكتاب على تغيير سلوكك كمعلّم نحو الأفضل.

في الواقع، لقد عملت في عدد من المدارس المختلفة، ومن الغريب أنّ ما ينجح في محيط معيّن قد لا يعطي نتيجة في محيط آخر. بالتالي، أرجو أن تعدّل النصائح التي تجدها في هذا الكتاب بحيث تتناسب مع الأولاد الذين تعمل معهم. حاول أن تثق بغرائزك وأن تواصل عمليّة التعلّم؛ لا تتوقّف عن تطوير مهنتك الخاصّة. وحين تمرّ بلحظات صعبة، لا تنسَ أبداً بأنّك تمارس عملاً في غاية الأهميّة، قد تحدِث من خلاله تغييراً حقيقيّاً في حياة الأشخاص.

سو كولي
www.suecowley.co.uk

مقدّمة

حين تعرف كيف تتعامل مع سوء السلوك، تصبح حياتك سهلة، وتجد نفسك حرّاً للقيام بوظيفتك، ألاّ وهي التدريس. في صفّ منضبط، يعتبر التدريس من أروع المهن في العالم. فكلّ يوم يقدّم لك تجربة جديدة ومختلفة: فرصة رؤية التلاميذ وهم يكتشفون مفاهيم جديدة ويتعلّمون أشياء لم يعرفوها من قبل، فرصة صنع اختلاف حقيقي في حياة التلاميذ. وكما يقال: لا أحد ينسى المعلّم الجيّد، ولكن ماذا يعني *المعلّم الجيّد* بالضبط؟

من أبرز مميّزات المعلّم الجيّد القدرة على التعامل مع سلوك التلاميذ، لكي يساعدهم على التعلّم. وينطبق ذلك بشكل خاصّ على المدارس التي تعاني من كثير من المشاكل السلوكية. ويمكننا تحفيز تلك القدرة الأساسية على التعلّم إن نجحنا أوّلاً في دفع الأولاد على التركيز والانضباط الذاتي والالتزام بحسن السلوك! فكلّ تلميذ في جميع المدارس يستحقّ أفضل تعليم يمكننا تقديمه له، وعلينا إيجاد طريقة لتحقيق ذلك. بعض المدارس وبعض التلاميذ يثبتون بأنّهم تحدّ حقيقي لأيّ معلّم. حتّى في المدارس التي لا تعاني من سوء التصرّف على نحو خطير، ثمّة أوقات يشعر فيها المعلّم بأنّه يفقد السيطرة على صفّه. ومن شأن هذا الكتاب أن يساعدك من خلال كثير من الأفكار العمليّة التي يمكنك تجربتها في صفّك، لكي تضبط تلاميذك المشاكسين.

يستخدم المعلّمون مجموعة منوّعة من المهارات في عملهم اليومي. فالمعلّم بحاجة لأن يكون متخصّصاً في المجال الذي يدرّسه كما يتوجّب عليه أن يضبط عدداً كبيراً من الأولاد. في الواقع، يتعلّم المعلّمون كيفيّة القيام بذلك خلال وجودهم في الصفّ، ومع مرور الوقت، يتكوّن لديهم عدد كبير من الأفكار والتجارب التي يستخدمونها لمساعدتهم. ومع أنّ هناك معلّمين يملكون موهبة طبيعيّة في التعامل مع التلاميذ ويتمتّعون بقدرة فطريّة على ضبط الصفّ، إلاّ أنّه من الممكن أيضاً تعلّم كيفيّة تحسين هذه المهارات وزيادتها، وهذا ما يهدف إليه هذا الكتاب بالضبط.

إنّه كتاب عمليّ، مبسّط وتسهل قراءته. فهو لا يشتمل على نظريّات أكاديميّة، بل على عدد كبير من الإرشادات والنصائح والأمثلة لأظهر كيف يمكن للأفكار التي أقدّمها أن تنجح عمليّاً. ومع أنّ الكتاب موجّه للمعلّمين، إلاّ أنّك قد تجده مفيداً إن كنت تعمل في إطار تربوي آخر، كمساعد في صفّ أو أمين مكتبة مدرسة أو مشرف في فترة الغداء، وما إلى ذلك.

لا شكّ أنّ المعلّمين يشعرون اليوم بالإجهاد الناتج عن عوامل كثيرة، منها سوء التصرّف وكثرة العمل وقلّة منزلته مقارنة بمهن أخرى. لذا، ضمّنت الكتاب بعض الوسائل التي تساعد على تخفيف الإجهاد. لهذا السبب، يتوجّه الكتاب للمعلّم أكثر من التلميذ. وما أسعى إليه في الواقع هو مساعدتك كمعلّم في عملك اليومي الصعب لكي تستمتع بالمهنة الرائعة التي اخترتها.

والنصائح التي يشتمل عليها هذا الكتاب مبسّطة ويسهل تطبيقها. فمع التقارير التي يجب تقديمها والدروس التي يجب إعدادها، من منّا قادر على الغوص في النظريّات؟ عوضاً عن ذلك، ثمّة عدد كبير من المعلومات عن أسس التعامل مع سوء التصرّف، فضلاً عن كثير من الإرشادات لضبط الصفّ، وأفكار عن التعامل مع النواحي الفيزيائيّة لبيئة الصفّ. ترتكز هذه الأفكار والنصائح على ملاحظات من الحسّ العامّ واستراتيجيّات استخدمتها وأعطت نتيجة معي. أرجو أن تجد في الكتاب مرجعاً في عملك اليومي كمعلّم تستمدّ منه أفكاراً عند الحاجة أو تجد استراتيجيات بديلة للتعامل مع تلاميذك.

أتمنّى أن يساعدك الكتاب على جعل تلاميذك يحسنون التصرّف. ولو نجحنا في ذلك جزئيّاً، لن نتمكّن من تحسين تربية أولادنا فحسب، بل سنبرع أيضاً في العمل الذي نحبّه.

القسم الأوّل

في البداية...

1 - أسّس ضبط السلوك

ما هي الأسس؟

في هذا الفصل، سوف نلقي نظرة على الأسس التي تشكّل القواعد الأساسية لضبط السلوك. إنّها التقنيات الجوهرية التي يجب أن تصبح حدسية إن كنت ترغب بأن يشجّع أسلوبك التعليمي دوماً على السلوك الحسن. أمّا معظم ما يلي ذلك فهو من قبيل الحسّ العام، ويقوم على إنتاج علاقة جيدة مع التلاميذ. ولكن من السهل جدّاً أن تغيب هذه المقاربات البديهية عن ذهن المعلّم حين يجد نفسه أمام ثلاثين متمرّداً صغيراً.

إن كنت معلّماً متمرّساً، فأنت تستعمل على الأرجح هذه الاستراتيجيات على نحو آلي بحيث أصبحت جزءاً لا واعياً من أسلوبك التعليمي. أمّا إن كنت تواجه بعض المشاكل (ربّما في مدرسة جديدة أو مع صفّ مشاغب على نحو خاصّ)، فقد ترغب بإلقاء نظرة على الأفكار المطروحة أدناه لمعرفة ما إذا كان ثمّة خطب بالفعل.

إن كنت معلّماً متدرّباً أو جديداً في المهنة، ستعطيك الأسس ركيزة جيدة لتبدأ منها سعيك لكي تصبح معلّماً عظيماً. وآمل أن أتمكّن من إظهار كيفية تطبيق نظرية ضبط السلوك التي تعلّمتَها أثناء الدراسة على أرض الواقع. وتنطلق هذه الأسس من أفكار جمعتها من تجاربي الشخصية في التدريس ومن مراقبتي لمعلّمين آخرين في عملهم، وهي:

كن واضحاً "أنا أعرف ماذا أريد".

كن مدركاً "أنا أعرف ماذا سيحدث إن حصلت/لم أحصل على ما أريد".

كن هادئاً وثابتاً على مبادئك "أنا مهذّب وعادل تجاهكم دوماً".

أعطهم نظاماً "أنا أعرف أين نتّجه".

كن إيجابيّاً "أنتم تبلون بلاءً حسناً".

كن مهتمّاً "أنتم لستم تلاميذاً فحسب، بل أنتم أناس أيضاً".

كن مرناً "أعرفُ متى ألين لكي لا أنكسر".

كن مثابراً "أرفضُ الاستسلام".

كن واضحاً

"أنا أعرف ماذا أريد".

أن نكون واضحين في طريقة تعليمنا يعني معرفة ما نتوقعه من تلاميذنا. إذ يبدو بأن التلاميذ يكشفون غريزياً هشاشة وتردُّدَ معلّميهم، شأنهم في ذلك شأن الحيوانات المفترسة التي تستشعر ضعف طريدتها. وإدراك المعلّم لما يريده بالضبط، يتيح له نشر جوٍّ من الثقة في الصفّ. عليك

معرفة ما تريده تماماً من تلاميذك من اللحظة الأولى التي تدخل فيها إلى الصفّ، فلا تتيح لهم مجالاً للنقاش أو تعطيهم فرصة لتجاوز حدودهم. وإذا أساءوا التصرّف فيجب معالجة هذا بمستوى مناسب من الدهشة والاستغراب. أمن الممكن أن يكون انطباعك عن كونهم أولاداً منضبطين للغاية ويتمتّعون بقدرات هائلة هو انطباعاً خاطئاً؟

حالما تحدد ما تريده في صفّك، احرص على إطلاع تلاميذك عليه. عندها فقط يمكنهم محاولة فعل ما تريده منهم. كذلك احرص على أخذ قراراتك قبل إعطاء درسك الأول لتجنب أي شكٍّ من قبلك (فهذا أحد الأسباب التي تجعل ضبط السلوك أسهل مع الخبرة، إذ تكون قد اتخذت هذه القرارات المهمة في السنوات السابقة).

حين تبدأ بالتدريس للمرة الأولى، قد تميل إلى تأدية دور الصديق عوضاً عن دور صاحب السُّلطة لاعتقادك بأنه من غير العادل إصدار الأوامر للتلاميذ. غير أنّ صغار السِّن يحتاجون في الواقع إلى الشعور بثقة البالغين في حياتهم. فهم يريدونهم أن يرسموا ويعزّزوا الحدود التي تعطيهم الشعور بالأمان. وهذا ما يحدث تحديداً مع التلاميذ الذين يصعب التعامل معهم، والذين يفتقدون إلى التماسك في حياتهم المنزلية، فيضعون كل البالغين الذين يلتقون بهم تحت المجهر لكي يرصدوا ردّات أفعالهم.

بالطبع في بعض الحالات، وعلى الرغم من جهودك، يرفض التلاميذ الاستجابة لتوقعاتك مما قد يدفعك إلى الاستسلام وقول: "حسناً. مهما يكن". والسماح للتلاميذ بالتصرف على هواهم. لكنّ حفاظك على مستوى التعليم ورفضك التخلي عن توقعاتك هما مفتاح النجاح كمعلّم على المدى البعيد.

إذاً، ما الذي يجب أن تكون واضحاً فيه بالضبط؟ إنّ سياسة مدرستك السلوكية ستعطيك التوّجه العامّ بخصوص التصرفات غير المقبولة: كمضغ العلكة، استعمال الهاتف النقّال، إطلاق الشتائم، الأماكن التي يمنع التواجد فيها. كما يجب أن تعطيك قواعد التصرف أو بعض أنظمة الصّف التي يمكن استعمالها لتحديد التصرفات المقبولة. أمَّا توقعاتي الشخصية الثلاثة فهي:

- "أتوقّع أن تكونوا هادئين تماماً عندما أتكلم أو عندما يتوجه أحدهم بالحديث إلى الصف". إن تحقيق هذا التوقع أمرٌ أساسيٌ جدّاً في عملنا كمدرسين.
- "أتوقّع منكم الاحترام في كلّ الأوقات". هذه طريقة مفيدة لتحديد طريقة تعامل تلاميذك معك، ومع بعضهم بعضاً، ومع نفسهم ومع محيطهم.
- "أتوقّع أن تعطوا أفضل ما لديكم". هذا يعطي توقعاً عن العمل الجادّ، آخذاً بعين الاعتبار قدرات التلاميذ المختلفة.

بالإضافة إلى ذلك، من المفيد أن تكون محدّداً حول جميع أوجه السلوك في حصصك. فإن لم تعطِهم تفاصيل دقيقة عمّا تريده، سيكون على الأولاد اكتشافه بأنفسهم (ربّما عبر الفوضى إلى أن تحدّد ما تريده بالضبط). في ما يلي بعض الأسئلة التي قد ترغب بالاطّلاع عليها، والتي تغطّي مجموعة من المسائل السلوكية في الصفّ. وكما سيتبيّن لك، ثمّة مجموعة واسعة ومنوّعة يمكن الاختبار منها، وفقاً لما تفضّله ولنوع المدرسة التي تعمل فيها.

1. كيف يجب أن يدخل التلاميذ إلى الصف؟ هل عليهم مثلاً:
- الاصطفاف بهدوء في الخارج إلى حين وصول المعلّم؟
- التجمع بهدوءٍ في الخارج وانتظار المعلّم ليدعوهم إلى الدخول؟
- الدخول إلى الصف بمجرد وصولهم إذا كان المعلّم في الصفّ؟

2. ماذا يفعل التلاميذ عندما يصبحون داخل غرفة الصف؟ هل:
- يذهبون ليقفوا خلف مقاعدهم منتظرين الإشارة لهم بالجلوس؟
- يجلسون وينتظرون بصمت تأكد المعلّم من الحضور، من دون أن يحضروا أغراضهم؟
- يجلسون ويحضرون أغراضهم منتظرين بدء الدرس؟
- في صفوف الحضانة والصفوف التمهيدية، هل يأخذون كتاباً ويجلسون على الأرض مكتوفي الأيدي؟
- يحضرون كل ما يلزمهم ويبدأون بالعمل مباشرة؟

3. كيف سيبدأ الدرس؟
- بتسجيل الحضور؟
- بجمع الفروض المنزليّة؟
- من خلال تمرين تمهيديّ مكتوب على اللوح أو على ورقةٍ أمامهم؟
- بتلخيص الدرس السابق؟
- بشرح أهداف الدرس الجديد؟

4. كيف سيقومون بعملهم؟
- بصمت تام طيلة الوقت؟
- بمحادثة هادئة مع الشخص الجالس قربهم؟
- بالتحدّث إن كان العمل يشتمل على مناقشة؟
- بالتكلم كما يريدون من دون قيود؟
- بصمت لبعض الوقت ومن ثم يأخذون استراحة للتحدّث؟

5. كيف ستنتهي الحصّة؟

- بصرف التلاميذ في مجموعات؟
- بوقوفهم خلف مقاعدهم انتظاراً لصرفهم؟
- بخروج التلاميذ عند قرع الجرس؟

كن مدركاً

"أنا أعرف ماذا سيحدث إن حصلت/لم أحصل على ما أريد".

في معظم – أو على الأقلّ بعض – الأحيان، سيرضي تلاميذك توقّعاتك. وحين يحدث ذلك، لا تكتفي بإطلاق تنهيدة راحة صامتة وتطمئنّ بأنّ هذا الأمر سيستمرّ، بل عبّر عن رضاك علناً وكافئهم على حسن سلوكهم لتضمن استمراره. ومن أفضل المكافآت، التي تدفع التلاميذ على احترام المعلّم، هو الثناء المفصّل والمحدّد والسخيّ. (هذا رائع أيّها التلاميذ، كلٌّ منكم كان يصغي جيّداً اليوم. أنا مسرور منكم جميعاً).

بالطبع، عليك أن تعرف ما يجب فعله حين تسوء الأمور، وهذا ما سيحدث حتماً في بعض الأحيان. فحين يواجه المعلّمون معدّلاً منخفضاً من سوء السلوك، تكون ردّات أفعالهم الغريزية هي اللجوء إلى القصاص مباشرة. درّب نفسك عوضاً عن ذلك على البحث عن الأشياء الجيّدة وأبرِز أمثلة السلوك الحسن. (هذا ممتاز يا طارق، أنت تنتظر بدء الدرس بصمت. لا شكّ بأنّك تريد أخذ الاستراحة في وقتها).

مع ذلك، من البديهي أن يكون القصاص ضروريّاً في بعض الأحيان، حين يستدعي سوء السلوك عقاباً فوريّاً. في هذه الحالات، عليك أن تدرك تماماً الخيارات المتوفّرة لديك. يجب أن تكون أنت وتلاميذك على السواء مدركين للأمر التالي: السلوك *كذا* سيؤدّي إلى القصاص *كذا* في كلّ مرّة. فكما هو الأمر بالنسبة إلى توقّعاتك، من الأهميّة بمكان أن تشرح للتلاميذ العلاقة الدقيقة بين سوء التصرّف والعقوبة التي سيتلقّونها إن استمرّوا به. فبهذه الطريقة، تضع الخيار بين أيديهم: إن فهموا القواعد والعقوبات، فإنّ احترامها أو عدمه يعود إليهم.

وإن حاول أحد التلاميذ تحدّي توقّعاتك، حاول اتّخاذ الخطوات التالية:

- كن *محدّداً* حيال ما تريده والتزم بطلباتك.
- حافظ على هدوئك وتهذيبك أثناء المواجهة.
- عبّر عن توقّعاتك بوضوح.
- وضّح سوء التفاهم إن وُجد.
- اشرح كيف أنّ سلوك التلميذ لا يرضي توقّعاتك.
- اشرح ما سيحدث إن استمرّ التلميذ بتحدّيك.

- ارفض الابتعاد عن النقطة الأساسيّة (حين يحاول أحد الأولاد مثلاً إلقاء اللوم على زميله).
- لا تجعل القصاص يبدو شخصيّاً، بل وضّح بأنّ التلميذ يجبرك على معاقبته وأنّ موقفك منه ليس شخصيّاً.
- حاول أن تبدو حزيناً أو خائب الأمل بسبب اضطرارك إلى فرض العقاب (فقد كنت تتوقّع أنّ التلميذ قادر على التصرّف أفضل من ذلك بكثير).
- نفّذ العقاب عند الضرورة.
- عند الإمكان، أعطِ التلميذ فرصة تغيير موقفه عبر توفير مخرج.

إليك مثال على ذلك.

يصل جهاد إلى صفّ الدراما ويدخل من دون خلع حذائه. وكانت المعلّمة قد سبق ووضعت قاعدة تنصّ على خلع الأحذية قبل دخول الغرفة.

المعلّمة: جهاد، اخرج مجدّداً من فضلك، واخلع حذاءك.

جهاد: لا أستطيع، يا آنسة.

المعلّمة: لدينا قاعدة في صفّ الدراما تنصّ على خلع الأحذية.

جهاد: ولكنّني لويت كاحلي. أنا حقّاً عاجز عن خلعه.

المعلّمة: هل لديك تقرير بخصوص كاحلك؟

جهاد: كلاّ.

المعلّمة: إذاً اخرج مجدّداً لو سمحت واخلع حذاءك.

جهاد: كلاّ، لن أفعل.

المعلّمة: جهاد، أخشى أنّك لو لم تخلع حذاءك ستجبرني على حجزك.

جهاد: هذا غير عادل.

المعلّمة: جهاد، اخرج مجدّداً واخلع حذاءك وعندها لن أضطرّ لحجزك.

جهاد: كلا، لن أخلع حذائي.

المعلّمة: إذاً، أخشى أنّك تجبرني على احتجازك لخمس دقائق بعد انتهاء الحصّة.

جهاد: آه، أرجوك لا تفعلي، يا آنسة.

المعلّمة: أتعرف ماذا؟ اخرج واخلع حذاءك الآن فوراً، وأحسن التصرّف خلال الحصّة، وسأتمكّن على الأرجح من نسيان أمر ذاك الحجز. حسناً؟

جهاد: حسناً إذاً.

لنظهر الآن كيف كانت المواجهة لتحدث لو أنّ المعلّمة خالفت التعليمات. فلنعد عرض المشهد...

المعلّمة: جهاد، اخرج مجدّداً واخلع حذاءك.

جهاد: لا أستطيع، يا آنسة.

المعلّمة: ماذا تعني، لا أستطيع؟ بالطبع تستطيع.

جهاد: ولكنّني لويت كاحلي. أنا حقّاً عاجز عن خلعه.

المعلّمة: لا تكن أحمق.

جهاد: لا تنعتيني بالأحمق.

المعلّمة: اسمع، اخرج واخلع حذاءك. الآن!

جهاد: كلاّ، لن أفعل.

المعلّمة: إذاً أنت محتجز معي بعد المدرسة.

جهاد: هذا غير عادل. لن أحضر. افعلي ما يحلو لك!

كن هادئاً وثابتاً على مبادئك

"أنا مهذّب وعادل تجاهكم دوماً".

جميعنا يرحّب بالهدوء والثبات، فنحن نحبّ أن نعرف ماذا نتوقّع من الناس في حياتنا، ويزعجنا أن نحصل على ردّة فعل غير متوقّعة. وبالنسبة إلى بعض التلاميذ السيّئي السلوك، تلك هي المشكلة التي يواجهونها في منزلهم؛ فهم لا يعرفون ما ستكون ردّة الفعل على تصرّفهم (الحسن أو السيئ). وواجبنا المهنيّ يحتّم علينا أن نكون نموذجاً للسلوك وردّات الفعل التي تتّسم بالهدوء والثبات والاحترام.

في الواقع، ليس من السهل على المعلّم أن يكون عادلاً ومهذّباً طيلة الوقت؛ فالحفاظ على الهدوء أمام سوء التصرّف أمر في غاية الصعوبة. هذا بسبب استجابة المواجهة أو الهرب. إذ يهاجم التلميذ أو الصفّ المعلّم من خلال الفوضى. فيشعر المعلّم بدفعة من الأدرينالين التي تجتاح جسده وتحثّه على القتال. وإلاّ، يودّ المعلّم الهرب من هذا الوضع. بالطبع، أيّ من هذين الحلّين ليس خياراً بالنسبة إلينا؛ لا يمكننا ردّ الهجوم ولا الهرب.

على الرغم من صعوبة ذلك، إلاّ أنّك لو حافظت على هدوئك وثباتك دائماً، سيقلّ احتمال المواجهات الجديّة. كما أنّك ستتجنّب التوتّر غير الضروري. وتنصّ القاعدة الذهبيّة على التعامل مع الأولاد كما كنت لتتعامل مع شخص راشد، لو كنت تعمل في مكتب مثلاً، مهما كان تصرّفه سيّئاً تجاهك.

فالأولاد حسّاسون جدّاً تجاه فكرة العدل. وغالباً ما يتذمّر التلاميذ لكونهم يعاملون بشكل مختلف على نحو ظالم، وأنّهم ما إن يسيئوا التصرّف مرّة حتّى يصبحوا هدفاً للقصاص مرّة تلو المرّة. ولو أردنا أن نكون صادقين، من الطبيعي أن نحبّ تلاميذاً معيّنين أكثر من غيرهم. ولكنّ السرّ بالطبع يكمن في معاملة جميع التلاميذ على أساس المساواة على الرغم من مشاعرنا الشخصية تجاههم.

في المدرسة الثانوية، يعتبر الثبات قاعدة أساسية بالنسبة إلى كبار المعلّمين والإداريّين، وهذا صحيح. فحين يطبّق كافّة الموظّفين الأنظمة والمكافآت والعقوبات التي تنصّ عليها المدرسة، على نحو ثابت جدّاً، يجد التلاميذ أنفسهم أمام مجموعة واحدة من المعايير. ولكن، إن كان السلوك كذا مسموحاً مع أحد المعلّمين وممنوعاً مع آخر، سيشعر التلاميذ بالإرباك حيال الحدود التي يجب عليهم احترامها. بالطبع، من الطبيعي أن يلين المعلّم أحياناً ويكيّف الأنظمة بما يناسب أسلوبه أو الحالات التي يواجهها. ولكن لا تنسَ بأنّ الثبات هو في الواقع أكثر الطرق عدالة بالنسبة إلى تلاميذك.

أعطهم نظاماً

"أنا أعرف إلى أين نتّجه".

من الطبيعي أن نحاول وضع نظام في حياتنا؛ نموذج يومي يعطينا شعوراً بالأمان والطمأنينة. بالنسبة إلى التلاميذ الذين يصعب تعليمهم في مدارسنا، فإنّ هذا النظام هو ما يفتقدون إليه في عالمهم. فربّما لم يضع لهم أهلهم أو أوصياؤهم حدوداً، أو أنّهم يتعاملون بطرق مختلفة مع أنماط سوء السلوك نفسها. بالتالي، تشكّل المدارس ملاذاً بالنسبة إلى هؤلاء، ويجدون فيها أشخاصاً راشدين يعطونهم إرشادات مناسبة وثابتة عن ماهيّة السلوك الحسن الفعليّة.

في الواقع، ثمّة طرق عديدة يمكن من خلالها للمعلّمين أن يضعوا نظاماً لتلاميذهم: من خلال وضوح محتوى الدرس، تنظيم غرفة الصفّ، والوسائل المستخدمة لضبط السلوك. ما إن يتكوّن لديك نظام واضح في ذهنك، سينعكس هذا الوضوح في الصفّ من خلال المستوى المرتفع للإدراك والثقة. بالإضافة إلى ذلك، أوضح لتلاميذك بدقّة في كلّ مرحلة، كيف ولماذا تستعمل هذا النظام أو ذاك.

وإن تمكّنت من بلوغ حسّ بالهدف والوضوح والنظام، سيكون لذلك عدد من الفوائد الهامّة:

- يعرف تلاميذك ما يتوقّعونه حين يحضرون دروسك.
- إن أرضيت توقّعاتهم في كلّ مرة يقابلونك فيها، سيبدأون بالنظر إليك كسِمَة ثابتة في حياتهم.
- هذا الحسّ بالاستقرار سيضاعف ثقتهم بك ويحسّن علاقتكم.
- سيبدأون بالتطلّع إلى تمضية الوقت معك.

- يصبح من الممكن أكثر التوقع بسلوكهم والسيطرة عليه.
- ستتكرّر نماذج السلوك الحسن بسبب البيئة المنظّمة التي تحيطهم بها.
- لاحقاً، يتحوّل هذا السلوك إلى عادة أو إلى ردّة فعل غريزيّة لا تحتاج تقريباً إلى توجيه من قبل المعلّم.
- يأخذ التلاميذ بتكرار تلك النماذج آليّاً، وأحياناً في غياب المعلّم (على سبيل المثال، الاصطفاف في الخارج والانتظار إن اضطررت للتأخّر عن الحصّة).
- يبدأ المعلّم باستعمال إشارات سريعة أو غير فعلية للتعبير عن رغباته للتلاميذ (مثل إشارة يدوية في نهاية الدرس للطلب من التلاميذ الوقوف خلف مقاعدهم).

إليك بعض نواحي التعليم التي يمكن تنظيمها، وبعض الأمثلة عن المقاربات التي يمكن استعمالها:

- طريقة بدء الدروس: يكون التلاميذ مصطفّين في الخارج، المعلّم يدوّن الحضور، الصفّ يقوم بنشاط قبل بداية الدرس.
- أين يجلس التلاميذ: في صفوف أو مجموعات، وفقاً لخطّة جلوس.
- ماذا يحدث خلال الدرس: مزيج من النشاطات المنوّعة، كثير من الدروس العمليّة، البدء باختبار ذهني.
- كيف يتمّ استعمال الموارد والمعدّات: يحضر التلاميذ كتبهم/معدّاتهم بأنفسهم، ثمّة أولاد معيّنون يوزّعون الكتب، المعدّات محفوظة في مكان معيّن من الغرفة، يتم ترتيب الموارد من قبل متطوّعين.
- السلوك المتوّقع أثناء العمل: التلاميذ يعملون بهدوء، يلازمون مقاعدهم، يرفعون أيديهم لطرح الأسئلة أو للإجابة عنها.
- طريقة انتهاء الدروس: إعطاء فرض منزلي، وقوف التلاميذ خلف مقاعدهم، الجلوس بصمت لبضع لحظات فيما يلخّص المعلّم الدرس، لعبة قصيرة.

كن إيجابيّاً

"أنتم تبلون بلاءً حسناً!"

جميع المعلّمين يعرفون هذه القاعدة، شدّد على الناحية الإيجابيّة. وبصراحة، يبدو الأمر أحياناً وكأنّنا نمطر التلاميذ بالإطراءات على أيّ شيء لكي نكسبهم في صفّنا. ولكنّ هذا الأمر خاطئ. فلو خفّضنا مستوى توقّعاتنا، سيسعى التلاميذ إلى بلوغ هذا المستوى. أمّا إن كانت مستوياتنا أعلى وتوقّعنا منهم أموراً عظيمة، سيتعلّمون أن يكافحوا لأجل مصلحتهم. والإيجابية لا تعني إطراء التلاميذ وحسب، بل امتلاك نظرة استشرافية إيجابية خلال الوقت الذي تمضيه معهم. فالاستخدام

التمييزي للإطراء والقدرة على البقاء إيجابيّاً على الدوام يساعدانك كثيراً في السيطرة على السلوك. كما يجب أن يجعلك ذلك أقلّ عرضة للتوتّر والانفعالات السلبيّة.

وفي ما يلي بعض النصائح حول كيفية البقاء إيجابيّاً مع تلاميذك:

- رحّب دوماً بصفّك بتوقّع إيجابي، مثل: "أعرف بأنّكم ستقومون اليوم بعمل رائع".
- توقّع من تلاميذك الأفضل عوضاً عن استباق الأسوأ.
- أحِط كلّ ما تقوله بإطار إيجابيّ.
- حاول أن تتجنّب توجيه الاتّهامات أو الانتقادات إليهم.
- حاول عدم استعمال السخرية مهما أغراك الأمر، فهو من أدنى أشكال الذكاء ومن شأنه أن يؤذي الأولاد أو يربكهم.
- تعامل مع سوء السلوك عبر اقتراح بديل إيجابي.
- استعمل إطراء الأفراد لتشجيع الصفّ كلّه.
- استعمل المكافأة عوضاً عن العقاب قدر الإمكان.
- ضع أهدافاً على الدوام لتعرض على تلاميذك طرقاً إيجابيّة للتحسّن.
- انظر إلى إتمام الهدف كفرصة لتقديم مكافأة.

في ما يلي مثالان على الحالة نفسها، معلّمة تدعو التلاميذ إلى غرفة الصفّ، لإظهار الفرق بين المقاربة الإيجابية والمقاربة السلبيّة.

المقاربة السلبيّة

"هيّا أسرعوا، لَم أنتم بطيئون بهذا الشكل؟ هيّا، هيّا، لدينا أعمال كثيرة علينا إنهاؤها ولن نتمكّن من ذلك إن كنتم بهذا البطء. ما خطبكم؟ لَم تصدرون كلّ هذا الضجيج؟"

أعرف معنى أن تكون مدرساً لصفّ كهذا، يميل إلى إساءة التصرّف! لقد انتُقد الأولاد على الفور لكونهم بطيئين. بعدها تنتج المعلّمة شعوراً سلبيّاً حول العمل الذي سيقومون به، عبر إلقاء اللوم على الأولاد لعدم القدرة على إتمامه. أخيراً، تستعمل سؤالين سلبيّين للإيحاء بأنّ الأولاد هم دوماً بهذا السوء. وبابتداء الدرس بهذا الإطار السلبي في الذهن، ستتحقّق توقّعات المعلّمة.

المقاربة الإيجابيّة

"حسناً، هل لكم بالدخول جميعاً بأسرع ما يمكن؟ فقد أحضرت لكم بعض الأشياء المثيرة حقّاً اليوم، وعلينا أن نبدأ على الفور لكي ننهيها جميعها. مستوى الضجّة ممتاز، أحسنتم. لنرى الآن ما إذا كنتم تستطيعون أن تكونوا أكثر هدوءاً أيضاً".

في هذا المثال، تخبر المعلّمة تلاميذها كيف تريدهم أن يدخلوا غرفة الصفّ. بعد ذلك تضع لهم هدفاً وتقرنه بعنصر التشويق حين ذكرت بعض الأشياء "المثيرة حقّاً" التي خطّطَت لها. أخيراً،

هنّأتهم على قلّة الضجيج ولكنّها تحدّتهم ليكونوا أكثر هدوءاً. إن ابتدأت الحصّة بهذه الطريقة، فإنّ جوّاً إيجابيّاً سيسود على الأرجح.

كن مهتمّاً

"أنتم لستم تلاميذاً فحسب، بل أنتم أناس أيضاً".

في جوهره، يكمن ضبط السلوك في العلاقات الجيّدة بين المعلّم والتلميذ. ففي النهاية، أنت دخلت سلك التعليم – جزئيّاً على الأقلّ – لأنّك تحبّ العمل مع الأولاد أو الشباب. وإن احترمك التلاميذ وشعروا بأنّك تحترمهم، سينتج ذلك حتماً سلوكاً أفضل في صفّك. وأهمّ جزء في بناء هذا الاحترام هو الاهتمام بما يجعل التلاميذ يعملون؛ الاهتمام بما يجعلهم بارزين كأفراد إضافة إلى كونهم مجرّد تلاميذ يعبرون نظامك التعليمي الصغير.

في الواقع، إنّ الاهتمام بالتلاميذ يساعد بشكل خاصّ إن كان المعلّم يواجه مشاكل سلوكية. فإن أخذ التلاميذ يشاغبون لأنّهم يجدون موضوع الدرس مملاًّ، قد يساعد تضمين الدروس بعض العناصر المتعلّقة بآخر صرعات الألعاب. (أظنّ بأنّ قلّة من معلمي الرياضيّات استعملوا لعبة السودوكو كوسيلة لإثارة اهتمام تلاميذهم). ولو أزعجك أحد التلاميذ، فإنّ الاهتمام بما قد يحفز ذلك التلميذ من شأنه أن يساعدك على وضع نظام مكافأة مناسب.

وفي ما يلي بعض الاقتراحات لإقامة علاقات أفضل مع تلاميذك:

- *اسألهم عن اهتماماتهم:* في لقائك الأول مع الصفّ، خصّص بعض الوقت لمعرفة المزيد عن اهتمامات التلاميذ، هواياتهم، ما يحبّونه وما يكرهونه.
- *انخرط في نشاطات خارج إطار الدراسة:* إن أمكنك توفير الوقت، شارك التلاميذ بنشاطات خارج اليوم المدرسي العادي. فهي تتيح لك فرصة عظيمة للتعرّف على بعض التلاميذ بشكل أفضل، كما تعطيهم فكرة عنك كشخص فضلاً عن كونك معلّماً. وعلى الرغم من أنّ هذه النشاطات تستهلك الوقت، إلاّ أنّ تجربتي أثبتت بأنّها تستحقّ الجهد المبذول لأجلها.
- *ابق مطّلعاً على كلّ جديد:* وهذا لا يعني المشاركة في آخر البدع الجنونية أو مشاهدة البرامج التلفزيونية التافهة أو قراءة آخر روايات هاري بوتر أو الاستماع إلى أحدث الأغاني. لكن إن أمكنك إظهار اهتمام عابر بالثقافة العصرية، سيمكّنك ذلك من دخول جانب أساسي في حياة تلاميذك.

كن مرناً

"أعرف متى ألين لكي لا أنكسر".

ثمة أوقات تحتاج فيها كمعلّم إلى تعلّم الانحناء بعض الشيء وذلك لمصلحة تلاميذك ومصلحتك على حدٍّ سواء. في الواقع، إنّ إقامة توازن بين هذه المرونة وبين اليقين والوضوح والثبات التي سبق ذكرها هو من أصعب مهارات التدريس التي يجب اكتسابها. ففي بعض الأحيان فقط، تحتاج إلى الاسترخاء وتقبّل بأنّك لن تتمكّن من إنهاء كلّ العمل الذي أعددته. مع هذا الهامش الصغير من المرونة عند اللزوم، سيتضاعف احترام تلاميذك لك كإنسان وكمعلّم على حدّ سواء.

فالمرونة تعني الميل إلى إيجاد سبل أكثر إبداعاً وتشويقاً لحلّ المشاكل المحتملة. فعوضاً عن مواجهة مسألة ما بتصلّب ورفض الليونة أو التكيّف مع ظرف معيّن، لا تتردّد في اتّخاذ موقف جانبيّ إن كان سيعطي نتيجة أفضل. فالمرونة في التفكير وفي طريقة التعليم هي التي تساعدك على ضبط سلوك تلاميذك. على سبيل المثال، لنفترض بأنّ لديك صفّاً يشاغب دوماً في نهاية يوم الخميس، بسبب التعب من جهة، ولأنّهم محصورون في غرفة صغيرة لا يمكنهم مغادرتها قبل انتهاء الحصّة من جهة أخرى. في هذه الحالة، قد تتصدّى لهم وتفرض عليهم الكثير من العقوبات لتفسد في نهاية الأمر علاقتك بهؤلاء التلاميذ. إلاّ أنّه بإمكانك أيضاً أن تصطحبهم إلى القاعة أو الملعب لإعطاء دروس عملية عوضاً عن الأعمال الخطيّة.

في الحقيقة، تتعلّق المرونة كثيراً بالذوق الشخصي والظروف الفرديّة، وبمعرفة الوقت المناسب للجوء إلى التسوية. ففي بعض المدارس، يتجاوب التلاميذ كثيراً مع المعلّم الذي يعرف متى يلين قليلاً في مناسبات معيّنة، وفي مدارس أخرى، يرى التلاميذ في أيّ بوادر مرونة إشارة للمباشرة ببذل أقصى جهودهم. أمّا في الظروف الصعبة على نحو خاص، والتي يشكّل سوء السلوك فيها مسألة معقّدة ومتجذّرة، فإنّ إظهار أدنى درجة من المرونة لا يترك لديك سوى حفنة صغيرة من التلاميذ لتعليمهم فعليّاً. في ما يلي بعض الأفكار عن كيفيّة إبداء المرونة لتلاميذك والوقت المناسب لذلك:

- *مع الصفّ:* إن كان صفّك ليس في مزاج للعمل بعد ظهيرة أيّام الجمعة، لن يمكنك إتمام الكثير من العمل ما لم تبدِ بعض المرونة. تقبّل فكرة كون هذه المسألة خارجة عن سيطرتك. اسعَ إلى تحقيق كمية معقولة من العمل مع التلاميذ، تفاوض معهم على الأهداف، وتحدّث معهم عن مدى كونك عادلاً. كثير من المعلّمين الجدد قد يلجأون عوضاً عن ذلك إلى استعمال هذا الوقت كمكافأة باعتباره آخر درس في الأسبوع لمساعدتهم على ضبط سلوك التلاميذ في الدروس الأخرى.
- *مع العمل:* في مناسبات نادرة، إن كان السبب وجيهاً لعدم كون التلاميذ في مزاج يسمح لهم بالعمل، قد ترغب عندها بالتوصّل إلى تسوية. إن تمكّن التلاميذ من إتمام جزءٍ معيّن من العمل، ستسمح لهم بالثرثرة بصوت منخفض لبضع دقائق في نهاية الحصّة مكافأةً لهم.

- *مع الفرد:* بعض التلاميذ لا يريدون المجيء إلى المدرسة بكلّ بساطة، فهي تبدو بعيدة كلّ البعد عن حياتهم. في هذه الحالة، حاول إحداث توازن. ضع أهدافاً صغيرة ويمكن تحقيقها، ولكن لا تجهد نفسك إن قرر أحد التلاميذ عدم المشاركة على الإطلاق. إن كان أحد المشاغبين في مواجهة دائمة معك، لا سيّما عند استعمال القصاص، حاول التراجع لفترة لكي يسترح كل منكما.

كن مثابراً

"أرفض الاستسلام".

إنّ الأفكار التي أقترحها في هذا الكتاب ليست تركيبة سحريّة تضمن النجاح الفوري. فما من شيء كهذا حين يتعلّق الأمر بالتعامل مع سوء السلوك، لأنّك تتعامل مع الطبيعة البشرية المعقّدة. وحتّى لو عمدت إلى تطبيق جميع النصائح الواردة هنا، ستظلّ تعاني من مشاكل سلوكيّة مع تلاميذك، على الأقلّ في البداية. هنا يأتي دور المثابرة. لا تتخلَّ عن الاستراتيجيّات لأنّ مفعولها لا يظهر على الفور. بل كلّما عملت على مهارات ضبط السلوك، ستصبح معلّماً أفضل وأكثر فاعلية.

في بعض المدارس الصعبة، التي يعتبر ضبط السلوك فيها كفاحاً مستمرّاً، قد تمرّ عليك أيّام تشعر فيها بالرغبة بالاستسلام. وقد يغريك فعلاً التخلّي عن توقّعاتك الأساسيّة لمجرّد أنّك لا تعرف من أين تبدأ بسبب كثرة الفوضى. ولكن حالما يدرك التلميذ أنّك تفكّر بالتالي، "تكلّموا وأنا أتكلّم، لا أهتمّ"، أو "لا يهمّني إن لم تحترموني"، عندها أنت تعلن استسلامك فعليّاً.

أحياناً، قد تواجه صفّاً أشبه بالكابوس. صفّاً يضمّ لسبب ما عدداً كبيراً من المشاغبين. في هذه الحالة، قد تجد أنّه من الصعب عليك الاستمرار بمكافحة سوء السلوك والإصرار على عدم التنازل. استمرّ بالمحاولة على الرغم من ذلك، وسهّل عليك الأمور قليلاً كلّما أمكن.

قد تلاحظ بأنّ جهودك تذهب أدراج الرياح أمام بعض التلاميذ، مهما بذلت من المحاولات. لا تنسَ في هذه الحالة بأنّ بعض الأولاد يعيشون حياة رهيبة خارج جدران المدرسة. وقد تكون الشخص الراشد الوحيد الذي يمكنهم تنفيس طاقاتهم أمامه من دون خوف. حاول بالتالي قدر الإمكان عدم التخلّي عن التلميذ الذي يثير أعصابك دوماً، وتعلّم أن تتقبّل عجزك عن تغيير العالم.

2 – اللقاء الأوّل

لماذا يعتبر اللقاء الأول بهذه الأهميّة؟

يتيح لك اللقاء الأول مع أيّ صفّ فرصة زرع بذور سنة سهلة، أو اتّخاذ الخطوة الأولى على طريق الفشل. لا شكّ بأنّ كلّ المعلّمين قد سبق واختبروا شعور الفراغ الذي يجتاح المعدة عند دخول تلاميذ جدد إلى صفّهم، لإدراكهم أنّ ما سيفعلونه في ذاك اللقاء الأول سيكون له تأثير طويل الأمد. وغالباً ما يتّخذ كلّ من المعلّم والتلاميذ موقفاً دفاعيّاً خلال الحصّة الأولى. فربّما توقّع المعلّم أن يرى منهم تصرّفات تنمّ عن سوء السلوك، وربّما توقّعوا ألاّ يحبّهم إن كان الأساتذة الآخرون قد وجدوا صعوبة في التعاطي معهم.

مع كثير من الصفوف، تعتبر الحصص الأولى أشبه *بشهر العسل*، يحاول خلالها التلاميذ التعرّف على معلّميهم قبل أن يكشفوا عن شخصيّتهم الحقيقيّة. إن كان هذا هو نوع الصفّ الذي لديك، حاول ألاّ تكون زائد الاسترخاء معه في البداية. فقد تكتشف بعد بضع حصص بأنّ التلاميذ بدأوا باستغلال هذه الناحية ليسيئوا التصرّف.

من ناحية ثانية، قد تجد نفسك أمام تلاميذ يسيئون السلوك مع المعلّمين الجدد ليروا ما إذا كانوا قادرين على الصمود. وهذا موقف صعب من دون شكّ، إذ ليس من السهل على المعلّم أن يضع توقّعاته السلوكيّة مع صفّ يرفض الإصغاء إليه. فإن وجدت نفسك أمام مدرسة من هذا النوع، عليك طلب المساعدة والدعم على الفور من الآخرين.

ماذا يجدر بك أن تعرف قبل اللقاء الأول؟

في الحقيقة، تشكّل بداية العام الدراسي فترة صعبة بالنسبة إلى المعلّم. إذ يُتوقّع منه أن يقابل مجموعة من الشباب الذين لا يعرف عنهم الكثير، ويضبطهم، ويدرّسهم. لهذا السبب، نميل نحن المعلّمون إلى التعلّم من أخطائنا، والتعاطي مع المشاكل عند وقوعها عوضاً عن استباقها ومحاولة حلّها سلفاً.

يعتبر الوقت ثميناً في بداية العام، إذ تنشغل هيئة المعلّمين في إعداد الصفوف، وتحضير الدروس، وتفريغ الخزائن وما إلى ذلك. لكن نظراً إلى أهميّة هذا اللقاء الأول مع الصفّ أو الصفوف الجدد، من الأهمية بمكان أخذ الوقت الكافي للاستعداد له. إليك بعض الأفكار عمّا يجب عليك فعله قبل لقاء تلاميذك:

- *المشاكل السلوكيّة المحتملة:* اعرف من هم المشاغبين المعروفين في الصفّ. إن كنت تعرف اسم التلميذ وما قد يوقفه عند حدّه، يمكنك مراقبة الإشارات الأولى لسوء السلوك. في بعض الأحيان، يفخر بعض المشاغبين بسمعتهم السيئة. في هذه الحالة، حاول قلب

هذا الوضع عليه: "سامر، أنا سعيد للقائك، فقد سمعت عنك الكثير من الأمور الجيدة، وأنا أتشوّق لتدريسك". ولا تتردّد في إعطاء التلاميذ الفرصة لبداية جديدة عبر الإشارة إلى أنّك لن تحكم عليهم سوى من خلال سلوكهم وعملهم معك أنت.

- *حاجات التعلّم:* اعرف ما إذا كان في الصفّ تلاميذ لديهم حاجات خاصّة لا علاقة لها بالسلوك والتي قد تؤثّر على تعلّمهم. (يفترض أن تحصل على لائحة بأسماء هؤلاء التلاميذ مع تفاصيل عن حاجاتهم تلك، وإلاّ فاسأل الموظّف المسؤول عن ذلك). من شأن المعلّم أن يسيء فهم الحاجات الخاصّة للتلميذ ويفسّرها على أنّها مسألة سلوكيّة. على سبيل المثال، قد يعجز التلميذ الذي يعاني مشكلة في الكتابة عن إتمام العمل في الوقت المحدّد، فيفسّر المعلّم ذلك على أنّه كسل، ممّا يحفز سوء التصرّف لدى التلميذ.
- *الحاجات الجسديّة:* اكتشف ما إذا كان ثمّة تلاميذ يعانون من مشاكل جسديّة، وخذها في الحسبان. ولا تحسب بأنّ الأولاد سيشعرون بثقة كافية لإخبارك عن حاجاتهم، لا سيّما الصغار منهم. تشتمل الحاجات الجسدية على مشاكل في السمع أو خلل في البصر. رتّب المقاعد بما يناسب الأولاد الذين يحتاجون إلى الجلوس في المقدّمة، وراجع مخطّط الدرس لترى ما إذا كان العمل المطلوب يناسب الجميع.
- *حفظ الأسماء:* من المفيد جدّاً حفظ اسم تلميذ أو اثنين من تلاميذك، إذ إنّ قدرتك على استخدام أسمائهم بشكل صحيح تترك لديهم انطباعاً إيجابيّاً، لا سيّما وأنّ أحداً لم يخبرك بها على ما يبدو. وإن كانت ذاكرتك قويّة، قد تحفظ أسماء جميع التلاميذ وتدّعي بأنّك ساحر (هل ثمّة من يدعى ياسمين في هذا الصفّ؟ وجاد؟ وجهاد؟). في الواقع، فإنّ معرفة أسماء التلاميذ هي شرط حيويّ من شروط ضبط السلوك، ابدأ بالتالي بحفظها بأسرع وقت ممكن.

مع أنّ تتبّع أخبار الصفّ مفيد جدّاً، احرص مع ذلك على عدم الحكم مسبقاً عليه. فمن شأن ذلك أن يضعهم في إطار سلبيّ، كما أنّه غير عادل بالنسبة إلى التلاميذ. فبعض الأولاد ذوي السمعة السيّئة لم يحصلوا على فرصة إثبات العكس. أخبر تلاميذك أنّك تتأمّل بأن يعطوك انطباعاً جيّداً وستفاجأ على الأرجح بما ستحصل عليه.

تحديد أسلوب التدريس

كلّما ازدادت خبرتك كمعلّم، أصبح أسلوب التدريس الذي ستتّبعه أكثر وضوحاً. وإلى حدٍّ ما، يتطوّر أسلوب التدريس مع الممارسة. ولكن، قبل أن تقابل صفّاً للمرّة الأولى، يجب أن تكون لديك فكرة عن الأسلوب الذي ستستخدمه معهم. ذلك أنّه منذ لحظة دخولك الصفّ، يبدأ الأولاد باتّخاذ قرارات بشأنك استناداً إلى الإشارات التي يرسلها أسلوبك في التدريس.

وستحتاج إلى تكييف الأسلوب الذي تتّبعه مع الحالات الفرديّة التي تواجهها. ثمّة عدّة أسباب لذلك: نوع المدرسة، سنّ التلاميذ، شخصيّة المعلّم...إلخ. سأتطرّق لمفهوم أساليب التدريس بالتفصيل في الفصل الخامس. ولكن سأورد في ما يلي بعض نواحي الأسلوب التدريسي التي ستخضع للفحص الفوري من قبل التلاميذ:

- *كيف تبدو:* هل تبدو ذكيّاً، ترتدي بذلة أم ثياباً غير رسميّة؟ هل تبدو جاهزاً للقاء وتعليم الصفّ، أم مرتبكاً وسيّئ المزاج عند وصولهم؟ فالأشخاص الذين يجرون المقابلات يتّخذون قرارهم حول المرشّح في اللحظات الأولى للمقابلة، مستندين بشكل أساسي إلى مظهرهم. فإن أردت أن يكون صفّك منضبطاً، أنت بحاجة إلى ترك انطباع جيّد لديهم في هذا اللقاء الأوّل.
- *كيف تتحدّث:* هل تتحدّث بنبرة مسترخية وواثقة؟ هل يبدو صوتك خجولاً أم شديد الارتفاع؟ هل تنوّع بين نبرات صوتك وسرعة حديثك لتضفي نوعاً من التشويق إليه؟ فأصواتنا تكشف الكثير عن أحوالنا النفسية، لا سيّما حين نكون متوتّرين.
- *كيف تقف وتتحرّك:* هل تبدو مسترخياً وتستخدم جيّداً مجالك في الصفّ؟ أم أنّك تقف جامداً في المقدّمة مستنداً إلى اللوح في وضعيّة دفاعيّة؟ هل توحي لغة جسدك بالهجوم أم بالثقة بالنفس؟ فتلاميذك سيقرأون هذه الإشارات على نحو غير واعٍ لتساعدهم على اختيار السلوك المناسب.
- *كيف تعامل تلاميذك:* هل تنظر إليهم كمساوين لك أم تتّخذ مقاربة سلطوية؟ هل تحترمهم وتتحدّث إليهم بتهذيب، مهما أثاروا غضبك؟ هل تحافظ على هدوئك عند وقوع مشاكل؟ تذكّر حين تتعامل مع تلميذ معيّن أو تؤدّبه بأنّ الصفّ بأكمله يشاهد، ويتّخذ قرارات استناداً إلى ما يراه بخصوص سلوكهم معك في المستقبل.
- *كيف تبدأ دروسك وتنهيها:* هل تكون غير مستعدّ ومرتبكاً عند وصول التلاميذ؟ هل يسبقك الوقت في آخر الحصّة وتترك التلاميذ يندفعون إلى الخارج حين يقرع الجرس؟ أم تبدأ دروسك وتنتهي على نحو هادئ ومنضبط؟ هل تضع التلاميذ في مزاج جيّد منذ الدقيقة الأولى للقائك؟ وهل يشعرونك بأنّ حصّتك كانت تجربة إيجابية يرغبون بتكرارها؟
- *كيف تعطي الدروس:* هل الدرس منوّع، مثير للاهتمام، للتحدّي والمرح؟ أم أنّك تتحدّث مع الصفّ لوقت طويل جدّاً بحيث يشعرون بالضجر ويبدأون بإحداث الفوضى؟ بالطبع، من الصعب أن تجعل جميع الدروس شيّقة، ولكن حاول أن يكون درسك الأول رائعاً فعلاً. فإن تمكّنت من جذب اهتمام تلاميذك منذ البداية، سيأتون لمتابعة دروسك في حالة ذهنيّة بنّاءة، مستعدّين ومتلهّفين للتعلّم.

- *كيف تضبط الصفّ:* هل أنت معلّم *صارم ومخيف*، يصرخ في وجه التلاميذ منذ لحظة لقائهم؟ هل أنت *صارم ولكن مرح*، تضبطهم بقوّة شخصيّتك؟ أم أنّك تحيّيهم بخجل وتسمح لهم على الفور بالشعور بأنّ السلطة بيدهم وليست بيدك أنت؟

تحديد التوقّعات

إنّ امتلاك توقّعات واضحة وإطلاع التلاميذ عليها هو جزء أساسي وفعّال من عملية ضبط السلوك. سيكون عليك في الحصّة الأولى تعريف الحدود، ما هو السلوك المقبول وغير المقبول. إذ يظهر تحديد التوقّعات بأنّك تملك السيطرة التامّة على الصفّ. والتلاميذ يريدون ويقدّرون فعلاً هذا الإحساس بالثقة والوضوح.

أفضل طريقة لشرح توقّعات تتمثّل باستعمال جمل تبدأ بفعل *أتوقّع*. يمكنك اختيار ثلاث جمل من اللائحة أدناه ومناقشتها مع تلاميذك خلال الحصّة الأولى، ثم تمضي بعض الوقت في التحدّث عن أهميّة تلك التوقّعات. واحرص على أن تكون جملك واضحة ومحدّدة قدر الإمكان، بحيث تضع أهدافاً إيجابيّة لما تريده من تلاميذك، عوضاً عن استعمال جمل سلبيّة تفيدهم بما لا تريده. إليك بعض الاقتراحات عن جمل *أتوقّع*:

- "أتوقّع منكم الاصطفاف خارج الصفّ بهدوء قبل أن أعطيكم الإذن بالدخول".
- "أتوقّع منكم الإصغاء إليّ وإلى بعضكم بعضاً بصمت تامّ وإعطائي انتباهكم الكامل".
- "أتوقّع منكم ملازمة مقاعدكم طيلة الوقت، ما لم تحصلوا على إذن بالوقوف".
- "أتوقّع منكم أن تبذلوا دوماً أفضل ما عندكم".
- "أتوقّع منكم أن تتعاملوا باحترام مع جميع من في الصفّ، وأن تستخدموا ألفاظاً لائقة في جميع الأوقات".

في الواقع، تعتبر التوقّعات العالية أداة قويّة تضمن حسن سلوك التلاميذ وبذلهم جهداً في العمل، لأنّها تثبت إيمانك بقدرات كلّ فرد منهم. ويعرض فيلم عقول خطيرة Dangerous Minds مثالاً ممتازاً على ذلك. إذ تبدأ المعلّمة (ميشال فايفر) درسها الأول بإخبار تلاميذها المستائين أنّهم حصلوا على درجة "أ". وحين يقابلها التلاميذ بأصوات ساخرة، تفسّر لهم بأنّهم حصلوا فعلاً على درجة "أ" وأنّ الأمر يعود إليهم في الحفاظ عليها أو خسارتها.

إليك بعض النصائح المفيدة لتحديد التوقّعات:

- تحدّث عنها!: أمضِ وقتاً طويلاً في الحديث مع الصفّ عمّا تريده. اسأل التلاميذ عن ماهيّة السلوك المقبول برأيهم، ولكن لتكن لك أفكارك الخاصّة واحرص على عرضها. تحدّث عن توقّعاتك الأساسيّة كجزء جوهريّ من درسك الأول، ثمّ أعد مراجعة هذه النقاط الأساسيّة في كلّ مرّة تجتمع فيها بالصفّ.

- *لا تعطِ الكثير مرّة واحدة:* من الخطأ إعطاء لائحة طويلة من الطلبات في الحصّة الأولى، ذلك أنّ التلاميذ لن يتذكّروها، كما أنّ كثيراً منهم سيصرفون انتباههم عنها ببساطة. اعمل على تحديد توقّعاتك الأساسيّة (ما بين ثلاثة وخمسة) واعرضها في المقام الأوّل.
- *ليكن شرحك متناسباً مع مستوى الصفّ:* عدّل أسلوبك في شرح توقّعاتك بما يتناسب مع سنّ تلاميذك وموقفهم منك. عادةً، كلّما كان التلاميذ أصغر سنّاً، توجّب عليك أن تكون أكثر صرامة، ونصيحتي لك هي أن تكون صارماً قدر ما تستطيع! فحين تدرّس تلاميذاً في الصفّ الأول أو الثاني الابتدائي، استعمل جملاً تبدأ *بأتوقّع منكم*.... (كما هو مبيّن أعلاه) ثمّ عدّد أشكال السلوك المطلوبة منهم. ولكن، كلّما كان التلاميذ أكبر سناً، عليك أن تكون أقلّ صرامة وأن تسألهم عوضاً عن إخبارهم بما تريده. كلّ هذا يشكّل جزءاً من عملية إقامة علاقة قائمة على الشراكة بينك وبين التلاميذ الشباب. أنا أميل مثلاً إلى استعمال عبارة *أريد*... مع الصفّ الثالث الابتدائي وعبارة *أودّ*... مع تلاميذ الصفوف المتوسّطة وما فوق.

تحديد نموذج لدروسك

تعتبر الحصّة الأولى تجربة صعبة للمعلّم والتلميذ على حدٍّ سواء لاشتمالها على عوامل كثيرة مجهولة. وأفضل سبيل للإمساك بزمام الأمور على نحو أفضل هي في وضع نموذجٍ واضحٍ لدرسك بأسرع ما يمكن. ولعلّ الطريقة المثلى لشرح ما أعنيه بكلمة *نموذج*، هي إعطاء مثالٍ على ذلك.

في ما يلي وصفٌ لطريقة القيام بالأمور. مدة هذا الدرس ساعة واحدة وقد أعطيت ملاحظات حول سبب استعمال هذا النموذج بالذات. كما سترى، إنّها الحصّة الأولى صباحاً والمعلّم شادي في أوج نشاطه واستعداده لهذا اللقاء الأول والصفّ سهل الانقياد. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا ليس درساً مثالياً بل مجرّد إيضاح لنموذج درس ممكن:

9:00: دقَّ الجرس. يتأكّد المعلّم شادي من جهوزية كلّ شيء، ثم يذهب ليقف خارج الصف مغلقاً الباب وراءه.

> **ملاحظة: يبدأ المعلّم الحصّة بتحديد وضعه وتعيين حدوده. إذ إنّ وقوفه خارج الصف والباب مغلق يعني أنه يحدث حاجزاً جسدياً وذهنيّاً بين التلاميذ وبين مجاله. إنّه الآن بكامل الاستعداد للتدريس الفعلي.**

9:03: يصل التلاميذ إلى غرفة الصف بكآبة ومن دون انتظام فيجدون المعلّم شادي واقفاً عند الباب، مكتوف اليدين. من الواضح أنّه مستعدّ لهم، كما أنّه يبدو مهيباً. وبهدوءٍ، يطلب منهم الوقوف في صفٍّ منتظم حتى يصل الجميع.

> **ملاحظة: لقد وُضع نموذج كلّ حصّة. سيصطفّ التلاميذ خارج الصف حتى يصل الجميع؛ إنّها طريقة مفيدة لفرض النظام. حتى الآن، لم يخاطب المعلّم شادي الصفّ**

ككلّ، فهو بانتظار مجيء الأكثرية.

9:07: ينظر المعلّم شادي عمداً إلى ساعته، فهو الآن مستعدٌّ للبدء. يطلب من التلاميذ التزام الصمت، ثمّ يملي عليهم باختصار ما يجب عليهم فعله عند دخول الصفّ.

ملاحظة: في ما يتعلّق بالوقت، كان المعلّم متساهلاً جدّاً هذه المرّة فهو لا يريد الدخول في مواجهة في بداية حصّته الأولى. لكنّه سيشرح مطالبه حالما يصبح الجميع داخل الصفّ.

9:10: استقرّ الجميع في مقاعدهم، وبدأ المعلّم شادي يشرح كيف ستجري دروسه. أخذ يضع بعض الحدود موضّحاً أهميّتها.

ملاحظة: مع أنّ المعلّم يبدأ عادة بشرح محتوى دروسه، غير أنّه يملك فرصة هامّة في هذا اللقاء الأول، ألا وهي رغبة التلاميذ بالإنصات لمعرفة ما سيقوله. فينتهز هذه الفرصة ليرسم حدوده بوضوح.

9:15: الآن، يبدأ المعلّم شادي درسه بشكلٍ مناسب. يأخذ ورقةً نقدية من فئة الخمسة جنيهات، ويسأل الصفّ عن ماهيتها. عندما أجابوه بأنها تساوي خمسة جنيهات، وما إذا كانوا يستطيعون أخذها، يجيبهم بتعجُّب: *ولكنها قطعة ورقٍ، أليست كذلك!* ثم يبدأ بتمزيقها إلى قطعٍ صغيرة.

ملاحظة: ممّا لا شك فيه أن المعلّم قد استحوذ بذلك على انتباه الصفّ. (ولا تقلقوا، ورقة الخمس جنيهات مزوّرة بالطبع). لقد أصبح الطلاب مأخوذين ومتحمّسين لمعرفة موضوع الدرس، حتّى أنّهم سيناقشونه على الأرجح بعد انتهاء الحصّة مع تلاميذ آخرين. هذه طريقة مفيدة جداً لاكتساب سمعة طيّبة بين الطلاب.

9:20: يشرح المعلّم شادي الآن هدف هذا الدرس بالتحديد، وهو اكتشاف دور النقود في المجتمع، العملات المختلفة، وما إلى ذلك. فيطلب من التلاميذ خوض مناقشةٍ ستستغرق عشر دقائق.

9:30: يُنهي التلاميذ مناقشتهم ويتشاركون المعلومات التي اكتسبوها.

9:40: يعطيهم المعلّم شادي واجباً خطيّاً يتمّونه في المنزل.

ملاحظة: لقد تمَّ وضع نموذج دروس هذا المعلّم. فهو سيبدأ كلّ حصّة بشرح العمل الذي سيقوم به. وستشتمل حصصه على كثير من التنويع لشدِّ اهتمام التلاميذ. فقد استعمل اليوم مقدّمة (المعلّم يخاطب الصفّ)؛ تبعها وقتٌ قصير ليسترجع التلاميذ ما يعرفونه (مناقشة جماعية)؛ جلسة يتشارك فيها التلاميذ المواضيع التي ناقشوها (المعلّم يُدير المناقشة والتلاميذ يصغون لبعضهم البعض)؛ ومن ثمّ واجب خطّي لدعم ما تعلّموه (عمل خطّي فردي)، مع فرض منزلي لإتمامه.

9:53: يعطي المعلّم وقتاً كافياً للشرح باعتبار أنّ هذا هو الدرس الأول. فيُوقف الصفّ، ويطلب التزام الصمت، ثمّ يشرح النموذج المتّبع لنهاية كلّ حصّة. سيكتب التلاميذ فروضهم، ومن ثمّ سيوضّبون الأدوات عن كل طاولة على حدة.

9:57: وضع التلاميذ الآن كتبهم جانباً. يطلب منهم المعلّم الصمت، والوقوف خلف مقاعدهم ثمّ يثني على العمل الممتاز الذي قاموا به.

ملاحظة: بانتهاء الحصّة باكراً، أصبح لدى المعلّم شادي الوقت الكافي ليُثني على المجهود الذي قام به التلاميذ ممّا يعطيهم انطباعاً جيّداً عن الوقت الذي أمضوه معاً. ومن الممكن أن يوضّح لهم توقّعاته بخصوص إتمام الواجب المنزلي أو أن يجيب عن أسئلتهم الأخيرة.

10:00: عندما يقرع الجرس، يسمح المعلّم شادي للتلاميذ الأحسن سلوكاً والأكثر اجتهاداً بالمغادرة أوّلاً كما يثني عليهم وهم يغادرون الصفّ.

ملاحظة: أخيراً، يُبيّن المعلّم طريقة الحصول على مكافأة المغادرة أوّلاً، وذلك بالاجتهاد وحسن السلوك. وينتهي الدرس بهدوء ونظام تاركاً انطباعاً جيّداً لدى التلاميذ يحملونه معهم إلى حصتهم المقبلة.

حفظ الأسماء

أسماؤنا جزءٌ مهمٌّ في تحديد شخصيّتنا، كما أنها وسيلة فعّالة لضبط السلوك. فمعرفة اسم شخصٍ ما واستعماله يساعداننا على لفت انتباهه، ويظهران مستوىً عالياً من الوعي كما يدلّان على الاحترام. في سعيك لضبط سلوك التلاميذ، ستجد نفسك في موقف ضعيف جدّاً إن لم تكن على دراية بأسمائهم. وفي كثير من الأوقات، رأيتُ (كما اختبرت في حصص المناوبة) تلاميذاً يستغلّون جهل المعلّم بأسمائهم.

فإن كنت لا تعرف اسم إحدى التلميذات، سيصعب عليك مناداتها لاحتجازها. كما أنّك لن تستطيع الإبلاغ عن سوء تصرّفها. أما عند معرفتك لأسمائهم فيُمكنك أن تُعطي ثناءً محدّداً وأن تذكر الشخص الذي يعمل بجدّ، وبشكل عامّ، باستطاعتك إقامة علاقات أفضل مع الصفّ.

في الواقع، ثمّة طرقٌ عديدة وسريعة لتعلّم أسماء التلاميذ بسرعة. وفي ما يلي بعض الأفكار التي يمكن الاستعانة بها في اللقاء الأول:

- *استعمل خريطة جلوس*: هي ليست طريقة جيدة لتعلّم الأسماء فحسب، بل هي ممتازة أيضاً لإظهار السيّطرة على الصّف والمحافظة عليها. في المقابلات التي أجريتها مع التلاميذ، كانت تلك إحدى الميّزات التي برزت عدّة مرّات عند *وصف المعلّم البارع في ضبط الصفّ*. فاستعمال خريطة جلوس يعطي إشارة محدّدة عن أسلوبك؛ مُنظّم، مُرتّب، ممسك بزمام الأمور. كما يسمح لك باستعمال *السماح بالجلوس حيث تريد* كمكافأة محتملة لصاحب السلوك الجيّد باستمرار.
- *استعمل أنظمة الذاكرة*: تعتبر أنظمة الذاكرة مفيدة جدّاً بالنسبة إلى المعلّمين، لا سيّما لحفظ أسماء التلاميذ. وتقوم الفكرة الأساسيّة على استعمال روابط بين الأشياء. فربّما كان

لديك تلميذ يدعى سامي يشبه قليلاً رياضيّاً شهيراً، أو ربّما درّست تلميذة تدعى فرح تمتاز بابتسامتها الدائمة.

- *دوّن ملاحظات على سجلّك*: من شأن بعض الملاحظات التي تضعها على لائحة أسماء الصفّ أن تساعدك على حفظ أسماء التلاميذ. فحين تدوّن الحضور، انظر ما إذا كان لدى التلاميذ علامات فارقة (كارتداء النظارات مثلاً)، وضع ملاحظة موجزة بذلك لتساعدك على تذكّر أسمائهم. واحرص على عدم تدوين ملاحظات محرجة أو فظّة، لئلاّ يقع نظر شخص آخر عليها!
- *ضع هدفاً لنفسك*: أمام بحر من التلاميذ تبدو مسألة حفظ الأسماء غايةً في الصعوبة، لا سيّما إن كنت معلّماً للصفوف الثانوية، وتدرّس مئات التلاميذ. من أجل ذلك، ضع لنفسك هدفاً معقولاً يترتّب على حفظ ثلاثة إلى خمسة أسماء في كلّ حصّة. بذلك، ستحفظ أسماء الجميع في غضون بضعة أسابيع.
- *قم ببعض النشاطات المتعلّقة بالاسم*: خصّص بعض الوقت في الحصّتين الأوليين للقيام بنشاطات خاصّة بأسماء التلاميذ. اسأل الأولاد أن يكتبوا أسماءهم على قطع ورقيّة مزيّنة يضعونها على طاولاتهم، أو أن يعلّقوا على قمصانهم ملصقات بأسمائهم. اطلب من التلاميذ أن يكتبوا قصيدة مستعملين الأحرف الأولى من أسمائهم في بداية كلّ بيت. أو اطلب منهم أيضاً التحدّث عن أسمائهم إلى زملائهم: ما إذا كانوا يحبّونها، من اختارها لهم، لمَ أُطلقت عليهم، وما إلى ذلك.

حين تدرّس صفّاً يضمّ تلاميذاً سيّئي السلوك، قد تميل إلى التركيز على المشاغبين، فتحفظ أسماءهم أوّلاً. بنتيجة ذلك، لن تحفظ أبداً أسماء التلاميذ الهادئين. بالطبع، سبق لي أن ارتكبت هذا الخطأ في الماضي. ركّز بالتالي على حفظ اسم تلميذ هادئ أو اثنين في لقائك الأول مع الصفّ لكي تتعرّف على هؤلاء أيضاً.

تخفيف وطأة اللقاء الأول

على الرغم من جوّ التوتّر الذي يسود اللقاء الأول، إلاّ أنّ التلاميذ لن يكونوا قد كوّنوا فكرة عميقة عنك. إن كنت معلّماً قديماً في المدرسة، فسمعتك ستسبقك خاصّة إن كان للتلاميذ أقارب سبق أن مرّوا في صفّك. أمّا إن كنت جديداً في المدرسة فأنت حاليّاً *الرجل أو المرأة اللغز*، كيانٌ مجهول، وبنتيجة ذلك، ذو أهمية كبيرة. إنّ لدى معظم التلاميذ الأكبر سنّاً، قدرة غريبة على كشف المعلّمين المتمرّنين وجعل حياتهم صعبة. وللأسف ليس هناك من جواب مثاليّ للسؤال التالي: "هل أنت معلّم تلميذ؟"

إذا أساء الصّف التصّرف فعلاً، قد تتلاشى ثقتك بنفسك وتحلّ روحك الدفاعية مكانها، لا سيّما إن كانت تلك حصّتك الأولى. في ما يلي بعض الأفكار التي تساعد على إزالة حدّة التوتر إن حدث ذلك:

- *حافظ على هدوئك واسترخائك:* إذا أحسّ التلاميذ بعصبيّتك وغضبك، سيكون هذا حافزهم لإساءة السلوك في المستقبل. ذلك أنّ التصرّف الانفعالي هو ما يريدونه منك. بالتالي، ومهما بلغت صعوبة الأمر (وأنا أدرك مدى صعوبته) حافظ على هدوئك. خُذ نفساً عميقاً، استجمع قواك وتعامل مع الموقف.
- *لتكن ردّة فعلك عقلانيّة:* حين تبدأ بالتوتّر وتصبح ردّة فعلك انفعاليّة وليست عقلانيّة، خُذ قراراً واعياً بأن لا تدع مشاعرك تسيطر عليك. وستجد في الفصل الثامن عشر شرحاً مفصّلاً لهذه الفكرة.
- *لا تصبح دفاعيّاً:* تذكّر دائماً أنّ الأمر *ليس* شخصيّاً. فإذا هاجم التلاميذ درسك بسوء السلوك، لا تتّخذ موقف الدفاع عن نفسك أو موقفاً شديد العدائية. فأفضل طريقة لردّ الهجوم هي بأن تكون إيجابيّاً على الدوام.
- *اتبع القواعد الأساسيّة:* لا سيّما الثلاث الأولى: كُن محدّداً، كُن واعياً، وكُن هادئاً ومثابراً.

وإذا فشل كلّ شيء...

- *لا تكن كماليّاً:* لنكن واقعيّين، ليست كارثة كبيرة إذا شاغب بضعة تلاميذ في حصّتك الأولى. إنّها لن تكون نهاية العالم. فأنت لن تُطرد من عملك، بل ستتعلّم دروساً قيّمة من هذه التجربة، ستتوفّر أمامك فرص كثيرة لتكسب الصّف من جديد.

3 - الاستراتيجيات والتقنيّات الأساسيّة

كيف أحصل على الانضباط وأحافظ عليه؟

من الأهمية بمكان أن نفكّر بالسبب الذي يدفعنا إلى ضبط سلوك أولادنا في المقام الأول. سلامتهم هي بالطبع من الأسباب الهامّة. ولكنّ السبب الأساسيّ للحاجة إلى حسن السلوك هو تركيزهم على الدراسة. ومعرفة كيفيّة ضبط السلوك لا تدلّ على ولع بالسيطرة، بل الهدف منها هو مجرّد التمكّن من تأدية مهمّة التدريس. كلّما تعدّدت الاستراتيجيات التي تملكها لتحقيق ذلك، كلّما تعاظمت ثقتك بنفسك. وحين تواجهك المشاكل، ستتمكّن من تجربة مقاربة تلو الأخرى إلى أن تجد ما يناسبك.

في الواقع، إنّ ضبط مجموعة كبيرة من الناس هو أمر صعب مهما كانت الظروف. ولكن حين يكون بعض تلاميذك غير راغبين بالمجيء إلى المدرسة أساساً، تصبح حياة المعلّم صعبة بالتأكيد. بالإضافة إلى التقنيات الأساسية المذكورة في الفصل الأول، ثمّة طرق أخرى منوّعة من شأنها أن تنتج جوّاً من النظام والاسترخاء في الصفّ وتحافظ عليه. وتعتبر التقنيات العشر التي سنتطرّق إليها في ما يلي سهلة نسبيّاً للفهم والتطبيق، كما أنّها توفّر عليك كثيراً من التوتّر.

- تعلّم قراءة الصفّ
- انتظر حتّى يسود الصمت
- كرّر عبارات معيّنة
- أعطهم الخيار
- كن *منطقيّاً* ولكن لا تتبع منطقهم
- استعمل الجمل الصريحة عوضاً عن الأسئلة
- استعمل التكرار
- ضع أهدافاً وحدّد مهلاً
- استعمل روح الدعابة
- ضع نفسك مكانهم

تعلّم قراءة الصفّ

صحيح أنّ الصفّ مؤلّف من أفراد، إلاّ أنّه كيان بحدّ ذاته. ستمرّ أيّام يكون فيها الصفّ سهل الانقياد وأيّام أخرى يكون التعامل مع الصفّ نفسه أشبه بالكابوس، وثمّة عوامل عديدة من شأنها أن تؤثّر على سلوك الصفّ، منها:

- الوقت من النهار.

- نهار الأسبوع.
- الطقس (احذر من الأيّام الغائمة أو الممطرة).
- حضور أو غياب تلاميذ معيّنين.
- ما حدث في الحصّة السابقة.
- حوادث وقعت في الملعب في فترة الاستراحة أو الغداء.
- مجال التدريس الذي تعمل فيه.
- الموضوع الذي يغطّيه الدرس.
- مزاج المعلّم.
- حوادث خارجيّة (كمباراة كرة قدم هامّة عرضت على التلفاز ذلك المساء).

وتشتمل القدرة على *قراءة* الصفّ على استعمال المرونة التي ورد ذكرها في الفصل الأول. إنّها من المهارات الحاذقة التي تكتسب بسهولة أكبر مع الخبرة. إذ ينبغي عليك أن تحكم على الأرض وخلال الدرس ما إذا كانت مقارباتك ناجحة أم لا. فقد تضطرّ إلى تعديل النشاط الذي يتضمّنه الدرس ليتلاءم مع مزاج التلاميذ، وربّما احتجت لبعض المرونة في تطبيق العقوبات في يوم تكون فيه حدّة التوتّر مرتفعة في الصفّ.

في الواقع، إنّ معرفة كيفيّة *قراءة* الصفّ مهمّة جدّاً للمعلّمين المناوبين أو الثانويين الذين يعطون درساً في صفٍّ لا يعرفونه. فخلال الدقائق القليلة الأولى مع المعلّم المناوب، يطلق التلاميذ أحكاماً سريعة عن السلوك الذي سيتّبعونه. في الوقت نفسه، سيكون عليك أن تتّخذ قرارات فوريّة عن الأسلوب المناسب للتعاطي مع هذا الصفّ بالذات. ذلك أنّه إن كنت شديد الصرامة، ستجد نفسك في مواجهات لا ضرورة لها، وإن كنت بالغ التسامح، سيستغلّ الأولاد موقفك.

انتظر حتّى يسود الصمت

انتظار الصمت هو من أهمّ التقنيات التي يمكن للمعلّم أن يلجأ إليها لضبط الصفّ. وانتظار الصمت يعني عدم مخاطبة التلاميذ ما لم يلتزموا بالصمت *التامّ*، ويركّزوا تماماً عليك. لا ينطبق ذلك فقط على بداية اليوم أو الدرس، أو حين تدوّن أسماء الغياب مثلاً، بل في أيّ وقت تود فيه التكلّم مع الصفّ.

فطلبك للصمت والانتباه يبعث رسالة واضحة جدّاً: التعلّم مهمّ ولن تسمح بإضاعته. إن تحدّث التلاميذ في الوقت نفسه معك، لن يتمكّنوا من سماع شرحك أو تعليماتك. أفهم تماماً مدى صعوبة الحصول على هذا الصمت، ولكن فكّر بالإشارات التي ترسلها إن سمحت لهم بالتحدّث وأنت تشرح الدرس. وكأنّك تقول لهم في الواقع: "تابعوا الحديث، أنا لا أمانع".

في سعيك لفرض الصمت على الصفّ، من الأفضل عند الإمكان استعمال التقنيات غير اللفظية عوضاً عن اللفظية، إذ إنّها أقلّ ضغطاً على المعلّم ولا تزيد من ضجيج الصفّ. كما أنّها تضفي إحساساً بالسيطرة وبثقة المعلّم بنفسه. فما من شيء أسوأ من معلّم يصرخ في الصفّ: "اهدأوا! اهدأوا!" لأنّه يُظهر بأنّ السيطرة في أيدي التلاميذ لا المعلّم. ويمكنك إيجاد استراتيجيات بحسب السنّ للحصول على الصمت والانتباه في الفصلين 13 و14. وفي ما يلي بعض المقاربات العامّة لتجربتها:

- *قوّة شخصيّتك:* إن كنت تدرّس صفّاً منضبطاً بشكل معقول، قد يكفيك أن تقف بكلّ بساطة مكتوف اليدين مع نظرة انزعاج في عينيك. أمسك أعصابك، وارفض أن تباشر الدرس قبل أن يسود الهدوء. وستجد أنّ كثيراً من الصفوف تلتزم الصمت من تلقاء نفسها خلال بضع دقائق.
- *قوة التوقّف:* حين تكون في خضمّ الشرح ويبدأ أحد التلاميذ بالتحدّث، توقّف لتشير إلى أنّك تنتظر أن يصمت. قد يبدو الأمر في البداية وكأنّك تضيع الكثير من الوقت، ولكنّك في النهاية ستدرّب تلاميذك على السلوك الذي تتوقّعه منهم.
- *الإشارات البصريّة:* أضف عنصراً بصريّاً مثيراً للاهتمام إلى الأوقات التي تتوقّف فيها وذلك عبر استعمال ساعة رمليّة. في كلّ مرّة تتوقّف فيها منتظراً أن يلزم التلاميذ الصمت، اقلب الساعة ليبدأ الرمل بالانسياب عبرها. وحين يصمتون، اقلب الساعة على جانبها ليبقى الرمل في مكانه. هذه الطريقة تعطيهم إشارة بصريّة إلى مدّة الوقت الذي أضاعوه وكم من الوقت عليهم تعويضه (إمّا بالجدّ والسلوك الحسن أو بالاحتجاز).
- *طلب الصمت بأمر غير لفظي:* في بعض المواضيع أو الحالات، قد تحتاج إلى استعمال إشارة متّفق عليها للحصول على الصمت. على سبيل المثال، قد ينخرط التلاميذ في صفوف التمثيل في نشاط مليء بالضجيج في مكان مفتوح. وفي صفوف الحضانة، قد يستغرق الأولاد في اللعب ولا ينتبهون للإشارات غير اللفظية. درّب الصفّ على الاستجابة بسرعة إلى الإشارات التي تختارها، مرّنهم واثنِ عليهم إلى أن يتجاوبوا بالطريقة الصحيحة. وإليك بعض الأمثلة عن *أوامر الصمت*:
- صفّارة أو جرس
- الطَّرق ثلاث مرّات على الطاولة.
- رفع الأيدي؛ يرفع المعلّم إحدى يديه وينبغي على التلاميذ حينها أن يتوقفوا عمّا يقومون به وأن يرفعوا أيديهم ويلتزموا الصمت.

- مقعد الصمت؛ يجلس المعلّم على مقعد معيّن وعلى التلاميذ أن يجلسوا عندها على السجّادة بصمت.
- *جملة منتقاة بعناية:* في بعض الصفوف، من شأن الإشارات اللفظية أن تكون فعّالة، ولكن احرص على عدم الصراخ أبداً في وجه التلاميذ. عند الضرورة، كرّر الجملة عدّة مرّات، وتوقّف قليلاً لقياس ردّة فعل التلاميذ. حاول استعمال بعض الجمل التالية طلباً للصمت:
- أريدكم أن تنظروا جميعاً بهذا الاتّجاه وأن تصغوا إليّ جيّداً.
- انظروا إليّ وأصغوا لما أقوله رجاءً.
- أريد صمتاً تامّاً قبل أن أتابع.
- أريد الصمت خلال خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان... واحد.

خلال حصّتك الأولى مع الصفّ، أخبر التلاميذ عن السبب الذي وضعت لأجله هذا القانون الذي يجب عليهم أن يتعلّموا احترامه. بالإضافة إلى الإصغاء إليك بصمت، أصرّ على أن يصغوا إلى بعضهم البعض بصمت أيضاً. وقد ترغب بالتحدّث معهم عن سبب أهمية ذلك. إليك بعض الاقتراحات:

- لكي يتمكّن الصفّ من سماع التعليمات.
- لكي يتمكّن التلاميذ من التعلّم بشكل جيّد.
- احتراماً للمعلّم.
- احتراماً لبعضهم بعضاً.
- لأنّهم سيرغبون بأن يصغي الآخرون إليهم بصمت.
- لسلامتهم (في حال أردت إعطاءهم أمراً ملحّاً).
- لأنّ ذلك من أصول الأدب.

استعمل التلميح

كثير من الإجهاد الذي يشعر به المعلّم يكون ناجماً عن سوء السلوك، كأن يصرخ الأولاد بالإجابة عوضاً عن رفع أيديهم، أو أن يبدأوا نشاطاً ما قبل أن تنهي شرح ما تريد. والفكرة من استعمال التلميحات هي فرض السلوك الذي تريده على التلاميذ عوضاً عن تركهم يتصرّفون بشكل خاطئ أولاً لتضطرّ بعد ذلك إلى ردعهم. يمكنك استعمال التلميحات لأيّ سلوك يتكرّر بانتظام، ومن شأنها أن تكون لفظية أو غير لفظية. وغالباً ما تتغيّر مع الوقت لتتحوّل تدريجيّاً إلى نوع من الاختزال المفهوم من قبل المعلّم والتلاميذ على السواء. إليك بعض الأمثلة على ما أعنيه:

- *الإجابة عن الأسئلة:* ابدأ أيّ سؤال تطرحه على الصفّ بأكمله بعبارة: "من يعرف يرفع يده". بتحديد السلوك الذي تريده (رفع اليد)، تستبق الاستجابة الخاطئة (الصراخ) وتتغلّب

عليها. ينبغي أن يختصر هذا الأمر إلى ارفعوا أيديكم. ولاحقاً، يمكن للمعلّم أن يكتفي برفع يده قليلاً إن صدرت إجابة بصوت مرتفع عن أحد التلاميذ.

- *إعطاء التعليمات:* من شأن بعض التلاميذ الأذكياء أن يبدأوا بالعمل قبل أن تنهي تعليماتك. استعمل الجملة التالية: "حين أقول انطلقوا أريدكم أن تبدأوا..".. وحين تنهي شرحك، أصدر الأمر للتلاميذ بالبدء بقول: "1، 2، 3، انطلقوا". وهنا أيضاً يمكن اختصار هذه الجملة مثلاً بأن يسأل المعلّم: "هل قلت انطلقوا؟" إن بدا له بأنّ أحد الأولاد بدأ العمل باكراً.

أعطِهم الخيار

في الواقع، لا يمكننا أن نجبر الأولاد على الانضباط، غير أنّنا نستطيع أن نجعل حسن السلوك يبدو وكأنّه أفضل الخيارات. وهذا شرط هامّ لإحداث بيئة إيجابيّة وفعّالة للتعلّم. كما أنّه حيوي في إعداد الشباب لحياتهم بعد المدرسة، حين تصبح الخيارات المتعلّقة بالسلوك أكثر أهمية بكثير ("هل يجدر بي الذهاب مع أصدقائي للسطو على ذاك المنزل أم لا؟").

هنا تأتي تقنيّة الخيار. إذ يملك التلاميذ خيارين أساسيّين في الصفّ: إمّا أن ينفّذوا ما يطلبه المعلّم، أو أن يقبلوا بعواقب التمرّد. إن كانت الخيارات والعواقب بسيطة وواضحة بما يكفي، غالباً ما يحول ذلك دون سوء السلوك أو تصاعده. كما أنّه يشجّع التلاميذ على التفكير بتصرّفاتهم السلبيّة وتغييرها لتجنّب العواقب غير المحمودة في المستقبل.

حين يستعمل المعلّم الخيار، يمكنه أن يتجنّب تحوّل بعض المواقف إلى مواجهات شخصيّة. في الواقع، أنت تقول لهم إنّك مسؤول عن تطبيق الأنظمة المفروضة في المدرسة، وإن رفض أحد التلاميذ الانصياع لها، فإنّه يجبرك على تطبيق العقوبات المناسبة، عوضاً عن الإيحاء بأنّه قرارك أنت. عند استعمال الخيار:

- حدّد السلوك الذي تريده.
- أوضح فوائد تنفيذ ما تقوله.
- أوضح عواقب رفض الانصياع لما تطلبه.
- أعطِ التلميذ وقتاً للتفكير بقراره.
- إن قرّر التلميذ عدم الانصياع؛ طبّق العقوبات التي حدّدتها.

إليك مثالان عن معلّم يستعمل الخيار لإظهار ما سيكون عليه الوضع:

إزعاج خفيف

سامي يلعب بلعبة إلكترونية تحت الطاولة.

المعلّمة: سامي، اترك اللعبة من يدك على الفور من فضلك، لكي تتمكّن من متابعة عملك.

سامي: دعيني أنهي هذه اللعبة، أرجوك آنسة؟

المعلّمة: سامي، الخيار لك. أريدك أن تضع اللعبة من يدك على الفور، أو ستجبرني على مصادرتها منك. أنت قرّر. سأعود للتحقّق خلال لحظات.

تنحني المعلّمة لمساعدة التلميذ الجالس قرب سامي. يضع سامي اللعبة من يده بتكاسل.

حادث خطير

سمر في مزاج سيّئ جدّاً. حين دخلت إلى الصفّ، مرّت عبر مجموعة من التلميذات ودفعت إحداهنّ على الأرض.

المعلّمة: [وهي *تشير إلى الباب*] سمر! هذا السلوك غير مقبول. أريدك أن تخرجي معي على الفور، من فضلك، لكي نناقش ما فعلت.

سمر: لا، لن أخرج. هل ستجبرينني؟

المعلّمة: سمر، لديك خياران. أريدك أن تخرجي معي على الفور لنحلّ هذه المشكلة. أمّا إن رفضت، سأرسل بطلب معلّم أعلى لإخراجك من صفّي، وأنا حقّاً لا أرغب بذلك. سأنتظرك في الخارج حتّى تتّخذي قرارك.

حين تدرك سمر أنّ ليس لديها مجال لتكسب هذه المواجهة، تتبع معلّمتها إلى الخارج.

كن *منطقيّاً* ولكن لا تتبع منطقهم

تلقّيت هذه النصيحة من معلّم في مدرسة أسكتلندية. وقد أعجبت بها لأنّها تختصر بشكل رائع مقاربة فعّالة ومتوازنة لضبط السلوك. فما دمت منطقيّاً مع تلاميذك، وليست لديك توقّعات غير واقعيّة حول عملهم أو سلوكهم، لا حاجة بالتالي لأن تتبع منطقهم حول ما تطلب منهم فعله.

فمن المنطقي تماماً، على مستوى الصفّ بأكمله، أن تطلب الصمت التامّ وأنت تشرح الدرس، *ما دمت* لا تستمرّ بالتحدّث إليهم لعشرين دقيقة متواصلة. كذلك، من المنطقي أن تطلب تأدية عمل معيّن بصمت، *ما دمت* لا تتوقّع من الأولاد أن يعملوا بصمت طيلة الحصّة من دون إعطائهم فترات استراحة.

حين يتمّ الاعتراض على تصرّف فردي، غالباً ما يحاول التلميذ جرّ المعلّم إلى مناقشة عوضاً عن تحمّله مسؤوليّة ما حدث. ويتمتّع بعض الأولاد بذكاء حادّ في تحويل انتباه المعلّم. بالتالي، من الأهميّة بمكان أن تتمسّك بموقفك عوضاً عن الانجرار إلى جدل لا ينتهي حول من هو المخطئ. على سبيل المثال، تلاحظ بأنّ أحد الأولاد لا يقوم بأيّ عمل. وحين توجّه له ملاحظة، يلقي باللوم على تلميذ آخر لأنّه سرق قلمه. ثمّ يتمّ جرّك إلى مناقشة مع هذا التلميذ الآخر الذي ينفي مسؤوليّته عمّا جرى. وقبل أن تدرك ذلك، تنسى كلّ شيء عن سوء السلوك الأساسيّ الذي كنت تعترض عليه.

في الواقع، إنّ الجزء المتعلّق بكن منطقيّاً من المعادلة قد يبدو صعباً بعض الشيء بالنسبة إلى المعلّمين. علينا أن نتّخذ قرارات صعبة حول التوازن المناسب الذي يتعيّن علينا تحقيقه. وبينما نسعى إلى وضع معايير عالية وتوقّع أفضل النتائج من جميع تلاميذنا، علينا أن نحافظ على حسّ الواقعيّة. فحين يكون المعلّمون شديدي الصرامة في مطالبهم، من شأن المواجهات والمصاعب أن تنشأ عن ذلك. أمّا إن كانوا بالغي التعقّل والاسترخاء، فسيستغلّ التلاميذ تسامحهم على الأرجح.

استعمل الجمل الصريحة عوضاً عن الأسئلة

من الأخطاء التي يقع فيها المعلّمون أثناء ضبطهم سلوك تلاميذهم استعمال الأسئلة البلاغيّة؛ أعرف أنّني أقع أنا شخصيّاً في هذا الفخّ. إنّه السيناريو الكلاسيكيّ: ينعتك تلميذ بكلمة بذيئة فتكون ردّة فعلك: "ماذا قلت؟" ممّا يجعل التلميذ يُكرّر الإهانة للإجابة عن سؤالك. أعتقد أنّ هذه مسألة عادة بحتة، فكثرة استعمالنا للأسئلة في تعليمنا اليومي تجعلنا نعتاد على هذا النوع من التعبير اللفظي. أمّا الطريقة المُثلى للتخلّص من هذه العادة فهي التالية: "لا تطرح سؤالاً لا تريد جواباً عليه".

أفضل الطرق لتحقيق ذلك هي استعمال الجمل الصريحة لشرح ما تريد عوضاً عن الأسئلة لتبيان ما لا تريد. وهذه المقاربة مفيدة أكثر بالنسبة إلى التلاميذ. لأنّها تحدّد ما عليهم أن يفعلوا عوضاً عن التذمّر ممّا لا يفعلوه. كما أنّها تعطي انطباعاً بأنّ المعلّم يعرف ما يريد، وهو واثق من أنّ الأولاد سينصاعون لأمره. بالطبع، في بعض الحالات يكون استعمال السؤال مناسباً وسترغب بالحصول على إجابة عنه. على سبيل المثال، إنّ سؤال أحد التلاميذ: "هل ثمّة مشكلة اليوم؟" قد يكون نقطة انطلاق جيّدة لمناقشة حول سوء السلوك.

في ما يلي بعض الأمثلة عن أسئلة يمكن استعمالها في جمل صريحة، لأبيّن قصدي بشكل أوضح:

- "لماذا لا تقوم بعملك؟" تصبح: "أريد منك أن تقوم بعملك حتى ننصرف في الوقت المحدّد".
- "لماذا تتصرّف بسُخف؟" تصبح: "أريد منك الجلوس جيّداً في مقعدك والانتباه إلى الدرس، من فضلك".
- "لماذا لا تصغي إلى الشرح؟" تصبح: "أرجو من الجميع النظر إليّ والإصغاء بصمت لو سمحتم".

استعمل التكرار

نتوقّع في معظم الأحيان أن يسمع الأولاد ويفهموا كلّ ما نقوله في الصف من المرّة الأولى. غير أنّ الإصرار على هذا التوقّع غير العقلانيّ قد يُؤدي إلى سوء تفاهم ومواجهات غير ضروريّة.

فمن شأن الصفوف أن تكون أماكن صاخبة ومربكة لتلاميذنا، ما يولّد أسباباً عديدة لعدم تجاوب التلاميذ فوراً مع توجيهاتنا. إليك بعض الحالات التي يجب عليك فيها استعمال التكرار:

- للحصول على انتباه التلميذ قبل إعطاء التعليمات.
- لضمان إصغاء التلميذ عند تحذيره من عقاب محتمل.
- لأنّ تلاميذك لم يسمعوا تعليماتك ربّما من المرّة الأولى.
- لتفسير سوء تفاهم محتمل وإيضاح رغباتك تماماً.
- للتأكيد على تعليماتك وتوضيح ضرورة اتّباعها.

يعتبر التكرار مفيداً على نحو خاص عند معاقبة أحد التلاميذ. في هذه الحالة قد تعمد إلى تكرار:

- اسم التلميذ أو التلميذة للحصول على الانتباه.
- التوجيه الذي أعطيته أو السلوك الذي تريده. (تستطيع الطلب من التلميذ إعادته للتأكد من فهمه له).
- الخيارات المتاحة لتجنّب العقاب.
- العقاب المفروض في حال عدم انصياع التلميذ.

في ما يلي مثال عن كيفيّة استعمال التكرار أثناء حادثة سوء تصرّف. في هذا المثل، يثرثر تامر مع رفيقه عوضاً عن القيام بعمله.

المعلّمة: تامر.

تنتظر المعلّمة لكن ما من جواب.

المعلّمة: تامر. أريد منك النظر إليّ والإصغاء لما أقوله.

تامر: ماذا يا آنسة؟

هو لا يزال ينظر إلى زميله.

المعلّمة: تامر. لقد طلبت منك النظر إليّ والإصغاء، من فضلك.

أخيراً يلتفت وينظر إلى المعلّمة.

المعلّمة: شكراً تامر. أريد منك الآن إكمال عملك. كفى ثرثرةً لو سمحت.

تامر: حسناً إذاً.

يلتفت ويتابع حديثه.

المعلّمة: تامر؟

تامر: نعم؟

المعلّمة: هل لك أن تعيد ما قلتُه؟ ماذا طلبت منك؟

تامر: أن أعود إلى عملي وأكفّ عن الثرثرة.
المعلّمة: جيّد. يسعدني أنّك فهمت. فأنا لا أودّ احتجازك، ولكنّني سأفعل إن لم تكفّ عن الثرثرة وتُتابع عملك.

حدّد الأهداف والوقت

يحبّ الأولاد الأهداف الواضحة. يحبّون إعطاءهم هدفاً محدّداً يسعون إلى تحقيقه. تُساعد الأهداف على تحفيز روح المنافسة الطبيعيّة لديهم ربّما تجاه تلاميذ آخرين في الصّف ولكن أيضاً – وهذا هو الأهمّ – تجاه مستوياتهم السابقة. فالحصول على مقدار واضح من العمل لإنجازه، ضمن مدّة معيّنة، يساعد على إنتاج إحساس بالإلحاح والسرعة في العمل. فهو يعطي بنية واضحة ومحدّدة يعمل التلاميذ على الوصول إليها. ومن شأن الأهداف أن تساعد أيضاً التلاميذ الأقل مقدرة على الشعور بحسّ الإنجاز، فحينما يطلب المعلّم تذكّر خمس كلمات في ثلاث دقائق، فسيتمكّن حتّى التلاميذ الضعفاء من إنجاز هذه المهمة.

ثمّة أنواع كثيرة من الأهداف التي يمكن استعمالها. يمكنك أن تضع هدفاً لعدد الكلمات أو الأجوبة التي ينبغي على التلاميذ إكمالها. كما تستطيع تحديد وقت لإتمام العمل. بوسعك أيضاً تحديد هدف لتحسين السلوك، كبقاء الأولاد في مقاعدهم أو رفع أيديهم. وعند تحديد الأهداف، استعن بالنصائح التالية:

- احرص على أن تتناسب أهدافك مع الصفّ والتلاميذ: لا تجعلها مستحيلة الإنجاز ولا فائقة السهولة.
- أبقِ أهدافك قصيرة ومحدّدة للحصول على التأثير الأكبر: خمس كلمات، ثلاث دقائق وما إلى ذلك.
- استعمل وسائل بصريّة للمساعدة على الفهم، كرفع اليد لتوضيح *خمس كلمات*.
- استعمل الموسيقى لإنتاج جوٍّ من الإلحاح والسرعة، كموسيقى فيلم **المهمّة المستحيلة** مثلاً.
- استعمل مفردات تزيد من حماسة تلاميذك: منافسة، جائزة، تحدٍّ.
- احرص على أن تكون مكافآت بلوغ الأهداف جذّابة فعلاً للصفّ أو التلميذ.

لمزيد من التوضيح حول هذه التقنية، نعرض بعض الأمثل لمعلّم يحدّد أهدافه:

عمل ذو هدف جماعي

"حسناً. سنجري اليوم منافسة. كما ترون، لقد كتبت على اللوح عشرة أسئلة عن عملنا في الحصّة السابقة. الشخص الأول الذي يجيب عن الأسئلة العشرة، في جمل صحيحة، يكون أوّل المغادرين عندما يرنّ الجرس. استعداد، انطقوا!"

عمل ذو هدف فردي

"حسناً، مصطفى. أريد منك اليوم التركيز على وضع النقاط في كتاباتك، لكن ينبغي أن تكون في أماكنها الصحيحة. ولا تهتم للأخطاء الإملائيّة، إذ إنّ تركيزنا اليوم سيكون على استعمال علامات التوقّف. وإن تمكّنت من وضع النقاط كلّها، تستطيع اختيار واحدة من هذه الملصقات الرائعة.

هدف سلوكيّ جماعي

"حسناً أيّها الصف انظروا إليّ، وأصغوا بانتباه لو سمحتم. هذا رائع. سنقوم اليوم باختبار.همهمات من الصفّ. لا! ليس ذلك النوع من الاختبارات. هذا اختبار لمعرفة التلميذ الأكثر انضباطاً في الصفّ. وسيحصل الرابح على جائزة مميّزة جدّاً. أريد أن أرى من يستطيع العمل بهدوء لأطول وقت ممكن، والأفضل بينكم سيأكل لوح الشوكولاته هذا أمام الصفّ كلّه!"

هدف سلوكيّ فرديّ

"الآن سامي، أعرف أنّه من الصعب عليك الجلوس ساكناً في مقعدك، لهذا السبب سأضع لك تحدّياً اليوم. إذا استطعت البقاء جالساً طوال الحصّة، من دون الوقوف ولو مرّة واحدة، ستربح ثلاث تنويهات، وستحصل على تنويه لكل عشرين دقيقة تبقى فيها جالساً. اتفقنا؟"

استعمل روح الدعابة

لروح الدعابة دور لا يستهان به في الصفّ. فالمعلّمون الذين يُضحكون التلاميذ ويستطيعون أن يضحكوا معهم في الأوقات المناسبة، يكوّنون معهم حتماً علاقات جيّدة. بالطبع، سيكون ثمّة أوقات لن ترى فيها الجانب المضحك في الأمر. فصباح الاثنين أو بعد ظهيرة يوم الجمعة، قد تكون متعباً أو نعساً أو تشعر بكلّ بساطة بأنّك لست في مزاج للمزاح اليومي. لكن، إن تمكّنت من جعل العمل والدروس تبدو خفيفة الوطأة على التلاميذ، سيساعدك ذلك حتماً على ضبط سلوك الصفّ.

بالإضافة إلى الآثار الإيجابية لروح الدعابة على التلاميذ، فإنّها تشكّل متنفّساً للتوتّر الذي يتصاعد في صفّ لا يسوده الانضباط. إن تعلّمت الضحك حين تسوء الأمور أو جعلَ التدريس ممتعاً بالنسبة إليك، ستكون أكثر استرخاءً بكثير. وستجد أيضاً بأنّك تتجنّب المواقف الدفاعية في المواجهات التي قد تقع وستتعامل مع أيّة مشكلة تطرأ بأعصاب أكثر برودة.

يمكنك استعمال روح الدعابة لتبديد خطر إهانة شخصيّة، عبر موافقة التلميذ على ما يقوله. وعلى الرغم من صعوبة الحفاظ على الهدوء حين تشعر بالإهانة، إلاّ أنّ هذه التقنيّة تردّ الإهانة عبر رفض الاعتراف بأثرها. هكذا، حين يقول أحد التلاميذ لمعلّمته: "تسريحة شعرك سخيفة حقّاً اليوم". يمكنها أن تجيب ببساطة: "أجل، أعرف ذلك، وأنا أنوي مقاضاة مزيّن الشعر".

تعلّم أيضاً أن تضحك على نفسك حين ترتكب خطأً في صفّك، كأن تتعثّر بسلك أو تقولَ شيئاً غبيّاً. إذ يبدو بأنّ الأولاد يرحّبون كثيراً بالمعلّم الذين يملك القدرة على التقليل من قدر نفسه. وهي طريقة ممتازة لهدم صورة المعلّم المتسلّط، كما تُظهر بأنّك لا تأخذ نفسك كثيراً على محمل الجدّ.

يستحسن عموماً تجنّب السخرية، على الرغم من أنّها تشكّل طريقة ممتازة لتنفيس الغضب في المواقف الصعبة. كما ينبغي تجنّب الضحك على أحد التلاميذ وحثّ التلاميذ على تجنّبه. فمن شأن *مهرّج الصفّ* أن يسرّ لجذب انتباه الآخرين ولكنّ بعض التلاميذ الخجولين قد يشعرون بالحرج إزاء سخرية زملائهم.

ضع نفسك مكانهم

حين تتعامل مع سوء السلوك المستمرّ، من السهل أن تفقد حسّ الرؤية البعيد المدى. إذ تبدأ بالشعور بأنّ التلاميذ يسيئون التصرّف عمداً، وكأنّ دافعهم عداوة شخصيّة. يؤدّي ذلك بدوره إلى ردّات فعل مبالغ فيها تجاه سوء تصرّف بسيط نسبيّاً. حاول أن تطوّر قدرتك على أن تتخطّى نفسك، وأن تنظر إلى ما يحدث في صفّك من منظور الأولاد. حين تصبح معلّماً تأمّلياً وقادراً على تحليل ذاتك، ستنعكس فوائد ذلك على جميع نواحي عملك.

تعتبر هذه التقنيّة مفيدة حين تعطي الصفّ بأكمله عملاً معيّناً ولا يتمكّن من إنجازه. فحين تنظر إلى الموقف من وجهة نظر التلاميذ، لا بدّ من أن تكتشف المشكلة التي ينطوي عليها هذا العمل والتي أدّت إلى سوء السلوك. هل يشتمل على كثير من الإصغاء وقليل من العمل؟ هل يصعب عليهم استيعاب المفهوم؟ أم أنّ التلاميذ يجدون الموضوع مملاً بكلّ بساطة؟

بوسعك كذلك أن تحلّل أسلوبك في التدريس بواسطة هذه المقاربة. فإن واجهك التلاميذ وأنت تحاول تأديبهم، تراجع قليلاً، وانظر إلى طريقة تعاملك مع سلوكهم من الخارج. هل تقول أو تفعل ما يزيد الوضع سوءاً؟ هل ثمّة عوامل خارجيّة تؤثّر على سلوكهم، كالوقت مثلاً؟

حين تبدأ بتأدية دور المعلّم الراشد، لا تنسَ ما كنت عليه وأنت ولد. في بعض الأحيان، يشاغب الأولاد لمجرّد كونهم أولاداً. ولطالما سعى التلاميذ إلى إثارة أعصاب المعلمين منذ أن وجدت المدرسة!

القسم الثاني

المعلّم ومهنة التعليم

4 - المعلّم الناجح

عمليّة التعلّم

يمرّ المعلّم الناجح بعمليّة تعلّم تبدأ منذ لحظة دخوله الصفّ للمرة الأولى ولا تنتهي أبداً، مهما كانت المدّة التي أمضاها في سلك التعليم. وثمّة صفات عدة للمعلّم الناجح: المهارة في التواصل اللفظي وغير اللفظي، القدرة على إدارة الصفّ ومساحة الصفّ، فهم طريقة تكييف أسلوب التعليم مع حالة معيّنة، معرفة التخطيط لدروس عالية النوعية وشرحها. جميع هذه الصفات يمكن تعلّمها وتطويرها، وسيستفيد كلّ منّا من العمل على تطوير ناحية معيّنة من مهنتنا. سأتطرّق في هذا الفصل لمواصفات التعليم الناجح تلك والمرتبطة بالمعلّم كشخص وكناقل للمعلومات أكثر من كونه مربّياً. (انظر الفصل 7 لنصائح عن التخطيط للمنهاج وشرحه).

تجدر الإشارة على الأرجح إلى أنّ بعض الأشخاص ولدوا ليكونوا معلّمين. إذ يبدو أنّهم يملكون قدرة طبيعية على شدّ انتباه الأولاد وإلهامهم، ونقل الأفكار أو المعارف إليهم، وضبط سلوك مجموعات من الأشخاص. يعتمد ذلك إلى حدٍّ ما على الكاريزما والثقة بالنفس وقوّة الشخصيّة. وبالنسبة إلى هؤلاء المعلّمين بالطبيعة، تأتي المهارات والمواقف المفصّلة في ما يلي بشكل غريزيّ. غير أنّنا لم نولد جميعاً معلّمين، وعلى كل حال، فإنّ الرغبة بالتعلّم والتطوّر هي الأهمّ وليس النقطة التي منها تنطلق تلك العمليّة.

المعلّم كمثال أعلى

في البداية، تحتاج فكرة أن تكون مثالاً أعلى إلى نوعٍ من التعوّد. في بعض الأحيان، تكون مثالاً أعلى ببساطة بسبب سنّك أو جنسك أو مجال اختصاصك أو خلفيتك الاجتماعية أو الثقافية. فقد تكون المعلّم الذكر الوحيد في المدرسة الابتدائيّة أو تكونين معلّمة الفيزياء السوداء الوحيدة في منطقتك. ولكنّ فكرة المعلّم كمثال أعلى تتخطّى ذلك. إنّها تقوم على توفير مثال دائم للسلوك المناسب والتصرّفات اللائقة، وغالباً ما يكون ذلك بالنسبة إلى التلاميذ الذين يفتقدون إلى هذا المثال خارج المدرسة. بعض من أصعب تلاميذنا معتادون على الكبار الذين يتصرّفون بطريقة عدوانيّة تفتقد إلى النضج. وسيحتاجون إلى بعض الوقت ليدركوا أنّه ثمّة طرق أخرى للتفاعل مع العالم.

بما أنّ الأولاد يقلّدون ما يرونه، من الأهمية بمكان تذكّر ذلك حين يغضبك تصرّف أحد تلاميذك. فلو ترعرع الولد في منزل تكثر فيه الشتائم، من الطبيعي أن يحمل معه هذه اللغة إلى المدرسة. لكن إن احترمك تلاميذك، سيرغبون بمحاكاتك. وقد يحاكون سلوكك وأسلوبك في التعامل مع الناس، وقد يجتهدون في دراسة المادّة التي تعلّمها وينجحون فيها بامتياز لأنّك ألهمتهم أن يحبّوها مثلك تماماً.

من أفضل الطرق لنكون مثالاً أعلى لحسن السلوك أمام تلاميذنا أن نعاملهم كما نحبّ أن نُعامَل، أي بتهذيب واحترام. قد يتبادر إلى ذهنك أنّ التهذيب هو طريقة مباشرة نسبيّاً لنعتمدها باستمرار. ولكن، حين تختبر التوتّر الناتج عن عدائيّة أو فظاظة التلاميذ المتواصلة، من السهل أن تصبح مثلهم. ذلك أنّك وقبل أن تدرك، ستبدأ بإطلاق ملاحظات فظّة وساخرة، وهو أمر لا تفعله أبداً على الأرجح في حياتك العادية خارج المدرسة.

صحيح أنّ ذلك قد يكون صعباً، ولكن إن تمكّنت من اعتماد أسلوب مهذّب دوماً ستتمكّن من تخفيف وطأة المواقف الصعبة، وإعطائهم مثالاً جيّداً للسلوك الحسن. حين تؤدّب تلاميذاً متمرّدين، تذكّر دوماً بأنّ باقي الصفّ يشاهد ويتعلّم منك. إن رأى بأنّك حافظت على هدوئك وتهذيبك مهما بلغ منك الغضب، سيقتنع بأنّ طريقتك هي الصحيحة وأنّ تصرّف التلميذ خاطئ.

تظهر الأمثلة أدناه معلّمة تتصرّف بطريقتين. لاحظ في المثال الأول كيف أنّ التعليقات سرعان ما تتحوّل إلى معركة كلاميّة فظّة. أمّا في السيناريو الثاني، فتحافظ المعلّمة على استرخائها، وتلطّف جميع التعليقات الفظّة التي يوجّهها لها منير.

المعاملة بالمثل

المعلّمة: منير، باشر بالعمل وتوقّف عن إثارة المتاعب.

منير: لا أريد. هذا العمل سخيف ودروسك مملّة.

المعلّمة: كلاّ يا منير، بل أنت السخيف والمملّ، وليس العمل.

منير: لا تنعتيني بالسخيف والمملّ، أيتها العجوز الغبيّة.

المعلّمة: كيف تجرؤ على قول ذلك! حسناً، أنت محتجز.

منير: حقّاً؟ ولكنّني لن أبقى معك. أنا أكرهك.

المعلّمة: وأنا أيضاً. [*ثم وهي تصرخ*] والآن باشر بالعمل!

اعتماد مثال للسلوك الحسن

المعلّمة: منير، هل لك أن تباشر بالعمل الآن لو سمحت.

منير: لا أريد. هذا العمل سخيف ودروسك مملّة!

المعلّمة: أنا آسفة جدّاً لأنّك تجده كذلك. والآن أنجز العمل رجاءً.

منير: كلاّ لن أفعل! أنت عجوز غبيّة.

المعلّمة: حسناً، قد أكون غبيّة، ولكنّني لست عجوزاً إلى هذا الحدّ، أليس كذلك يا منير؟

منير: [بعد أن أربكته الإجابة تماماً] ماذا؟

المعلّمة: والآن، باشر بالعمل من فضلك. لديك عشر دقائق لإنهائه وأودّ أن أرى النتيجة.

التواصل اللفظي وغير اللفظي الفعّال

حين تقف أمام الصفّ، فإنّك تتقمّص دوراً أو شخصيّة للتواصل مع تلاميذك، تماماً كما يفعل الممثّل حين يقف على خشبة المسرح. ويبدأ التلاميذ بأخذ أفكار عن تصرّفك، جزئيّاً على الأقلّ، انطلاقاً من طريقة استخدامك لصوتك وجسدك. وحين ينقل المعلّمون ثقة كبيرة بالنفس، يساعدهم ذلك على تحقيق مكانة عالية بين تلاميذهم. إذ ينظر إليهم التلاميذ باحترام ويقدّرونهم ويحسنون السلوك لأجلهم بالنهاية.

في الواقع، من الأهمية بمكان أنّ تفكّر بالنواحي الفيزيائيّة للتعليم، لا سيّما إن لم تكن ثقتك بنفسك كبيرة بطبيعتك. تذكّر بأنّه لا يفترض بك بالضرورة أن تشعر بالثقة من الداخل، بل أن تنقل للتلاميذ صورة واثقة عن نفسك من خلال إشاراتك اللفظية وغير اللفظية. ذلك أنّه ومنذ البداية، يبدأ الأولاد بفحص شخصيّتك كمعلّم (وغالباً على نحو غير واعٍ) ليقرّروا كيف سيتصرّفون تجاهك.

استعمال الصوت

يمثّل الصوت بالنسبة إلى المعلّم أداة ينبغي عليه استعمالها كلّ يوم خلال عمله. ومن الحيويّ أن نتعلّم الاعتناء بآلاتنا الصوتيّة، فنحن لا نملك إلاّ واحدة ولا يمكننا إصلاحها إذا ما تعرّضت للتلف. على الرغم من أنّ بعض المعلّمين يتلقّون تدريباً على استعمال تقنية صوتية جيّدة، إلاّ أنّه من السهل التقاط عادات سيّئة مع الوقت. احرص على اتّخاذ وضعيّة صحيحة أثناء التكلّم، قف بشكل مستقيم وحافظ على استرخاء كتفيك وعنقك وذقنك. واعمل على استعمال حجابك الحاجز لإصدار الأصوات عوضاً عن العضلات الموجودة في العنق وحوله. إن كنت غير واثق من صحّة استعمالك لصوتك أو إن كنت تصاب بالبحّة بانتظام، اطلب من مدرَستك إرسالك إلى دورة تدريبيّة.

في الحقيقة، يخبر الصوت التلاميذ بالكثير عن المعلّم، ولديه تأثير قويّ عليهم وعلى نظرتهم إليك. فجميعنا يملك نمطاً أو شخصيّة صوتية تكشف الكثير عنّا للآخرين. فكّر مثلاً بأصوات الشخصيّات البارزة، التي يثير بعضها أعصابك، ويترك لديك شعوراً سلبيّاً تجاه صاحبها عموماً. بالمقابل، يساعد الصوت الجميل في الكلام أو الغناء على توليد شعور إيجابيّ تجاه صاحبه.

يعطي صوتك للآخرين أفكاراً كثيرة عمّا تشعر به. فحين نواجه ظروفاً صعبة، من شأن أصواتنا أن تخون عواطفنا، فتصبح أعلى أو تختفي تحت تأثير الضغط. ويعطي صوتك لتلاميذك إشارة واضحة عن حالتك الداخلية، فيستجيبون للإشارات المعطاة من خلال الطريقة التي تتحدّث بها. ويكمن السرّ في ضبط النفس: إن أردت تغيير نبرة صوتك، ينبغي أن يتمّ ذلك بإرادتك وليس نتيجة للضغط. فبإمكانك أن تجعل صوتك يبدو هادئاً حتّى وإن كنت ثائراً أو سيّئ المزاج.

مع أنّك لا ترغب بالضرورة بأن تكون الطريقة التي تتحدّث بها داخل الصفّ مختلفة تماماً عن طبيعتها، من الأهمية بمكان فهم كيفية تأثير صوتك على قدرتك على ضبط السلوك. فالتواصل

اللفظي الجيد يساعدك على بناء علاقات حسنة مع الأولاد، ويشجّعهم على اعتماد سلوك أفضل كما أنّه يحمي صوتك. في ما يلي بعض النصائح والمقترحات حول استعمال الصوت على نحو أكثر فاعليّة.

مستوى الصوت

قد يصعب على بعض المعلّمين اعتماد مستوى جيّد للصوت والمحافظة عليه. مع أنّنا نودّ لو نستطيع التحدّث بشكل طبيعي مع تلاميذنا، إلاّ أنّ ضغوطات الصفّ تجعل ذلك صعباً في أغلب الأحيان. في الواقع، إنّ إيجاد التوازن المناسب في مستويات صوتك مهمّ جدّاً لضبط سلوك الصفّ. فهو يساعدك على إظهار الاحترام لتلاميذك والقدرة على ضبط أعصابك. ناهيك عن أنّه يساعدك على التدريس بطريقة يسود فيها التفاهم.

يشير الصراخ عادة إلى فقدان السيطرة على الأعصاب، وهو أمر يستمتع بعض التلاميذ برؤيته لدى معلّميهم. من شأن ذلك أن يسبّب أذى كبيراً للصوت من دون أن يكون له أيّ تأثير مباشر على سوء السلوك. أضف إلى أنّه يشير إلى مقاربة تسلّطية قديمة تتناقض مع المقاربات الحديثة للتربية. تذكّر أيضاً أنّ بعض الأولاد (لا سيّما المنضبطون منهم الذين ترغب بتشجيعهم على التقدّم) قد يشعرون بالخوف الشديد إن صرخت في وجههم.

إليك بعض المقترحات لمساعدتك على تعديل مستوى صوتك وتجنّب الرغبة بالصراخ.

- تذكّر أنّه كلّما كنت أكثر هدوءاً كمعلّم، احتاج تلاميذك أن يكونوا هادئين لسماعك. ولكن لا تبالغ إلى حدّ الهمس، لأنّ الهمس المفتعل قد يؤذي الصوت.
- اسعَ إلى اعتماد مستوى الصوت المستعمل في المحادثة، وكن واعياً على الدوام للطريقة التي تؤثّر بها انفعالاتك على صوتك.
- إن شعرت بالغضب يجتاحك، توقّف لبضع ثوان تتمالك فيها نفسك، قبل أن تتابع الحديث. تنفّس بعمق، واخفض صوتك عمداً.
- تعلّم *الإلقاء* كما يفعل الممثّل أمام جمهوره. تخيّل وكأنّ صوتك شيءٌ محسوس – حجر مثلاً – وألقِه باتّجاه الصفّ أو التلميذ.
- من شأن الحديث بصوت مرتفع أن يتحوّل إلى عادة. أصغِ إلى نفسك بانتظام أثناء الحصص، وتحقّق ذهنيّاً ما إذا كنت تتكلّم بصوت مناسب.
- حين تخفض صوتك أثناء شرح الدروس، تخيّل وكأنّك تخفض صوت المذياع. حاول خفض صوتك إلى النصف تقريباً، وستفاجأ كم من الممكن أن تتكلّم بهدوء وتبقى مسموعاً مع ذلك.

- خذ علم الصوت بالحسبان. إن كنت تدرّس في غرف متعدّدة، حاول أن تعدّل مستوى صوتك بحسب الغرفة. وعادة، تصدر الأماكن الفارغة في القاعات والصالات الصدى، فيما تكتم الصفوف المزدحمة الصوت.
- حين ترغب بالتحدّث مع أحد التلاميذ حول سلوكه، اقترب منه، وتحدّث إليه بهدوء بحيث لا يسمعك أحد آخر.
- في بعض الأحيان، يساعد رفع الصوت على توجيه صدمة حادّة قصيرة ومفيدة في صفّ تكثر فيه الثرثرة أو الضجة.
- إن قرّر المعلّم رفع صوته عمداً، يمكن أن يتمّ ذلك من موقع سيطرة على النفس وليس كردّة فعل غريزيّة ولّدها الغضب.
- ضبط النفس يساعد المعلّم في التقنيّات الصوتيّة، إذ يميل الصوت إلى الخروج من عضلات الحجاب الحاجز عوضاً عن التوتّر الذي يشدّ الحنجرة.

نبرة الصوت

للنبرة أهمية كبيرة في إضفاء التشويق والحماسة على دروسك. كما أنّها تساعد على إحداث جوّ من الاندماج مع التلاميذ لأنّها تعطيهم أفكاراً عن حالتك النفسيّة. في الواقع، ثمّة أشكال عديدة للطريقة التي يمكن فيها تنويع شخصيّات المعلّم عبر استعمال نبرات مختلفة. فثمّة عدد كبير من النبرات التي تستعمل للإشارة إلى مجموعة واسعة من الأفكار والأحاسيس وردّات الفعل.

كلّما عملت على استخدام نبرة صوتك، أخذت باستعمال وجهك وجسدك أثناء التدريس. فالصوت الخالي من التعبير يعطي إحساساً بعدم الاهتمام، ويترافق مع تعبير جامد وخالٍ من الحياة في الوجه. إن تحدّث المعلّم من دون استعمال نبرة صوته على الإطلاق، سرعان ما سيملّ التلاميذ ويبدأون بإساءة السلوك. بالمقابل، فإنّ النبرة المفعمة بالحياة تضيء الوجه والعينين وتحرّك الجسد وتعطي إحساساً بالارتباط مع الآخرين.

بشكل عامّ، كلمّا صغر سنّ تلاميذك، توجّب عليك استعمال نبرة صوتك على نحو أكبر. وإن كنت تدرّس تلاميذاً لغتهم الأساسيّة ليست اللغة العربية، فإنّ المبالغة في استعمال نبرة الصوت مع كثير من التشديد يساعدهم على فهم ما تقوله. لكن تذكّر أنّ بعض التلاميذ الأكبر سنّاً أو الساخرين أو غير المهتمّين بالتعلّم، قد يفهمون فرط استعمال نبرة الصوت على أنّه معاملة فوقيّة.

ثمّة نبرات عدّة تعتبر مفيدة جدّاً بالنسبة إلى المعلّم، منها:

- *التعجّب:* إنّ استعمال نبرة تعجّب واهتمام يساعد على جذب اهتمام الصفّ. وقد تستعمل هذه النبرة أيضاً للتعبير عن سرورك لحسن سلوك أحد الأولاد: "أوه! أنا مسرور جدّاً لما فعلته اليوم".

- *الحماسة:* تساعد النبرة الحماسيّة على إضفاء شيء من الطاقة على موضوع أو نشاط معيّن. كما أنّها تحفز الأولاد وتلهمهم للمشاركة التامّة في عملية التعلّم.
- *الجمود:* إنّها نبرة تخبر الأولاد بعدم سرورك، ويمكن استعمالها مع *التحديق الجامد* (انظر أدناه، *استعمال الجسد*). إنّها عبارة عن صوت بارد ومحسوب عوضاً عن الصوت الغاضب.
- *الخيبة:* عند التعامل مع سوء السلوك، تعتبر نبرة الخيبة قيّمة جدّاً. إن كان الصفّ – أو التلميذ – يحترم المعلّم، فإنّ إحساس *لقد خيّبت أملي* يشكّل حافزاً هامّاً للتقدّم.

السرعة

تعتبر السرعة مجالاً مثيراً للاهتمام فيما يتعلّق باستعمال الصوت. إذ تتنوّع الأساليب التي يلجأ إليها المعلّمون بخصوص السرعة التي يحبّون التكلّم بها. ومن الأهمية بمكان تعديل السرعة وفقاً للتلاميذ. فمع الأولاد الصغار، أو التلاميذ الذين تعتبر لغتهم أو مهاراتهم الإدراكية غير متطوّرة، ينبغي عليك التحدّث ببطء ووضوح. أمّا مع التلاميذ الساخرين أو غير المهتمين بالتعلّم فعليك جذب اهتمامهم بالشرح السريع.

حاول بالتالي استعمال سرعات متنوّعة أثناء الحصّة لكي تُضفي شيئاً من التشويق على عمليّة التعلّم. إنّها مسألة توازن: أبقِ الأولاد مهتمّين، ولكن احرص في الوقت نفسه على أن يفهم الجميع ما تقوله. وفي ما يلي بعض الأفكار عن كيفية تأثير السرعة أو البطء، إيجابيّاً أو سلبيّاً، على ضبط السلوك والتعليم.

من شأن الشرح البطيء أن:

- يهدّئ التلميذ.
- يخفّف من حدّة التوتّر.
- يهدّئ صفّاً صاخباً أو مفرط الحماس.
- يساعد على فهم أعمق للدرس.

ولكن من شأنه أيضاً أن:

- يسبّب الملل.
- يشجّع التلاميذ على فقدان التركيز.
- يبدو وكأنّه معاملة فوقيّة.
- يجعل المعلّم يبدو فخوراً بنفسه.

من شأن الشرح السريع أن:

- يحفّز صفّاً غير مهتم بالتعلّم.

- ينبّه ولداً كسولاً.
- يضفي طاقةً وزخماً على الدرس.
- يضفي تشويقاً على مجالٍ مملّ من المنهاج.

ولكن من شأنه أيضاً أن:

- يعيق الفهم السليم.
- يُشعر بعض الأولاد بالإجهاد.
- يجعل المعلّم يبدو مستعجلاً.
- ينهك المعلّم.

مدّة كلام المعلّم

بالحديث عن استعمال الصوت، من المهمّ التفكير بالمدّة التي ينبغي عليك التكلّم فيها. فمن المعروف عن المعلّمين أنّهم يحبون سماع أصواتهم. أنا شخصيّاً قد أكون ممّن يتكلّمون مع تلاميذهم كثيراً ولمدّة طويلة، ولكن حين يطول حديثك لأكثر من خمس أو عشر دقائق، من المحتمل جدّاً أن يملّ بعض التلاميذ على الأقلّ من صوتك، ويبدأوا بإساءة التصرّف. لذا حاول قدر الإمكان تخصيص أقلّ وقت ممكن لكلام المعلّم وأكبر وقت ممكن للتعلّم الناشط.

إنّ الإصغاء لشخص يتكلّم هو نشاط سلبي جدّاً. لذا حين تضطّر للتحدّث لفترات طويلة، حاول إيجاد طرق للحفاظ على اهتمام التلاميذ. أدخل في حديثك تمارين تتطلّب من الأولاد القيام بشيء فعلي. يمكنك أن تطلب منهم مثلاً:

- تدوين ملاحظات.
- انتقاء الكلمات الأساسيّة.
- وضع رسوم بيانيّة.
- تحليل وسيلة بصريّة.
- الإجابة عن أسئلة.
- مساعدتك في إعطاء بعض الإيضاحات.

استعمال الجسد

ثمّة مجموعة واسعة من الإشارات اللفظيّة وغير اللفظيّة التي يستخدمها المعلّمون، وتملك تأثيراً على سلوك التلاميذ، بالطبع نحن نستخدم بعض هذه الإشارات بشكل واعٍ لمساعدتنا على ضبط الصفّ. إلاّ أننا نستعمل أيضاً كثيراً من الإشارات اللاواعية في الوقت نفسه، منها ما ينمّ عن قلّة ثقة بالنفس أو عن شعور بالتوتّر. الطريقة التي يفهم بها تلاميذنا هذه الإشارات تساعدنا أو تعيقنا في عمليّة ضبط السلوك، ففي معظم الوقت يفكّر التلاميذ بكيفية التصرّف استناداً إلى قراءتهم

اللاواعية لما *تقوله* بجسدك، وكما هو الحال مع الصوت، يكمن السّر في وعيك للإشارات التي ترسلها والسيطرة عليها قدر الإمكان.

قد يغريك استعمال التعليمات والإشارات المحكيّة بشكل أساسيّ للتعبير عن رغباتك وتعليماتك للصفّ. إلاّ أنني سأورد في ما يلي بعض الأسباب الوجيهة التي تجعل الإشارات غير اللفظيّة أكثر فائدة وقوّة من غيرها.

- تعطي انطباعاً قوياً بالسيطرة على الصفّ: "أستطيع أن أجعلكم تقومون بما أريد من دون التفوّه بأيّة كلمة على ما يبدو".
- لا تستلزم مجهوداً يذكر من المعلّم ولا تسبّب ضغطاً على صوته.
- يمكن استعمالها مع أفراد من دون تنبيه بقية الصفّ لما يجري، وبالتالي منع التلميذ المشاغب من تشتيت انتباه رفاقه.
- مع الوقت، تتحوّل هذه الإشارات إلى إشارات غير لفظيّة مختصرة يمكن استعمالها *للتحدّث* مع الصفّ.

من شأن الجسد ككلّ أن يؤدي دوراً في التواصل مع التلاميذ، من الوجه وحتّى القدمين. وستجد في ما يلي نصائح عن استعمال مختلف أجزاء الجسد بشكل فعّال. لقد خصصت جزءاً مستقلاً لكيفيّة استغلال مساحة الصفّ على النحو الأفضل.

العينان والحاجبان

عند مخاطبتك للصفّ، حافظ على حركة عينيك، متحقّقاً من أنّ كل الوجوه تتطلّع إليك، وإلاّ فانتظر. تذكّر: لا تتكلّم أبداً حتّى تحصل على انتباه الجميع. فباستعمال عينيك لتفحّص الصّف خلال دروسك، يمكنك ضبط حادثة سوء سلوك قبل حصولها، والقضاء عليها في مهدها.

تشكّل *النظرة المميتة* إشارة غير لفظيّة في غاية الفاعليّة. فهي تشير إلى أنّك تعرف ما تريد (أو على الأقلّ تدّعي ذلك) وأنّك تعرف ما سيحدث إن لم تحصل على ما تريد (انظر الفصل 1). إن تمكّنت من التوصّل إلى هذه الحالة الذهنيّة أو على الأقلّ إعطاء الانطباع بذلك، ستنقل عيناك حالتك الذهنيّة المميتة.

يصعب وصف النظرة المميتة، ولكن حين تتقنها ستدرك ذلك. فهي تخبر التلاميذ أنّ عليهم تنفيذ ما تريده وإلاّ فالعواقب ستكون وخيمة، ومن الأفضل لهم تجنّبها. ولكن احرص على عدم استعمال هذه النظرة خارج جدران المدرسة في حياتك العادية أو تجربتها مع العائلة أو الأصدقاء أو في الشارع أو الباصات.

ورفع الحاجبين هو طريقة جيّدة للتعبير عن المفاجأة أو عدم الموافقة. وبإمكان بعض المعلمين المحظوظين أن يرفعوا حاجباً واحداً لقول: "اعذرني، ولكن ماذا تعتقد نفسك فاعلاً؟" وسرعان ما

سيعتاد تلاميذك على الإشارات غير اللفظيّة التي ترسلها بعينيك. وحين يكون الصفّ غير منتبه للشرح، حاول تحويل عينيك عنه والنظر إلى السقف. فإن كان المعلّم ينظر إلى الصفّ باستمرار، فإن هذه النظرة تقول بوضوح: "أنا أنتظر".

الوجه

يمضي التلاميذ وقتاً طويلاً في النظر إلى وجه المعلّم. وإن وجدوه يتحرّك باستمرار، مبتسماً ومسترخياً، ولكن متنبّهاً على الدوام، سيعتبرون أنّك تمسك بزمام الأمور. وبما أنّ الوجه يكشف أيّ توتّر أو شعور دفاعيّ، ابذل مجهوداً واعياً لإبقاء تعابيرك باردة وهادئة.

اليدان

اليدان هما أداتان معبّرتان جدّاً. يمكننا *التكلّم* بهما مع تلاميذنا تماماً كما نفعل بصوتنا. المعلّم الذي يستخدم يديه كجزء طبيعيّ من عمليّة التعليم يميل إلى جذب الأولاد أكثر من غيره. ثمّة كثير من الإشارات اليدويّة التي يمكن أن تستعملها مع الوقت لإخبار التلاميذ بما تريده بسرعة ومن دون الحاجة إلى التكلّم. لكن تجنّب الإشارة بسبّابتك إلى التلميذ الذي يسيء التصرّف، فمن شأن ذلك أن يولّد ردّة فعل سلبيّة؛ كما أنّه يشير إلى المذنب بطريقة عدائيّة.

ثمّة مجموعة كبيرة من الإشارات اليدويّة التي يمكنك استخدامها:

- وضع إصبعك على شفتيك طلباً للصمت.
- التربيت على الأذن لتطلب من الأولاد الإصغاء.
- الطقطقة للفت نظر أحد التلاميذ.
- وضع يدك على طاولة تلميذ يسيء السلوك.
- مدّ اليد إلى الأمام ورفع الكفّ لقول "توقّف".
- مدّ اليد إلى الأمام والكفّ إلى الأسفل لطلب الهدوء.

الجسد: الوقفة

تنقل وقفتك الكثير إلى الصفّ، شأنها شأن وضعيّة جسدك عموماً. اسعَ لأن تبدو واثقاً من نفسك، استقم وحافظ على استرخاء جسدك، واستعمل وضعيّات مختلفة للإشارة إلى رغباتك. على سبيل المثال، حين تقف مكتوف الذراعين وأنت تنتظر بدء الدرس فأنت تعني بأنّك لن تبدأ ما لم ينفّذ الصفّ ما تريده. أمّا الوقوف مع وضع اليدين على الخصر فهي إشارة أكثر حزماً إن كان الصفّ يسيء التصرّف.

الجسد: الحركات والسكنات

للحركة في بعض الأحيان وقع أكبر من الكلمة. وغالباً ما يطوّر المعلّمون مجموعة كاملة من الحركات المختلفة للتواصل مع تلاميذهم. فقد تنظر بتركيز إلى ساعتك للإشارة إلى أنّ الصفّ

يضيع وقته. وقد تدوّن اسم تلميذ خلال حادثة سوء سلوك، وغالباً ما يدفعهم ذلك إلى التوقّف لمعرفة ما تفعله ولماذا.

والامتناع عن فعل أيّ شيء على الإطلاق يرسل إشارة غير لفظيّة لا تقلّ قوّة عن الحركة. على سبيل المثال، قد تقف ببساطة وتمتنع عن مباشرة العمل إلى أن يتعاون التلاميذ معك. فهذه الطريقة ترسل إشارة واضحة جدّاً عن توقّعاتك ونواياك.

الجسد: المستويات

إن وقوف المعلّم دوماً على نحو مستقيم، بحيث يعلو التلاميذ، ينقل إليهم رسالة سريعة عن تفوّقه عليهم. صحيح أنّك تسعى لأن تكون في موقع السيطرة، ولكنّ هذا لا يعني الإيحاء لهم بأنّك تفوقهم أهميّة. فتنويع مستويات الجسد يظهر للتلاميذ بأنّك شديد الثقة بنفسك وبقدرتك على الإمساك بزمام الأمور. كما يوحي لهم بأنّك تحترمهم بما يكفي للنزول إلى مستواهم فعليّاً ومجازيّاً على السواء.

في الواقع، إنّ تغيير مستوى طولك بالمقارنة مع التلميذ، يرسل مجموعة منوّعة من الإشارات. فالانحناء قرب التلميذ يقلّل من إحساسه بنفوذك أو بالخوف منك. كما يساعد على التواصل بشكل أكثر فاعلية بينك وبينه، بحيث يبقى هذا التفاعل محصوراً بكما.

أمّا حين تضع نفسك في موقع أدنى من موقع التلاميذ (كالجلوس على الأرض مثلاً) فمن شأنه أن يوفّر عنصر المفاجأة المفيد أحياناً. كذلك، أرى أنّ الجلوس أو حتّى الوقوف أحياناً على الطاولة يوفّر تحوّلاً مثيراً للاهتمام في زاوية النظر.

الجسد: المظهر

مع أنّه ليس من الصحيح الاعتراف بذلك، إلاّ أنّه لا مهرب من أن يطلق التلاميذ بعض الأحكام عنك استناداً إلى مظهرك. وباستثناء الجراحة التجميليّة، لا يمكن فعل الكثير إزاء مظهرك العامّ. وعلى كل حال، ليست المسألة عائدة إلى كونك جميل المظهر أو قبيحاً، بديناً أو نحيفاً، بل إلى الطريقة التي تعبّر فيها عن نفسك من خلال مظهرك.

فالمظهر الجادّ يعطي انطباعاً جيّداً لأنّه يوحي بأنّك تأخذ نفسك وعملك على محمل الجدّ. بالمقابل، ينجح بعض المعلّمين، على الرغم من مظهرهم غير التقليديّ، بسبب قوّة شخصيّاتهم. في بعض المدارس، تساعد الملابس الجادّة على تعزيز المظهر السلطوي، فيما يستفيد البعض الآخر من الملابس غير الرسمية المبتكرة.

المعلّم في الصفّ

إنّ الطريقة التي تستعمل فيها مجال التعليم تنقل رسالة غير لفظيّة معقّدة عن أسلوبك، وعمّا إذا كنت ممسكاً بزمام الأمور. فحين ينتابنا شعور دفاعي، من المغري أن نتراجع إلى إحدى زوايا

الصفّ، ربّما بقرب اللوح، لنشعر أنّنا في مكان آمن. ولكن لسوء الحظ، يضع المتمرّدون من التلاميذ خططهم لتعكير جوّ الدرس في الصفّ الأخير من المقاعد. وإن بقيت في المقدّمة، لن تتمكّن من وضع حدّ لهم. إليك بعض الاقتراحات حول استعمال المساحة المتوفّرة لك لإعطاء إشارات غير لفظيّة إيجابيّة.

- *قف بفخر:* مهما شعرت بالسوء، احرص على عدم إظهار مشاعرك. وحتّى إن كان الصفّ يشاغب، قف بفخر ولا تفقد ثقتك بنفسك.
- *عيّن أرضك:* حاول التنقّل في مساحة التعليم قدر ما تسمح لك طاقتك. يمكن القيام بذلك في الوقت الذي يقوم فيه التلاميذ بعمل أو نشاط معيّن، وكذلك أثناء شرح الدرس. فمن شأن ذلك أن:
  - يساعد على تحديد ذلك المجال على أنّه مجالك، ويظهر أنّك تملك السيطرة على المجال كلّه.
  - يبقي تلاميذك على أهبة الاستعداد لأنّهم لا يعرفون متى قد تقترب منهم من الخلف.
  - يضمن لك الاقتراب من كلّ تلميذ أثناء الدرس.
  - يساعدك على رؤية الصفّ والتلاميذ من مختلف الزوايا.
- *اقترب من المشاغبين:* حين نخطّط للمشاكل، آخر ما نريده هو انكشاف أمرنا. لذا، احرص على الاقتراب من الأولاد المشاغبين في صفّك بحيث تجهض أيّة مشاكل قبل وقوعها. وما من داعٍ عادة لقول شيء، فالتلميذ لا يرتاح إلى العبث مع المعلّم الذي يقف قربه.
- *اصدمهم:* من المفيد أحياناً تغيير شكل مساحة الصفّ فجأة. فقد يعني ذلك إعادة ترتيب الصفّ من مجموعات من المقاعد إلى صفوف؛ تنظيف الطاولات والطلب من الأولاد الجلوس على الأرض؛ أو حتّى تغيير اتّجاه الطاولات بالكامل ووضعها بالاتّجاه المعاكس. فتغيير مجال الصفّ يساعد التلاميذ على النظر لما يجري في الغرفة من زاوية جديدة.

النواحي السيكولوجية للتعليم

بالطبع، لا ينحصر التعليم في النواحي الفيزيائية للتواصل اللفظي وغير اللفظي. ثمّة أيضاً مقاربات سيكولوجيّة مختلفة يمكنك استعمالها لمساعدتك على ضبط السلوك. ويقوم ذلك على بقاء المعلّم في إطار ذهني إيجابي بقدر ما يقوم على السيطرة على الصفّ. في الحالات المثالية، ينبغي أن تشعر بالهدوء والاسترخاء وبالتنبّه في الوقت نفسه. إليك بعض المقترحات حول كيفية التوصّل إلى هذه الحالة الذهنيّة.

- *دعهم يتحرّزون باستمرار:* مع أنّني أكّدت سابقاً على أهمية الثبات مع التلاميذ، إلاّ أنّه من غير المجدي أن يكون التلاميذ قادرين على توقّع جميع ردّات فعلك طيلة الوقت. بوسعك أحياناً – أحياناً وحسب – إدخال تغيير مفاجئ على أسلوبك التعليمي. فربّما كنت هادئاً وحازماً عادةً، ولكن أرِهم فجأة جانباً آخر من شخصيّتك، أكثر صخباً وحدّة.
- *كن متقلّباً:* كذلك، بإمكانك أحياناً، عند الضرورة، أن تغيّر طريقتك بأكملها على نحو فجائيّ. على سبيل المثال، كنت تشرح درساً وتمضي حصّة جيدة فعلاً حين يقرّر جهاد إفساد الأمر عبر التسبّب بالفوضى. قد يكون من المفيد عندها أن تلتفت نحوه قائلاً بحدّة: "كيف تجرؤ على إفساد هذه الحصّة الرائعة!" ثم تستعيد هدوءك ولطفك مجدّداً.
- *أقنع نفسك:* إن كنت تستطيع إقناع نفسك فعلاً أنّك تتحكّم بزمام الأمور، فافعل وستبدو كذلك. إن كنت تعرف حقّاً من أين تأتي (كن مدركاً) وما تريده بالضبط (كن محدّداً) تكون قد ربحت المعركة السيكولوجية.
- *حافظ على مسافة سيكولوجيّة:* على الرغم من صعوبة الأمر، تعلّم الحفاظ على مسافة *سيكولوجيّة* من سوء السلوك الذي تواجهه. تجنّب التورّط عاطفيّاً في حوادث سوء السلوك وهذا ما سيساعدك على البقاء على مسافة ممّا يجري والإحساس بالسيطرة على الوضع.
- *لا تأخذ الأمور على نحو شخصيّ:* عوضاً عن اعتبار سوء التصرّف إساءة ضدّك، من الأجدى النظر إليه بتعاطف. تذكّر أنّ الأولاد الذين يسيئون التصرّف يعانون من مشاكل خاصّة. في النهاية، مهما كان صفّك مشاغباً، فليست تلك نهاية العالم.

5 - أساليب التعليم

ما هو الأسلوب التعليمي؟

بالطبع، تتنوّع أساليب التعليم بتنوّع المعلّمين، فنحن نعمل جميعنا كلّ على طريقته الفريدة. وهناك العديد من العوامل التي تتّحد لتكوّن أسلوب التعليم: شخصيّتك، مظهرك، طريقة كلامك، طريقة استعمالك للحركة والمساحة، مستويات السيطرة التي تستخدمها... في الحقيقة، كلّ ما تفعله في الصفّ (وخارجه) يُضيف إلى أسلوبك التعليمي الخاص.

إن الأسلوب التعليمي لكل معلّم يتطوّر مع مرور الوقت. فعند دخولك الصفّ لأول مرّة، قد تستخدم أسلوباً يوحي بالتردّد وقلّة الثقة. وهذا أمر محتّم تقريباً، ما لم تكن بالغ الثقة بنفسك. فأنت تحتاج إلى فرصة للاختبار والوقوع في الخطأ للوقوف على قدميك. تجدر الإشارة إلى أنّه ليس عليك أن تكون في الصفّ الشخص نفسه الذي أنت عليه في الخارج. يمكنك أن تتقمّص شخصيّة المعلّم الواثق من نفسه والودود بالرغم من شعورك الداخليّ بالخجل والخوف. ذلك أنّ دور الصورة التي تنقلها إلى التلاميذ لا يقلّ أهميّة عن حقيقة الوضع.

مهما كان الأسلوب الذي ستخلص إلى استعماله، ثمّة عدد من المقاربات التي ستساعدك على ضبط سلوك تلاميذك. يمكنك اتّخاذ قرار واعٍ بإدخال هذه التقنيّات في أسلوبك، لمساعدتك في السيطرة على تصرّفات الأولاد. فالأسلوب التعليميّ الفعّال سيظهر لصفّك أنّك صاحب السلطة، ولكن بطريقة إيجابيّة، محترمة وإنسانيّة.

تطوير أسلوب تعليميّ جازم

تتراوح أساليب التعليم ما بين السلبي، الجازم، والعدائي، مع كون الأسلوب الجازم المقاربة المثلى لضبط السلوك على نحو فعّال. من المفيد فهم عناصر هذه المقاربات المختلفة، حتّى يتحقق التوازن الصحيح في أسلوبنا التعليمي. قد يميل بعضنا بشكل طبيعي نحو الأسلوب العدائي والاستبداديّ، كما قد نضطّر إلى كبح نزعتنا الغريزيّة نحو التجريح، وردّات الفعل الحادّة. في المقابل، يميل بعضنا أكثر إلى اعتماد مقاربة سلبيّة ودفاعيّة، وقد نحتاج إلى بناء الثقة والإيمان بالنفس.

في الحقيقة، للظروف التي تعمل فيها تأثير كبير على الأسلوب الذي تتبنّاه. فإن كنت تعمل في مكان تكثر فيه حالات سوء السلوك، ستشعر أنّك *عرضة للهجوم* المتواصل من قبل التلاميذ. وفي هذه الحالات، يكون من الصعب عدم القيام *بهجوم مضادّ* وذلك بأن نكون عدائيين نحن أيضاً. مع ذلك، كلّما كان التلاميذ صعبي المراس، أصبح من المتوقّع أكثر أن يتصرّفوا بطريقة سيئة تجاه

أسلوب تعليمي مفرط العدائيّة. بالمقابل، قد تميل في مدرسة *سهلة* (إن كان ثمة وجود لها!) نحو السلبيّة الزائدة، وذلك بتسليم التلاميذ السيطرة شبه التامّة على الصفّ.

في ما يلي وصف لتلك المقاربات الثلاث، إضافة إلى بعض الأفكار حول كيفيّة تحقيق أسلوب إيجابيّ جازم في تعليمك.

الأسلوب السلبيّ

يتميّز الأسلوب السلبيّ بعدم الفاعليّة وبالروح الدفاعيّة، فضلاً عن مقاربة انطوائيّة وذاتية التوجّه. إذ يسلّم المعلّم زمام السيطرة على الصفّ إلى التلاميذ. فعند ضبط السلوك، يميل المعلّم إلى استعمال الأسئلة عوضاً عن الأوامر. ويعني هذا التردّد أنّ ليس لدى التلاميذ فكرة واضحة عمّا يريده المعلّم منهم.

إليك مثال على حادثة وقعت في الصفّ وعولجت بشكل سلبي:

يحمل رامي في يده طائرة ورقية ويزعج الصف مهدّداً بإلقائها إلى الجانب الآخر من الغرفة.

المعلّم: رامي، ماذا تفعل بهذه الورقة؟

رامي: لا شيء.

المعلّم: أأنت واثق من ذلك؟

رامي: طبعاً أنا واثق. [*ويرمي الطائرة*]

المعلّم: لكنّك قلت إنّك لا تفعل شيئاً!

الأسلوب العدائي

في الأسلوب العدائي، يميل المعلّم إلى فقدان السيطرة على نفسه، وغالباً ما يغالي في ردّة فعله أمام سوء تصرّف بسيط. سيكون المدرس واضحاً ومحدّداً جداً بشأن المستويات المتوقّعة. ومع ذلك، فإن هذه المستويات تطبّق بدون الاستعانة بالمنطق أو المرونة، ومن دون أخذ الحاجات الفرديّة للتلميذ بعين الاعتبار.

يميل المعلّم العدائي إلى الصراخ، استعمال لغة جسد عدائيّة وغالباً ما يكون فظّاً. هذه هي المقاربة التعليميّة القديمة الطراز، التي يقوم فيها المعلّم بدور صاحب السلطة، ويتعيّن على التلاميذ تنفيذ كلّ ما يطلب منهم من دون أسئلة. قد يستعين بعض المعلّمين بعناصر هذه المقاربة في أسلوبهم (راجع وصف المعلّم *الجدّي الصارم والمخيف* أدناه). فيضطرّ التلاميذ للخضوع بسبب شخصيّة المعلّم أو موقع المسؤوليّة، مما يبقي الصفّ تحت السيطرة. مع ذلك، يبقى احتمال الانفجار وارداً، كما سترى لاحقاً. كما أنّ بعض التلاميذ الهادئين قد يمضون الحصص في حالة من الخوف.

يحمل رامي في يده طائرة ورقية ويزعج الصف مهدّداً بإلقائها إلى الجانب الآخر من الغرفة.

المعلّم: [*صارخاً*] ماذا تظنّ نفسك فاعلاً؟ أعطِني هذه فوراً!
رامي: ولكن، أستاذ، كنت فقط...
المعلّم: توقّف عن قول التفاهات. هل أنت مغفّل أم ماذا؟ طائرة. أعطِني إيّاها، فوراً.
رامي: لا تصرخ بي.
المعلّم: لا تقل لي ماذا يجب أن أفعل يا ولد.
رامي: لن أبقى في صفّك السخيف.
المعلّم: كيف تجرؤ على وصف صفّي بالسخيف!
رامي: أنا خارج من هنا.[*ويندفع خارج الصف*]
المعلّم: إلى أين تظنّ أنّك ذاهب؟! أنت في ورطة كبيرة الآن...

الأسلوب الجازم

استعمالك لأسلوب تعليم جازم يقوم على تأكيد سيطرتك على الموقف، مع البقاء عقلانيّاً ومهذّباً في ما تطالب به. النصائح المعطاة من خلال هذا الكتاب ستساعدك على تطوير مقاربة جازمة في تعليمك. بشكل عامّ، تحتاج إلى أن:

- يكون لديك توقعات واضحة وثابتة عن السلوك والعمل.
- تكون مصمّماً ومتأكداً من قدرة تلاميذك على تحقيق توقّعاتك.
- تكون مرناً في طلباتك عندما تستدعي الحالة ذلك.
- تبقى هادئاً ومهذّباً في كل الأوقات، وتعامل تلاميذك كما تريدهم أن يعاملوك.
- تستعمل جملاً مدروسة لمساعدتك في ضبط السلوك.
- تسأل مرّة بلطف، ثم مرّة بحزم، ثمّ تضع حدّاً للسلوك الذي لا يعجبك.

مجدّداً، إليك مثال لشرح ما أعنيه:

يحمل رامي في يده طائرة ورقية ويزعج الصف مهدّداً بإلقائها إلى الجانب الآخر من الغرفة.

المعلّم: رامي، أعطِني هذه الطائرة الورقيّة الآن من فضلك.
رامي: كلاّ.
المعلّم: رامي، أريدك أن تعطيني الطائرة الورقيّة على الفور.
رامي: ولكنّها لي.
المعلّم: رامي، إن واصلت الجدل ستجبرني على احتجازك. [*يمدّ يده.*] أعطِني الطائرة الورقيّة *الآن*.

يسلّم رامي الطائرة الورقيّة إلى المعلّم.

أساليب التعليم الناجحة

المعلّم هو الذي يحدّد أسلوب ضبط السلوك الذي يناسبه. فلا جدوى من محاولتكِ استعمال الأسلوب الصارم إن كنت قصيرة القامة، ناعمة الصوت وتكرهين الصراخ. بالمقابل، يمكنك الاستفادة من النموذج الصارم في بعض الدروس. في الواقع، من الأكثر فاعلية أن يتحوّل المعلّم الهادئ عادة ليصبح مخيفاً فجأة. إذ إنّه بذلك يبقي التلاميذ حذرين على الدوام.

في كلّ مدرسة، ثمّة معلّم واحد على الأقلّ يخشاه التلاميذ بعض الشيء. وغالباً ما يكون هذا المعلّم في موقع سلطة. فكلّما تقدّم مركزك في المدرسة، حصلت على احترام أكبر. وبوسع هذا المعلّم أن يكون صارماً من دون أن يبذل مجهوداً كبيراً، بسبب سمعته عادة. وفي هذه الحالة، يكون الأسلوب *الصارم والمخيف* فعّالاً، وإن كنت لا أعتبره الخيار المفضّل لديّ.

فبالنسبة إلى أغلب المعلّمين، يعتبر الخيار *الجازم والمرح* هو الأفضل. إذ يجسّد هذا الأسلوب أسلوب التعليم الجازم الموصوف أعلاه. على الرغم من صعوبة اكتساب سمعة المعلّم *الحازم والمرح*، إلاّ أنّه عند حدوث ذلك سترى تلاميذك ينفّذون ما تريده ولكنّهم في الوقت نفسه يرتاحون إليك ويسرّون لصحبتك. وفي ما يلي وصف لهاتين المقاربتين.

المعلّم الصارم والمخيف

هذا النوع من المعلّمين مألوف لدى معظمنا، إمّا لأنّنا نعمل مع شخص يعتمد هذه المقاربة، أو لأنّنا كنّا تلاميذاً لدى معلّم من هذا النوع. ومن خصائص المعلّم الصارم والمخيف:

- طلب التزام سلوك ممتاز طيلة الوقت.
- توفّر مستوى عالٍ من السيطرة على التلاميذ، كالاصطفاف بصمت قبل دخول الصفّ أو العمل بصمت تامّ خلال الحصّة.
- انعدام التفاوض تقريباً بخصوص أنظمة أو حدود السلوك مع الصفّ. فما يقوله المعلّم ينفّذ من دون نقاش.
- غالباً ما يصرخ المعلّم في وجه التلاميذ عند تنفيذ عقوبة ما.
- يتمّ اللجوء إلى العقاب بشكل متكرّر لضبط الصفّ.
- ينفَّذ العقاب عند أولى إشارات سوء السلوك.

لهذا الأسلوب التعليمي إيجابيّات وسلبيّات عديدة على التلاميذ والمعلّم على حدٍّ سواء:

الإيجابيّات:

- يتعلّم التلاميذ أنّ عليهم الانضباط وإلاّ فسيواجهون العقاب. هكذا يصبح من الأسهل تدريجيّاً ضبطهم حالما يفهمون الحدود المفروضة عليهم.
- يكون الصفّ منضبطاً عادة ما يسمح بإنجاز كمية كبيرة من العمل. فالتلاميذ المشاغبون لا يقاطعون مجرى الدروس بقلّة انضباطهم.

- لا يضطرّ المعلّم إلى الكفاح ليبقى في مزاج جيّد ومرِح، بل بإمكانه تخفيف بعض من توتّره عبر الصراخ في الصفّ.

السلبيّات:

- هذا الأسلوب منهك جسدياً للمعلّم. فإن أكثر من الصراخ، سيتعب صوته أو يتعرّض للضرر.
- يحتاج المعلّم لأن يتمتّع بهيبة جسديّة لينجح في هذا الأسلوب التعليمي أو ليفرض وجوده.
- قد ينتهي بعض الأولاد الهادئين والمنضبطين في حالة من الخوف المستمرّ.
- تتقلّص فرص العمل الاستكشافي أو الإبداعي أو الجماعي لأنّ المعلّم يحتاج إلى الحفاظ على الصمت، وهو عنصر أساسي في هذا الأسلوب.
- مع أنّ التلاميذ سيلتزمون بحسن السلوك لأجل هذا المعلّم، إلاّ أنّهم لن يحبّوه فعلاً.
- تتزايد فرص المواجهات الجادّة. فلو قرّر أحد التلاميذ الوقوف في وجه هذا النوع من المعلّمين، من المستحيل تقريباً على المعلّم *الصارم والمخيف* التراجع من دون أن يخسر ماء وجهه.

المعلّم الحازم والمرِح

هذا ما أعتبره شخصيّاً النموذج المثالي للتعليم وضبط السلوك على السواء. فالمعلّم *الحازم والمرح* يكسب حبّ التلاميذ واحترامهم. وفي ما يلي بعض مميّزات هذا المعلّم:

- يقوم المعلّم بإخبار الصفّ بما يتوقّعه بالنسبة إلى السلوك منذ البداية، ويلتزم بهذه الأنظمة على الدوام.
- تخضع هذه القواعد لشيء من المرونة في الأوقات المناسبة.
- يرفع المعلّم صوته عند الضرورة ولكن لا حاجة إلى ذلك عادة.
- يجعل المعلّم العمل مثيراً للاهتمام ويضع لتلاميذه أهدافاً صعبة ولكن قابلة للتحقيق.
- يركّز على وسائل التحفيز الإيجابيّة ويستخدم المكافأة أكثر من العقاب.
- عند استعمال العقاب، يوجّه المعلّم أوّلاً سلسلة من التنبيهات.
- يتعرّف المعلّم على تلاميذه على المستوى الشخصيّ.

لهذا الأسلوب التعليمي الإيجابيّات والسلبيّات التالية:

الإيجابيّات:

- يتعلّم التلاميذ الانضباط من خلال الالتزام بحدود ثابتة. وحالما يتعرّفون على تلك الحدود، يلتزمون بها من دون أن يطلب منهم ذلك.
- يكون الصفّ منضبطاً عادة ويتمّ إنجاز كمية لا بأس بها من العمل.

- يمتاز هذا الأسلوب باسترخاء أكبر ويسبّب ضغطاً أقلّ على المعلّم والتلاميذ على حدٍّ سواء. إذ تتقلّص فيه فرص الصدامات.
- ثمّة فرص أكبر للعمل المبدع والاستكشافي.

السلبيّات:

- ثمّة خيط رفيع يفصل بين الحزم والتراخي مع الصفّ. وإن قطع هذا الخيط سيكون من الصعب إصلاح الموقف.
- على المعلّم أن يثابر على تطبيق الأنظمة واحترام الحدود.
- على المعلّم أن يبقى بمزاج جيّد ومرح طيلة أو معظم الوقت.
- من شأن بعض التلاميذ الأقلّ انضباطاً أن يستغلّوا الوضع بسهولة أكبر.

تحسين أسلوب التعليم

بالطبع، تتنوّع أساليب التعليم بين معلّم وآخر. بعضهم يؤدّي دور المهرّج، مستعملاً الكثير من المرح لكسب ودّ الأولاد، فيما يلجأ البعض الآخر إلى مقاربة عملية جدّاً. ولا شكّ أنّه من الحكمة التركيز أكثر على تلك الأجزاء من شخصيّتك التي تجذب الأولاد، والتخفيف من استعمال الأوجه السلبيّة. وفي ما يلي بعض الاقتراحات لصقل أسلوبك التعليمي وتحسينه.

اكسر العادة

سرعان ما يستنتج التلاميذ الأسلوب الذي يتوقّعونه من المعلّم استناداً إلى مظهره. على سبيل المثال، إن كنت ضخم الجثّة، عريض المنكبين وتتمتّع بهيبة جسديّة، سيتوقّعون على الأرجح استعمالك لأسلوب المعلّم *الصارم والمخيف*. في الواقع، سيكون من المثير للاهتمام خرق هذا النمط وتحدّي توقّعاتهم.

كن شخصاً واقعيّاً

ليس من السهل تحقيق التوازن بين أن ينظر إليك على أنّك معلّم، وإعطاء التلاميذ الإحساس بأنّك كائن بشري أيضاً. لقد وجدت بأنّ التقليل من قدر الذات ينجح في تحقيق مفعول الشخص الواقعيّ. فحين ترتكب خطأً ما، لا تتردّد في الاعتراف بذلك. كن شجاعاً بما يكفي واسخر من نفسك حين تقول شيئاً لا يخلو من الغباء.

لا تحاول أن تكون صديقاً لهم

من الأخطاء التي يقع فيها المعلّمون الجدد أنهم يحاولون مصادقة تلاميذهم، على أمل كسبهم إلى جانبهم. أظنّ الأمر مغرياً، لا سيّما إن كنت قريباً من سنهم. مع ذلك، تذكّر أنّه سيصبح من الصعب عليك اتّخاذ تدابير جديّة عند أيّ خرق للحدود. بالتالي، حافظ على مسافة معيّنة بينك وبينهم، مهما كنت على انسجام معهم كأشخاص.

احتفظ بجانب غامض في شخصيّتك

على الرغم من أنّك ترغب بأن يراك تلاميذك كإنسان واقعيّ، إلاّ أنّه ليس من المستحسن كشف الكثير عن نفسك. فالتعليم ليس كلّ حياتك في النهاية، ومن المفيد نفسيّاً إبقاء جزء من حياتك سرّيّاً ومنفصلاً عن عملك. فضلاً عن ذلك، فإنّ إبقاء جانب غامض عن نفسك سيولّد الفضول في نفس تلاميذك لمعرفة المزيد. وضّح للتلاميذ أنّ لديك حياة كاملة وممتعة خارج المدرسة، وتحبّ إبقاءها شخصيّة. ولا بأس بذكر بعض التلميحات الموجزة - كم أنّ حياتك الخاصّة ممتعة – من دون إزالة عنصر الغموض الأساسي.

كوّن سمعة حسنة

من الرائع أن تسمع التلاميذ صدفة يتحدّثون إيجابيّاً عن دروسك مع زملائهم. فالكلمة التي تقال عن المعلّم تترك أثراً عظيماً على سلوك التلميذ (إمّا إيجابيّاً أو سلبيّاً!). وتذكّر أنّ تلاميذنا يتحدّثون عنّا في الملعب تماماً كما نفعل نحن في غرفة المعلّمين. وثمّة طرق عدّة لتكوين سمعة حسنة وتعزيزها:

- *ابقَ في المدرسة لوقت طويل:* مع مرور الوقت، ستسبقك سمعتك (الحسنة على ما آمل). فالكثير من المدارس يتوالى عليها الإخوة والأخوات الأصغر سنّاً لمن هم فيها أصلاً. وكن واثقاً أنّهم يتحدّثون عن معلّميهم في المنزل قبل مجيئهم إلى المدرسة.
- *استعمل درساً أو دروساً غير اعتيادية:* فالدرس الملهم يؤثّر على سلوك التلاميذ نحو الأفضل ويُسهم في إكسابك سمعة جيّدة.
- *كن مسلّياً:* إن شعر تلاميذك بأنّك معلّم مسلٍّ ومرح، سيخبرون زملاءهم بكلّ شيء عنك. وحين يصل أولئك التلاميذ إلى صفّك في المستقبل، سيكون لديهم توقّع إيجابي مسبق تجاهك.

اعتماد مقاربة إيجابيّة

لا تنسَ أبداً أنّ التعليم لا يقتصر على التعامل مع التلاميذ السيّئي السلوك، بل يشتمل أيضاً على العمل مع تلاميذ منضبطين. التركيز على التعامل مع الأولاد المشاغبين قد يفسد نظرتك إلى مهنتك ويؤثّر على آمالك في ضبط سلوك تلاميذك. حاول بالتالي التركيز على التلاميذ المنضبطين واكسب العدد الأساسي إلى جانبك. فهؤلاء غالباً ما يؤثّرون على سلوك القلّة المشاغبين الذين سيبدأون بالشعور بأنّ تصرّفاتهم غريبة بينهم.

حين تعتمد مقاربة إيجابيّة، تستطيع المحافظة على حسّ المرح والإدراك السليم. إن تمكّنت من تحقيق ذلك، ستشعر بتوتّر أقلّ حين تواجه المواقف الصعبة. تعلّم النظر إلى كلّ ما يحدث في صفّك من زاوية إيجابية عوضاً عن السماح لتلك الأحداث بجعلك ساخراً وسيّئ المزاج.

أنا أعلم أنّه من السهل جدّاً الانزلاق في الطريق السلبي، لا سيّما إن كنت تعمل في مدرسة صعبة. فحين تسوء الأمور في الصفّ – يبدأ التلاميذ برمي الكراسي على بعضهم متجاهلين وجودك ولا يهدأون ببساطة – يظلّ من المغري توقّع الأسوأ. إذ يتصاعد توتّرك حتّى قبل أن يصل التلاميذ إلى صفّك. مع ذلك، تذكّر أنّ السلوك السيّئ لا يصدر أبداً عن جميع الأولاد، مهما بدا لك ذلك صحيحاً. في ما يلي بعض النصائح عن كيفية اعتماد مقاربة وأسلوب تعليم إيجابيّين على الدوام مع تلاميذك:

- *ركّز على الأمور التي تسير على نحو جيّد:* حين يكثر سوء السلوك في الصفّ، يسهل التركيز عليه ونسيان الأمور التي تسير بشكل حسن. في الواقع، أفضل طريقة في بعض الأحيان للتعامل مع العنصر المشاغب هي تجاهله، شرط ألاّ يؤثّر تصرّفه سلباً على بقيّة الصفّ. أثنِ على عمل أحد التلاميذ، وأظهر أنّ ذاك هو ما يجذب اهتمامك، عوضاً عن السماح لسوء السلوك بصرف انتباهك.
- *ركّز على إنجازاتك:* كذلك، حين تواجه سوء السلوك يوميّاً، من السهل أن تفقد حسّ الإدراك. توقّف للتفكير بكلّ الإنجازات الجيّدة التي حقّقتها مع تلاميذك. فجعلهم يلزمون أماكنهم، أو يصغون إليك حين تخاطب الصفّ، قد يمثّل إنجازاً عظيماً.
- *حافظ على نشاطك:* من شأن التعليم أن يكون مرهقاً، لا سيّما في الفترات التي تكثر فيها الاجتماعات ولقاءات الأهل وغيرها من المتطلّبات خارج ساعات التدريس. ومع أنّ المشاركة في النشاطات الإضافية تشكّل طريقة ممتازة لتحسين العلاقة بين المعلّم والتلاميذ، احرص على عدم الإكثار منها. بل خصّص وقتاً للحياة خارج المدرسة، ما سيساعدك على اعتماد أسلوب متجدّد والحفاظ على إيجابيّتك.
- *لا تصبح دفاعيّاً:* من الصعب ذلك، ولكن حاول ألاّ تصبح دفاعيّاً حين تواجه سوء السلوك. فمن السهل الانزلاق إلى تلك الحالة الذهنية التي ترى فيها الأمور في أسوأ حالاتها. حاول الاستجابة بذهنك لا بقلبك، ولا تسمح لسوء التصرّف بالتأثير على أسلوبك بأكمله.
- *استعمل لغة إيجابيّة:* بإدخال تغيير بسيط على اللغة التي تستعملها مع تلاميذك، يمكنك إحداث جوّ إيجابيّ جدّاً في صفّك. على سبيل المثال، يمكنك تحيّة الأولاد بعبارة: "أنا سعيد برؤيتكم! كم أتشوّق للعمل الرائع الذي ستقومون به اليوم!" مع هذه المقاربة الإيجابيّة، ستجد حتّى أكثر التلاميذ سلبيّة وسخرية يرغبون بأن يكونوا عند حسن ظنّك.

6 – المكافأة والعقاب

لماذا نستخدم المكافأة والعقاب

يمثّل نظام المكافأة والعقاب طريقة للتشجيع على الالتزام بسلوك أفضل. إذ تساعد المكافآت على تحفيز التلاميذ، لا سيّما من لا يملك منهم ميلاً طبيعيّاً للعمل الجادّ. أمّا العقوبات، فهي وسيلة لجعل الأولاد يعملون ضمن الحدود التي وضعناها لهم. ففي حال لم يلتزم التلميذ بسلوك معيّن، ستكون النتيجة قصاصاً مناسباً. ومثال العصا والجزرة مفيد هنا. فجميعنا يتجاوب مع التشجيع أكثر منه مع العقاب. وتذكّر أنّ الاستجابة إلى المكافأة والقصاص على حدٍّ سواء تعتمد على الظرف. على سبيل المثال، يعتبر الاحتجاز فعّالاً جدّاً في بعض المدارس، إلاّ أنّه يؤدّي في مدارس أخرى إلى نتائج عكسية.

عن المكافآت

تعتبر المكافأة واحدة من أكثر الطرق فاعلية للحثّ على السلوك الحسن. فقبل أن تفكّر حتّى بتطبيق العقوبات، ابحث في المكافأة التي يمكن استعمالها، إذ من شأن ذلك أن يساعدك في الحفاظ على جوّ إيجابيّ في الصفّ. بالطبع، لا يقوم الأمر ببساطة على توزيع مئات العلامات الإضافية والملصقات من دون تمييز. ليكون للمكافأة تأثير مباشر على السلوك، من الأهمية بمكان استعمالها بحكمة.

نحن نعمل بدوام جزئي على الأقلّ مقابل مكافأة ملموسة هي تقاضي راتب. بالتالي نحن نملك سبباً قويّاً لنبقى محفّزين. بالطبع، وبالنسبة إلى كثير من المعلّمين، إنّ السبب الذي يدفعهم إلى العمل لا يقتصر على ذلك. فعملنا يشتمل على الكثير من الفوائد، وليس أقلّها متعةُ رؤية الأولاد ينشأون ويتعلّمون. في الواقع، إنّ بعض الأولاد يعملون بجدّ ويلتزمون بحسن التصرّف من دون الحاجة إلى مكافآت. هؤلاء هم الأولاد الذين تعلّموا قيمة وأهميّة المدرسة لمصلحتهم الخاصّة. وهم قادرون على تأخير المكافأة لأنّهم يفهمون الفوائد البعيدة الأمد للحصول على تعليم جيّد. بالمقابل، يحتاج تلاميذ آخرون إلى مكافآت وتأكيدات مستمرّة لأنّهم يفتقدون إلى ذلك الدافع الذاتي الذي يبقيهم متحفّزين.

إلاّ أنّ أفضل المكافآت تذهب أدراج الرياح ما لم تعرف إلى أيّ حدّ يمكنك أن تذهب في رشوة تلاميذك. يعتمد ذلك على قيمك الخاصّة وعلى ما تسمح به المدرسة. على سبيل المثال، لكي تحصل على تركيز صفّ صعب المراس، قد تعرض عليه مكافأة قيّمة جدّاً من اختياره (كالاستماع إلى الموسيقى). مع أنّ ذلك قد لا يكون مسموحاً، إلاّ أنّه حافز فعّال جدّاً. عدا عن أنّه يكسبك سمعة شخص لا يرفض التفاوض.

في ما يلي بعض النصائح العامّة عن الاستعمال الفعّال للمكافأة. مع أنّ معظم ما سيلي قد يبدو بديهيّاً، إلاّ أنّه من السهل نسيان هذه الأمور.

- *يجب أن تكون المكافأة مرغوبة:* لا جدوى من استعمال مكافأة لا يريدها التلاميذ. ليكون للمكافأة معنىً، ينبغي أن تكون ذات قيمة لديهم، يجب أن يرغبوا بالحصول عليها. ففي بعض الأحيان، لا تنجح المكافآت التي تقترح المدرسة استعمالها ضمن سياسة سلوكية معينة في إحداث المفعول المنتظر. إذ تكون قديمة الطراز أو غير فعّالة كحافز.
- *ينبغي أن تكون المكافأة مناسبة لسنّ الأولاد:* تؤدّي المكافآت إلى نتيجة مختلفة بحسب سنّ التلاميذ. وعادةً، كلّما أصبح الأولاد أكبر سنّاً، تزايدت رغبتهم بالحصول على مكافآت ذات قيمة ماديّة (قرص مدمج، علامات إضافية...).
- *يجب أن يتمّ نيل المكافأة بشكل صحيح:* احرص على أن ينال تلاميذك مكافآتهم بالكامل، عوضاً عن مكافأتهم كلّما التزموا بشيء من السلوك الحسن أو قاموا بقليل من العمل الجيّد. ذلك أنّه كلّما كان من الأصعب نيل المكافأة، كانت قيمتها أكبر. أمّا الإفراط في توزيع المكافآت فيقلّل قيمتها.
- *اجعل المكافأة مناسبة للتلميذ:* قد يكون هناك تلاميذ يائسون للحصول على ملصقات، وآخرون يرون في إمكانية إجراء اتّصال بالبيت جائزة عظيمة. كن محدّداً في مكافآتك، وفصّلها على مقاس التلميذ إن أمكن.
- *للمكافآت تاريخ صلاحية:* قد تؤدّي مكافأة معيّنة المفعول المرغوب في البداية، ثمّ يزول مفعولها تدريجيّاً مع اعتياد التلاميذ على نيلها. ينبغي بالتالي تجديد نظام المكافآت الذي تستخدمه، على صعيد المعلّم الفردي والمدرسة على حدٍّ سواء.
- *كافئ جميع تلاميذك:* نقع أحياناً في فخّ إعطاء كثير من المكافآت للأولاد المشاغبين لكسبهم إلى جانبنا وحثّهم على التعاون. لكن لا تهمل الأولاد الذين يعملون بجدّ طيلة الوقت، فهم يستحقّون نيل تقدير لجهودهم أيضاً.
- *يجب أن تكون المكافآت سرّية أحياناً:* يمكن في معظم الأوقات تقديم المكافأة علناً. لكن في بعض الحالات، لا يرغب الأولاد بأن يشهد الباقون نجاحهم. فالضغوط التي يمارسها الزملاء ضدّ العمل الجيّد تكون كبيرة في بعض الأحيان. وإن كانت تلك هي الحال في مدرستك، يمكنك مثلاً الانحناء قرب التلميذ الصعب المراس الذي يحسن العمل لتنقل له أفكارك الإيجابية على انفراد. من الممكن أيضاً توجيه الملاحظة الإيجابية لأحد التلاميذ في الممرّ، خارج وقت الحصّة.

أنواع المكافآت

استناداً إلى خبرتي، تتنوّع أنظمة المكافآت من مدرسة إلى أخرى، وتغلب عليها عادةً الجدارات، وشهادات التقدير والاتصالات بين المنزل والمدرسة. ثمّة مدارس أصبحت أكثر تجديداً في مجال المكافآت التي تقدّمها لتلاميذها، وسأورد في ما يلي بعضاً من هذه الأفكار الفريدة. ولا شكّ بأنّ أكثر المكافآت قيمة هي مجانية وسهلة، وتتمثّل في ثناء موجّه من معلّم يحبّه الأولاد ويحترمونه (ونيل هذا الاحترام هو الجزء الصعب في الواقع). إليك بعض الاقتراحات لمكافآت محسوسة:

- *الجدارات/التنويهات:* من شأن الجدارات أو التنويهات أن تشكّل مكافأة جيّدة حين يكون التلاميذ محفّزين على نحو معقول. على الرغم من كون هذا النوع هو الأكثر استعمالاً، إلاّ أنّ لديه سلبيّاته. ففي كثير من المدارس الثانوية، لا تعتبر الجدارات فعّالة بعد السنة الأولى. لا بل إنّ التلاميذ الذين ترغب بتحفيزهم أكثر من غيرهم قد ينظرون بازدراء إلى فكرة الحصول على جدارة.
- *نظام العلامات الإضافية:* من المفيد إضافته إلى نظام الجدارات، بحيث يمكن للتلميذ *صرف* هذه العلامات عبر *إيصالات*... إلخ.
- *شهادات التقدير:* يعمد كثير من المدارس إلى إعطاء التلاميذ شهادات تقدير على حسن سلوكهم أو عملهم، وهي غالباً ما تعطى في تجمّع للمدرسة كلّها. وقد أثبتت هذه الشهادات فاعليّتها، كما أنّها تعطي الأولاد شيئاً ملموساً لأخذه إلى المنزل.
- *الملصقات:* تعدّ فعّالة من صفوف الحضانة وحتّى المستوى الإعدادي وما فوق. وبوسعك الحصول على ملصقات ذات طابع شخصي تحتوي على اسم المعلّم أو المادّة. فكّر أيضاً أين سيضع التلميذ هذه الملصقات؛ ربّما على دفتر يوميّاته أو على دفتر التمارين.
- *الملاحظات الخطّيّة الإيجابيّة:* من شأن الثناء المكتوب على دفتر التمارين أن يكون فعّالاً جدّاً في تشجيع التلميذ على العمل بجدّ. احرص على تخصيص وقت لكي يقرأ الأولاد ملاحظاتك حين تعيد إليهم الدفاتر.
- *الجوائز:* تخصّص بعض المدارس يوماً للجوائز، لمكافأة التلاميذ على جهودهم في مجالات مختلفة. وبحضور الأهل، من شأن ذلك أن يشكّل حافزاً ممتازاً.
- *الاتّصال بالمنزل:* مع أنّنا نميل إلى استعمال الاتصال بالمنزل كعقاب على سوء التصرّف، إلاّ أنّ من شأنه أن يمثّل مكافأة في غاية الفاعلية. فإن كان التلميذ مهتمّاً بإسعاد أولياء أمره، سيكون للاتصال السريع بالبيت تأثير عظيم فعلاً على سلوكه. تحدّث إلى أحد تلاميذك من ذوي المراس الصعب في يوم جيّد، وأعطِه وعداً بالاتصال بالمنزل إن أحسن السلوك فعلاً، وابدأ ببناء علاقة جيّدة معه. على الأرجح، سيشعر الأبوان

بالمفاجأة والسرور لسماع بعض الملاحظات الجيدة أخيراً عن ولدهم. ولكن تحقّق أوّلاً ممّا إذا كان نظام المدرسة يسمح بإجراء اتصالات بين المدرسة والبيت.

- *الكتابة إلى المنزل:* تشكّل الكتابة إلى المنزل مكافأة فعّالة. وكثير من المدارس يستخدم اليوم البطاقات البريدية عوضاً عن الرسائل التقليدية. بإمكان الأولاد أن يصمّموا البطاقة بأنفسهم، في حصّة فنون مثلاً. ومن مزايا البطاقات البريدية إمكانية تعليقها بالمغناطيس على الثلاجة مثلاً للتذكير دوماً بالثناء الذي حصل عليه التلميذ.
- *الرحلات:* إنّها من المحفّزات القويّة. كما أنّها تترك أثراً إيجابيّاً جدّاً على المعنيّين بها. ولكن العائق الوحيد هو العمل الكثير الذي يستلزمه تنظيم مثل هذه النشاطات.
- *الوقت الذهبي*: من شأن نيل الامتيازات أن يكون فعّالاً جدّاً، كما أنّه يظهر العلاقة بين السلوك الحسن ونتائجه الإيجابية. وتستعمل فكرة الوقت الخاصّ أو *الذهبي* على نطاق واسع في صفوف الأولاد. إذ يكسب الأولاد (أو يخسرون) حقّ المشاركة في ساعة في آخر الأسبوع بعد انتهاء اليوم الدراسي. ولديهم في هذا الوقت الحرية في اختيار النشاط الذي يريدونه. ويمكن للمعلّمين الثانويين أن يستخدموا هذه الطريقة، كإعطاء التلاميذ *وقتاً ذهبيّاً* لمدّة خمس دقائق للثرثرة في نهاية الحصة.
- *مهامّ خاصّة:* يحبّ التلاميذ أن توكل إليهم مهمّة خاصّة بالكبار كمكافأة، وهي طريقة يستفيد منها المعلّم هو أيضاً. على سبيل المثال، كان ترتيب الخزانة من الأعمال المفضّلة لديّ حين كنت في المدرسة الابتدائيّة. وثمّة مهمة أخرى رائعة هي أخذ دور المعلّم، وتتمثّل في السماح لأحد الأولاد بأن يعلّم الصفّ لخمس دقائق. فيقوم التلميذ بكتابة بعض الأفكار على اللوح أو الإجابة عن أسئلة الاختبار أو حتّى شرح جزء من الدرس، فيما يأخذ المعلّم استراحة يستحقّها.
- *الاستماع إلى الموسيقى:* هي مكافأة ذات شعبيّة واسعة بين التلاميذ الأصغر سنّاً. يعتمد استعمالها على موضوع الدرس. ففي بعض الحالات، من شأن الموسيقى أن تلهي التلاميذ عن عملهم. ومن المستحسن برأيي استعمال المذياع عوضاً عن السماح للأولاد بإحضار موسيقى من اختيارهم، وذلك تجنّباً للمشاكل الناتجة عن اللغة غير اللائقة في بعض الأغاني.
- *القرعة:* سمعت عنها عدّة مرّات مؤخّراً. وتقوم على إعطاء التلاميذ بطاقات قرعة على حسن السلوك أو العمل، وتنظيم قرعة عند انتهاء الحصّة أو الأسبوع وتقديم جائزة للرابح. وفي بعض الأحيان، تنظّم هذه القرعة على صعيد المدرسة ولفترات أطول من الوقت (منتصف الفصل مثلاً)، مع جوائز قيّمة فعلاً.

- *الأحجار في الوعاء:* هي فكرة عظيمة تقوم على استغلال ضغط الزملاء. إذ يضع المعلّم وعاءً خالياً على مكتبه، وكلّما أحسن أحد الأولاد السلوك أو العمل، يضع حجراً في الوعاء. وحين يمتلئ هذا الأخير، يحصل الصفّ بأكمله على مكافأة. ومن الاقتراحات التي حصلت عليها هي أخذ الأولاد في نزهة وقت الغداء، وطلب البيتزا لهم.
- *الحلوى والسكاكر:* لا شكّ أنّ صحّة إعطاء السكاكر للأولاد في الصفّ هي مسألة رأي شخصي. تكفي الإشارة هنا إلى أنّها أثبتت كونها محفّزاً واسع الشعبيّة بينهم.

عن العقاب

من شأن استعمال العقاب أن يكون بالغ التعقيد. إذ ينبغي عليك الالتزام بدقّة بسياسة المدرسة السلوكيّة أو بأنظمة القسم الذي تعمل فيه. فالاستعمال الثابت للعقوبات عند الإمكان أفضل بالنسبة إلى المعلّمين وأعدل تجاه التلاميذ أيضاً. غير أنّه في بعض الأحيان لن تساعدك سياسة المدرسة كما أنها لن تساعد تلاميذك، وستحتاج إلى شيء من المرونة. وبما أنّ أحداً لا يحبّ التعرّض للقصاص، ينبغي علينا استعماله بأفضل شكل ممكن. وفي ما يلي بعض النصائح والمقترحات للاستعمال الفعال للعقاب.

- *ينبغي أن يكون العقاب غير مرغوب فيه:* تماماً كما ينبغي أن تكون المكافآت مرغوبة، على العقوبة أن تكون من النوع الذي يودّ التلاميذ تجنّبه. وإلاّ فلن تكون رادعاً فعّالاً. وهنا أيضاً، غالباً ما تعرقل سياسة المدرسة المعلّم. على سبيل المثال، إن كان الأولاد لا يأبهون بالحصول على احتجاز، فلا جدوى من فرضه.
- *ينبغي تنفيذ العقاب:* عند فرض قصاص معيّن، لا بدّ من تنفيذه، وإلاّ فلا جدوى من إعطائه. ففي حال عدم تنفيذ العقاب، لن يخشاه التلاميذ في المرّة التالية التي تلوّح به.
- *لا تهدّد بما لا تستطيع أو لا تريد تنفيذه:* حين نكون تحت الضغط، من المغري إلقاء التهديدات بجميع الأمور الرهيبة التي ستحدث ما لم يتوقّف الأولاد عن إحداث الفوضى. في الحقيقة، إنّ التلاميذ يعرفون حقوقهم جيّداً وما يمكنك القيام به ضدّهم أو لا. فالمعلّم الذي يهدّد بإبقاء جميع الأولاد في الصفّ لساعة إضافية سيواجه بالسخرية حتماً.
- *تجنّب التهديد بشخص آخر:* في بعض الأحيان، يلجأ المعلّم إلى التهديد بإرسال التلميذ إلى شخص آخر بسبب سوء سلوكه (يكون عادة المدير أو رئيس القسم أو المنزل...). ولسوء الحظّ، كلّ ما يوحي به هذا التهديد هو أنّ المعلّم عاجز عن التعامل مع المشكلة بنفسه. وحين أتحدّث إلى هؤلاء *الأشخاص الآخرين* في المدارس، غالباً ما يتذمّرون من أعداد الأولاد المصطفّين خارج مكاتبهم خلال أوقات الدرس. ويتمّ إرسال هؤلاء الأولاد

عادة من قبل عدد محدود من المعلّمين. ولكن بالطبع، ثمّة حالات يكون فيها هذا التهديد مبرّراً، كحوادث سوء السلوك الخطيرة.

- *تنتج العقوبات جوّاً سلبيّاً:* من شأن العقوبات أن تولّد شعوراً سلبيّاً إن طبّقت بقسوة بالغة ومن دون أخذ نوع التلاميذ بالاعتبار. ففي بعض المدارس الصعبة، من الأفضل التركيز على إقامة علاقة جيّدة مع التلاميذ عوضاً عن إنتاج مواجهات معهم عبر القصاص المتكرّر.

أنواع العقاب

ثمّة أنواع مختلفة من العقوبات التي يمكن اللجوء إليها للمساعدة على ضبط السلوك. كما هو الحال مع المكافآت، تتشابه المدارس في أنواع العقوبات المستخدمة. أمّا مدى فاعليّتها، فيعتمد بالطبع على الظرف الذي تستعمل فيه. إليك بعض الخيارات. لقد خصّصت أدناه قسماً مستقلاً للاحتجاز، لأنّ من شأن استعماله أن يكون بالغ التعقيد.

- *الصراخ:* مع أنّ الصراخ لا يعدّ قصاصاً بالمعنى التقليدي، إلاّ أنّه الشكل الأكثر فورية للقصاص ومن غير المستغرب على الإطلاق أن يلجأ إليه المعلّمون من وقت إلى آخر. وهو يعتبر أحياناً طريقة فعّالة للتنفيس عن الغضب. لكن تذكّر أنّ الصراخ يشير إلى فقدان السيطرة على النفس، ومن شأنه أن يضرّ كثيراً بالصوت.
- *الاتصال أو الكتابة إلى المنزل:* لا تقلّل أبداً من شأن الأهل! فإن كنت تتعامل مع أبوين متعاونين، يشكّل الاتصال أو الكتابة لهما عقاباً بالغ الفاعلية. إن فهم التلميذ بأنّ سوء السلوك سيبلّغ للأهل، فأنت تملك بذلك أداة سيطرة قويّة. أمّا إن كان الأبوان غير آبهين ببساطة، أو عاجزين هم أنفسهم عن السيطرة على الولد (كما هي الحال مع كثير من الأولاد المشاغبين)، فإنّ هذا العقاب لا يكون فاعلاً. تحقّق من سياسة المدرسة قبل الاتصال بالمنزل، وتعرّف أيضاً على خلفية التلميذ المنزلية لئلاّ تعرّضه للخطر.
- *فقدان الامتيازات:* إنّ الربط بين السلوك وربح أو خسارة امتيازات معيّنة، يشكّل طريقة واضحة للعلاقة بين السلوك وعواقبه. إن كنت تستعمل مثلاً ساعة من *الوقت الذهبي*، يؤدّي سوء السلوك إلى خسارة دقائق من هذا الوقت. والأولاد الذين أحسنوا التصرّف سيحصلون على ساعة كاملة وستكون لهم الأولوية في اختيار النشاط الذي يريدونه. أمّا من أساء التصرّف بينهم فسيرى بوضوح العلاقة بين سلوكه وبين منع ذاك الامتياز عنه.
- *فرض العقوبة على الصفّ بأكمله:* في بعض الحالات، من الملائم فرض العقاب على الصفّ بأكمله، في صفّ ثرثار مثلاً. لكن تذكّر أنّك في هذه الحالة تعاقب أولاداً لم

يرتكبوا شيئاً على الإطلاق. بالتالي، عند اللجوء إلى حجز الصفّ بأكمله، أعطِه فرصة التراجع.

- *العقاب النهائي:* يلجأ كثير من المدارس اليوم إلى استعمال العقاب النهائي. بموجب هذا العقاب فإنّ التلميذ الذي يسبّب كثيراً من المشاكل أو يشكّل خطراً على نفسه أو على زملائه، يمكن إخراجه من الصفّ من قبل معلّم أعلى مرتبة. ومعرفة المعلّم بوجود هذا القصاص يعطيه شعوراً بالأمان والاطمئنان.
- *العقوبات الهزلية:* لقد وجدت فيها متعة في الماضي، ويعتمد استعمالها على أسلوبك التعليمي وعلى ردّة فعل الأولاد المحتملة. لقد كانت تضفي شيئاً من المرح المستحبّ على جوّ الصفّ. ويقوم العقاب الهزلي على شيء من هذا القبيل: "اذهب وقف في الزاوية على رجل واحدة ويداك فوق رأسك". ما دام التلاميذ يقبلون بتنفيذ هذا القصاص عن طيب خاطر، فإنّه يشكّل طريقة جيّدة لأخذ موقف من سوء السلوك مع بقاء الجوّ خفيفاً ومرحاً.

عن الاحتجاز

بما أنّ الاحتجاز هو من أنواع القصاص الشائعة الاستعمال، من الحيوي أن تحصل على حقّ اللجوء إليه. ومن شأن الاحتجاز أن يكون فعّلاً جدّاً أو من دون جدوى على الإطلاق، اعتماداً على وضع المدرسة. وعليك أن تستعمل خبرتك المهنية لمعرفة ما إذا كان هذا العقاب مناسباً لصفّك. وفي هذه الحالة، فإنّ استعماله على نحو فعّال يوفّر لك أداة قيّمة لضبط السلوك.

- *احرص على تنفيذ الاحتجاز:* من شأن متابعة التلاميذ أن تستهلك الكثير من الوقت. فتلك اللحظة العابرة من سوء السلوك في الصفّ قد تتحوّل إلى لعبة مطاردة لا تنتهي. ولكن، إن كنت لا ترغب بمتابعة تنفيذ الاحتجازات، من الأفضل عدم فرضها أساساً.
- *نفّذها بأسرع وقت ممكن:* في الحالات المثالية، يجب أن يكون ثمّة علاقة واضحة بين سوء السلوك والقصاص، لذا، احرص على تنفيذ الاحتجاز في أسرع وقت ممكن. فمن الأفضل بالنسبة إلى التلاميذ تنفيذ ذاك الاحتجاز الأساسي القصير عوضاً عن ملاحقتهم لعدم الحضور أو تحويلهم إلى عقاب أشدّ.
- *استعمل الخدمة الجماعية:* في المدارس الثانوية، تتمثّل المشكلة الكبرى في عدم حضور التلميذ المعاقب عندما تحتاجه في وقت الاستراحة أو بعد انتهاء اليوم الدراسي. وحين يتخلّف عن الحضور، سيتحتّم عليك ملاحقته لتنفيذ القصاص. لتجنّب ذلك، أرسل تلميذاً يمكن الوثوق به لإحضار زميله المُعاقب قبل بضع دقائق من قرع الجرس، بالاتفاق مع المعلّم في الصفّ مسبقاً.

- *فكّر بما سيحدث خلال مدّة الاحتجاز:* فكّر بما سيقوم به الأولاد المحتجزون. قد تستغلّ الفرصة مثلاً للتحدّث معهم عن أسباب سوء السلوك الذي ارتكبوه وما يمكن فعله لتجنّب وقوعه مجدّداً. يمكنك أن تطلب عملاً مفيداً للجماعة، كجمع الأطباق في قاعة الطعام أو لمّ القمامة من أرض الصفّ. أمّا إن كان العقاب مفروضاً لعدم إنهاء عمل ما ضمن الحصّة، سيكون على التلميذ بالطبع إنهاؤه في فترة الاحتجاز. يعمد بعض المعلّمين إلى استعمال *النمط الانتقامي* في القصاص، ككتابة جمله ما مرّات متكرّرة. غير أنّه يمكنك عوضاً عن ذلك *حمل التلميذ على الطاعة* والإصرار على جلوسه بصمت طيلة مدّة الاحتجاز.
- *راقب ردّة فعل التلميذ على الاحتجاز:* في بعض المدارس، أو بالنسبة إلى بعض التلاميذ، يعتبر الوقت الإضافي مع المعلّم مكافأة لا عقاباً. بالنسبة إلى التلاميذ الذين يتوتّرون من النزول إلى الملعب في فترة الاستراحة، يعتبر الاحتجاز خياراً جذّاباً. اكتشف بالتالي كيف ينظر الأولاد إلى مسألة الاحتجاز، وخذ ذلك بعين الاعتبار عند فرض هذا العقاب.

كيف نطبّق العقوبات

عندما يأتي وقت تطبيق العقوبات، فإنّ الطريقة التّي تتبعها ستؤثّر على ردّة فعل التلاميذ. كما أنّها ستؤثّر على مدى فاعليّة هذه العقوبات. فالهدف هو تجنّب المواجهات، وإعطاء سلسلة من التحذيرات المتصاعدة الجدّية، وإظهار أنّ التلميذ يجبرنا على تنفيذ العقوبة. في ما يلي بعض النقاط المفصّلة حول فاعليّة استعمال العقوبات.

- *أبقِ العقوبة سرّية:* حاول دائماً أن تعاقب التلميذ بطريقة هادئة وفرديّة، كأن تطلب منه الخروج للحظات لتتكلّم معه أو تأخذه إلى آخر الغرفة. تكلّم بصوت خافت بحيث لا يسمعك بقيّة التلاميذ. فإن أحسّ التلميذ بالحرج من مقاصصته أمام زملائه، قد يُؤدي ذلك إلى مواجهة. لا تعطِ بالتالي لمشاغبيك فرصة زيادة شعبيّتهم.
- *أرجئ عند الضرورة:* لا تشعر أنّه من الضروري دائماً إعطاء عقوبة فور وقوعسوء تصرّف. فإذا كنت تمهّد للدرس وقاطعك أحد التلاميذ، يمكنك القول "لي حديث معك عن طريقة تصرّفك بعد قليل" إلى أن تكمل التمهيد. ومتى بدأ الصفّ بالعمل يمكنك التعامل مع التلميذ بخصوصيّة نسبيّاً.
- *اجعل المسألة واضحة:* من شأن سوء التفاهم أن يؤدي إلى مواجهات غير ضروريّة، لذلك اجعل موقفك دائماً واضحاً جدّاً. حدّد توقّعاتك بوضوح، عبر إخبار التلميذ بما تريده بالضبط، ثمّ وضّح كيف أنّ سلوكه خيّب توقّعاتك.

- *اجعل مشاعرك واضحة:* اشرح للتلميذ بوضوح ما تشعر به جرّاء سلوكه، وتأثير ذلك على الحصّة وعلى تركيز بقيّة الصفّ. شجّع تلاميذك على معرفة آراء الآخرين بسلوكهم والسبب الذي يجعله غير مقبول.
- *قدّم خياراً إيجابيّاً لسوء التصرّف*: في بعض الأحيان، يعزل التلاميذ أنفسهم عندما يسيئون التصرف، وعلى المعلّم إخراجهم من هذه الحالة. يمكنك مثلاً أن تستعمل ما يلهيهم، فتعطي الولد عملاً يقوم به، كتوزيع أوراق على زملائه. فالأولاد الأصغر سنّاً يسهل إلهاؤهم عن سوء التصرّف.
- تذكّر! *التكرار أساسيّ:* يضمن التكرار فهم التلميذ بوضوح لما يقوله أو يطلبه المعلّم. كرّر إنذاراتك عدّة مرّات، واستخدم اسم التلميذ تكراراً للتأكد من حصولك على انتباهه التام.
- *أخبر ولا تسأل*: يحتاج المعلّمون إلى إثبات أنفسهم باستعمال أوامر إيجابيّة عوضاً عن طرح أسئلة تعطي التلميذ الفرصة للاختيار من بين أجوبة متعدّدة. استخدم *أريد وأحتاج منك*، بدل *هل يمكنك أو هلاّ*. *أخبر* تلاميذكعمّا تريده منهم تحديداًفهم يحتاجون لمعرفة ذلك.
- *أعطِ تحذيراً مفصّلاً قبل الإقدام على أيّ تصرّف:* بعد أن توضّح الحالة مستعملاً عبارات محدّدة، أخبر التلاميذ عمّا يمكن أن يحدث إن لم ينفّذوا ما تريده.
- *عاقب السلوك لا التلميذ:* انظر إلى المشكلة كونها تتعلّق بالسلوك وليس بالتلميذ، وسيساعدك ذلك على إبقاء العقوبات غير شخصيّة. أوضح أن لجوءك إلى العقاب ليس هجوماً شخصيّاً على التلميذ بل ردة فعل منطقيّة ومستقيمة على سلوكه.
- *استخدم الخيار:* هذه التقنيّة – المصوّرة في الفصل الثالث – تساعدك في جعل القصاص تدبيراً غير شخصي، وبإلقاء مسؤوليّة الوضع على التلميذ. فالخيار سهل: "إمّا أن توقف هذا التصرّف الآن أو ستجبرني على تطبيق هذه العقوبة بالذات".
- *حافظ على استرخائك:* كما سترى في المثل أدناه، فإنّ ردّة فعل المعلّمة عاديّة وهادئة. فعوضاً عن الخوض في القصاص على الفور، تعمد إلى تملّق التلميذة ببساطة لإعادتها إلى مقعدها عبر إخبارها كم أنّ الحصّة ستكون مسلّية. فإن تمكّنت من الحفاظ على برودة أعصابك، ستنجح في تجنّب الموقف الدفاعي وتحافظ على الرؤية البعيدة المدى وأنت تتعامل مع التلاميذ الصعبي المراس.
- *طبّق العقوبات في خطوات واضحة:* ينبغي أن تبدأ العقوبات على مستوى منخفض، ثمّ ترفعه تدريجيّاً إن استمرّ التلميذ بتحدّيك. أعطِه في كلّ مرحلة فرصة قبول ذاك المستوى

من العقاب قبل تطبيقه. فالمعلّم الذي يقفز على الفور إلى العقاب الأقسى يعتبر في نظر التلاميذ غير عادل ومن المحتمل أن يشجّع ذلك على المواجهات.

- *اجعل مقاربتك مهذّبة وغير استفزازية:* حافظ على الدوام على هدوئك وتهذيبك وأنت تطبّق كلّ مرحلة من مراحل العقاب، مهما كان إغراء التنفيس عن الغضب قويّاً. وانتبه دوماً إلى طريقة استعمالك لصوتك ولغة جسدك، لكي تحرم التلميذ من فرصة استغلالهما ضدّك وتتجنّب وقوع المواجهات.
- *أعطِ التلاميذ الانطباع بأنّك تأسف لفرض العقاب:* أرِهم بأنك غير مسرور وخائب لأنّ التلميذ يجبرك على اللجوء إلى العقاب. واستعمل نبرة أسف وليس نبرة انتقامية.
- *أعطِه فرصة التراجع:* أعطِ التلميذ في كلّ مرحلة من مراحل العقاب فرصة تجنّب عقاب أكبر.أخبره إن كانت الحالة تسمح بذلك أنّه إن قبِل بتنفيذ العقاب الحالي بطيب خاطر واجتهد لبقيّة الحصّة، من الممكن أن تعيد النظر في العقوبة.

في ما يلي مثلان عن معلّم يطبّق عقاباً وكيفيّة تفاعل التلميذ مع المقاربتين.

طريقة جيّدة لتطبيق العقوبات

وصلت نادين إلى صفّ العلوم بمزاج سيئ جدّاً، وراحت تتجوّل في أرجاء الغرفة، وتتحدّث إلى التلاميذ الآخرين. المعلّمة جاهزة لأخذ سجل الحضور والبدء بالدرس.

المعلّمة: نادين، أودّ التحدّث معك من فضلك.

تشير المعلّمة إلى نادين لتذهب إلى آخر الصفّ، فتتبعها.

المعلّمة: نادين، أريد أن أبدأ درسي الآن. ولا أستطيع ذلك وأنت تتجولين في الصفّ.

نادين: إذاً؟ ماذا ستفعلين بهذا الشأن؟

المعلّمة: حسناً، نادين. أريد فعلاً البدء بدرسي. سنقوم بمزج بعض المواد الكيميائيّة مع بعضها لنرى إن كانت ستنفجر. أنا أكيدة أنّك ستستمتعين بهذا، ولكن عليك أولاً الجلوس حتّى أتمكّن من تسجيل الحضور.

نادين: آه. يبدو هذا شيّقاً.

المعلّمة: إذاً، تعالي واجلسي لنبدأ.

تعود نادين إلى مقعدها وتجلس. ولكن لاحقاً خلال الدرس تعود لتتجوّل في الصّف. ومن جديد، تشير إليها المعلّمة لتقف جانباً.

المعلّمة: نادين. لقد أخبرتك سابقاً بأن تلازمي مقعدك. أريد منك الجلوس حالاً لو سمحت.

نادين: كلاّ لن أفعل. أنا ضجرة. هذا الدرس تافه.

المعلّمة: حسناً نادين، أنا آسفة لذلك، ولكن أخشى أنّك إذا تابعتِ التصرّف بهذا الشكل ورفضت اتباع تعليماتي، ستجبرينني على إعطائك حجزاً.

نادين: هذا ليس عدلاً! أنا لم أخطئ بشيء!

المعلّمة: نادين. أريد منك الجلوس على مقعدك ومتابعة عملك. عليك الجلوس لأننا نستعمل بعض المواد الكيميائيّة الخطرة، ولا أريدك أن تتعرضي للأذى. اجلسي الآن قبل أن أضطر إلى إعطائك ذلك الحجز.

يُتوقّع في هذه المرحلة أن تفهم نادين الوضع وتلتزم بطلب المعلّمة. أمّا في حال العكس، فعلى المعلّمة تطبيق العقاب وتصعيده تدريجيّاً إلى أن تنفّذ نادين ما أُمرت به.

طريقة سيّئة لتطبيق العقوبات

وصلت نادين إلى صفّ العلوم بمزاج سيئ جدّاً، وراحت تتجوّل في أرجاء الغرفة، وتتحدّث إلى التلاميذ الآخرين. المعلّمة جاهزة لأخذ سجل الحضور والبدء بالدرس.

المعلّمة: نادين! أيمكنك الجلوس من فضلك؟ أريد أن أبدأ درسي.

نادين: لا أريدك أن تبدئي بالدرس، فدروسك سخيفة.

المعلّمة: لا تكوني وقحة! اسمعي، لمَ لا تجلسين وتدعينني أسجّل الحضور؟

يراقب بقيّة الصّف المواجهة باهتمام. ونادين تستمتع الآن بالشعبية الناتجة عن تلقّيها العقاب أمام الصفّ.

نادين: لا لن أجلس. هل ستجبرينني؟

المعلّمة: أجل سأجبرك. أنت محتجزة لمدّة ساعة معي بعد انتهاء الحصّة.

نادين: هذا غير عادل! لن أحضر!

المعلّمة: بل ستفعلين. والآن اصمتي واجلسي.

بدأ الصفّ يتململ، وبعض التلاميذ يثرثرون ويضحكون على ما يجري.

نادين: ليس لك أن تأمرينني بالصمت! أكرهك وأكره دروسك. أنا خارجة من هنا!

تخرج نادين غاضبة من الصفّ. أمّا بالنسبة إلى باقي التلاميذ، فقد تشتّت انتباههم تماماً، وستحتاج المعلّمة إلى عشر دقائق إضافيّة لتهدئتهم.

7 - تعليم السلوك الحسن

التعليم والسلوك

من الأهمية بمكان أن نتذكّر بأنّ السبب الأساسيّ الذي يدفعنا إلى ضبط سلوك تلاميذنا هو التمكّن من تأدية عملنا. فهذا هو سبب وجودنا في الصفّ بالنهاية. والمعلّمون الذين يتمكّنون من إعطاء دروس ذات نوعية عالية فعلاً، لديهم في معظم الأوقات تلاميذ منضبطون. بالطبع، ثمّة أوقات يجعل فيها التلاميذ إعطاء دروس فعلية أمراً مستحيلاً. لكن، إن تمكّنت من جعل الدروس منظّمة، ومثيرة للاهتمام، وسريعة وممتعة، ستضبط التلاميذ معظم الوقت. في الواقع، إن أمضى الأولاد الجزء الأكبر من الحصّة منهمكين فعلاً بعملهم، لن يجدوا الوقت ليفكّروا بإحداث الفوضى.

بالطبع، يستحيل أن يكون كلّ درس قائماً على الغناء أو الرقص أو الوسائط المتعددة. ثمّة أيّام ستكون فيها بالكاد قادراً على جرّ نفسك إلى المدرسة من شدّة التعب، وأوقات أخرى يكون فيها الموضوع جافّاً يصعب تطريته. ولكن إن كانت جميع دروسك ذات نوعيّة جيّدة، ستجد الأولاد حتماً أكثر ميلاً للانضباط من أجلك. والمعلّم الذي يقدّم لتلاميذه دروساً مشوّقة، يكسب سمعة حسنة داخل الصفّ أو المدرسة. ذلك أنّ الأولاد يتحدّثون بشأنه خارج الصفّ، وإن شعروا بأنّ دروسه ممتعة ومثيرة لاهتمامهم، يتطلّعون إلى حصصه بمزاج إيجابي متوقّعين الأفضل.

بالطبع، ثمّة توازن ينبغي تحقيقه بين ما يعتبره الأولاد نشاطات مسلّية وبين ما هو تربوي. فلو كان للتلاميذ الخيار، لفضّل كثير منهم تمضية النهار بطوله - كلّ يوم - وهو يلعب بألعاب الكومبيوتر أو في ملعب كرة القدم. لكن، أنت لديك منهاج لتعلِّمه. وسيكون من الصعب من دون شكّ جعل بعض أجزاء المادّة التي تدرّسها مشوّقة، وفي الوقت نفسه تغطية جميع نواحي الموضوع. غير أنّ الأولاد عموماً سيتغاضون عن الدرس المملّ الذي يعطيه معلّم يدرّس عادة بطريقة شيّقة.

لو عدت بذاكرتك إلى أيّام الدراسة، أظنّ أنّك ستتذكّر معلّماً أو أكثر كان أسلوبه ملهماً لك فعلاً بحيث ملأك شغفاً بالتعلّم أو بموضوع معيّن، وربّما ألهمك أن تكون معلّماً أنت نفسك. فالقدرة على إلهام الجيل القادم هي شرف لنا نحن كمعلّمين. ومع أنّ التدريس بشغف وطاقة وحماس ليس أمراً سهلاً في جميع الأوقات، إلاّ أنّه يستحقّ الجهد نظراً لفوائده العظيمة بالنسبة للتلاميذ.

التخطيط الفعلي والتعليم

يحتاج التخطيط لدروس جيّدة النوعية وإعطاؤها مهارة عظيمة، وتعلّمه يحتاج إلى الوقت، إلاّ أنّك تبدأ لاحقاً بتمييز الخطوات الفعالة بحدسك. مع الخبرة، تتعلّم أيضاً كيف تعدّل أسلوبك التعليمي مع مختلف الصفوف والتلاميذ، أحياناً خلال الحصّة نفسها. التخطيط لدروس ذات جودة عالية هو

أمر ممتع ومريح للمعلّم، إذ يحتاج إلى استعمال الخيال والتفكير بطرق متنوّعة لطرح موضوع معيّن.

يشتمل التخطيط للدرس بالنسبة إلى المعلّم التلميذ على كثير من التفصيل (أكثر ممّا ينبغي برأيي). فإن كنت تدرس حاليّاً لتصبح معلّماً، عليك الالتزام بذلك والتخطيط كما هو متوقّع منك. على كل حال، فإنّ المخطَّط المفصّل يساعدك على التفكير بالدروس مسبقاً ويمنحك شعوراً بالأمان.

غير أنّك حين تبدأ بالممارسة، قد تكتشف (كما فعلتُ أنا) بأنّ التخطيط البالغ التفصيل يعيق الدروس الجيدة. إذ يميل المعلّم عندها إلى التقيّد بمخطّط معيّن على الرغم من عدم فاعليته. كما أنّه يقيّده بمكتبه ليتمكّن من النظر إلى ملاحظاته، فيما تسود الفوضى في المقاعد الخلفية. مع أنّ التخطيط المفصّل المسبق يشير إلى أنّ المعلّم يعرف تماماً كيف سيتجاوب معه الأولاد، إلاّ أنّ ما نجح في الماضي مع أحد الصفوف قد يكون بلا جدوى مع غيره. ومع الخبرة، ستتعلّم كيف تعدّل دروسك وفقاً لسيرها في الواقع.

في الحقيقة، تعتمد القدرة على جذب الأولاد وتشويقهم على مجموعة واسعة من العوامل، منها تصميم الدرس، ومحتواه، والطريقة التي يعطى بها. ستساعدك المقترحات أدناه على التخطيط لدروس، وتعليمها بطريقة تدفع التلاميذ لكي يحسنوا سلوكهم.

تصميم الدروس

التصميم هو أساس التخطيط الجيّد. فهو يؤمّن بنية واضحة لوقت الصفّ. وعموماً، يحبّ الأولاد وجود بنية في حياتهم، وهي غالباً ما تكون مهمّة بالنسبة إلى العناصر التي تعاني من مشاكل سلوكية. والتصميم الجيّد للدرس يساعد في الحفاظ على تركيزهم وانهماكهم بالعمل. استعمل الاقتراحات التالية لتصميم الدروس على نحو أكثر فاعلية.

- *أعطِهم خريطة:* حين تمضي وقتاً طويلاً في التخطيط للدرس، تحبّ أن يعرف الأولاد ما سيكون عليه الموضوع من دون أيّ شرح على الإطلاق. لكن، حين يدخل المعلّم ببساطة في صلب الدرس، يشعر التلميذ بأنّه يفتقد إلى بنية أو هدف واضح، ويبدأ على الأرجح بإحداث الفوضى. هنا تأتي أفكار مثل، أهداف، نوايا التعلّم، حصيلة التعلّم... إلخ. التسمية غير هامّة في الواقع ما دمت تعطي تلاميذك *خريطة* في بداية الحصّة تخبرهم فيها بما سيحدث "هذا ما سنتعلّمه اليوم" ولماذا نحتاج إلى تعلّم ذلك "من أجل". مع تقدّم الحصّة، ارجع إلى أهداف الدرس تكراراً لتبقى أنت والتلاميذ ملتزمين بها. يعمد كثير من المعلّمين اليوم إلى كتابة الأهداف على اللوح كتذكير بصري. مع أنّ الدرس ينحرف أحياناً

بالكامل عن الهدف الأساسي، إلاّ أنّ ذلك ليس مشكلة بالضرورة، ما دام السبب هو تكييف الدرس مع حاجات التلاميذ.

- *اجعل المهاّم قصيرة ومركّزة:* كلّما طال وقت النشاط المعطى للتلاميذ، تزايد احتمال شعورهم بالملل. ولكنّ التمارين القصيرة، الهادفة والمتعدّدة تولّد شعوراً قويّاً بالتركيز وتضع أمام التلاميذ أهدافاً واضحة لتحقيقها. ويمكنك عندها مكافأتهم على تحقيق كلّ هدف قبل الانتقال إلى الهدف التالي. واستعمال مهامّ قصيرة ومركّزة ينتج إحساساً بالسرعة والزخم، ما يقلّص احتمال تشتّت انتباه الأولاد.
- *نوّعِ الدروس:* اعمد إلى تنويع المهامّ التي تعطيها للتلاميذ. وسيستلزم ذلك منك استعمال أساليب تعليمية مختلفة، منها ما هو شفهي أو بصري أو حركي. حين تدرّس جزءاً مرتكزاً على شرح المعلّم، أتبعه بفترة من العمل الجماعي. نوّع التمارين ضمن كلّ درس، من التمارين التذكيرية السريعة إلى المناقشات، ومن الرسم والعمل الفنّي إلى الكتابة وتدوين الملاحظات.
- *أعطِ التلاميذ تفاصيل عمّا تريد منهم إنجازه:* ضع هدفاً أمام التلاميذ بإخبارهم كم تريد منهم أن ينجزوا بالضبط في كلّ مهمّة، أكان عشر كلمات أم ثلاث أفكار أم نصف صفحة. من النصائح التي أعطيت لي أن أقسِّم المهامّ الكبيرة إلى عمل يجب إنجازه، وعمل يوصى بإنجازه، وعمل اختياري. إذ تعطي هذه الفئات الثلاث للأولاد هدفاً واضحاً يسعون إليه. فيقوم التلميذ المجتهد على الأرجح بإتمام الأجزاء الثلاثة من العمل، فيما تعرف العناصر الأقلّ اجتهاداً أنّ عليها إنجاز جزء معيّن لتفادي العقاب.
- *أعطِ تفاصيل عمّا أنجزه الأولاد:* تحدّث مع تلاميذك في نهاية الحصص عمّا أنجزوه، وخذ الوقت لمكافأتهم على اجتهادهم. أعطِهم حسّاً إيجابيّاً بالنجاح بحيث يكونون أكثر اجتهاداً وانضباطاً في الحصّة المقبلة. فهذه المراجعة للعمل تمنح إحساساً جيّداً بإتمام الدرس.

محتوى الدروس

ينبغي أن يشكّل التخطيط وإعطاء محتوى الدرس الجانب الأكثر تسلية من المهنة. إذ يقوم عملنا كمعلّمين على طرح الأفكار أو الوقائع أو المعلومات بحيث يفهمها الأولاد. وجعل الموضوع بمتناول أذهان جميع التلاميذ يمنحك حسّاً رائعاً بالنجاح كما يعينهم على التركيز والانضباط. ستساعدك الأفكار التالية على التخطيط وإعطاء دروس ذات جودة عالية.

- *اجعل الدرس مسلّياً:* وغالباً ما يشتمل ذلك على تفكير جانبي. ولكي يعتبر التلاميذ الدروس مسلّية، يجب أن تكون أبعد ما يمكن عن العمل الفعلي أو مرتبطة بشيء من *الحياة الواقعيّة* خارج المدرسة. وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل من درس مسرح الجريمة

(أدناه) درساً فعّالاً. إذ يشكّل الاختبار السريع طريقة سهلة ومسلية للتحقّق من فهم التلاميذ لموضوع معيّن. احرص بالتالي على استعمال المرح والألعاب التربوية، وناوب بينها وبين العمل التقليدي كمكافأة على الاجتهاد.

- *اجعله حسّياً:* نحن نطلب من تلاميذنا عموماً استعمال عدد محدود من حواسّهم خلال الدرس، بحيث يقتصر ذلك عادة على حاسّتي البصر والسمع. حاول استعمال نشاطات تشتمل على الحواس الثلاث الأخرى. اطلب منهم لمس الأشياء أو شمّ النباتات أو تذوّق الأطعمة.
- *أكثِر من استعمال الموارد:* إذ يحبّ الأولاد وضع أيديهم على *أشياء* خلال الدرس، لا سيّما تلك التي لا تتواجد عادة في غرف الصفّ. انظر القسم أدناه استعمال الموارد للحصول على أفكار عديدة في هذا الشأن.
- *ليكن الدرس مرتبطاً بحياتهم اليومية:* اجعل العمل منسجماً مع اهتمامات التلاميذ أو الأحداث الحالية في وسائل الإعلام أو الأخبار. إذ يساهم ذلك في تحفيزهم ويجعلهم يأخذون الدروس بجديّة أكبر، كما يثبت لهم بأنّ المدرسة مرتبطة فعلاً بالعالم من حولهم. على سبيل المثال، يمكنك استخدام موقع عن حدث رياضي، ككأس العالم لكرة القدم، للقيام ببعض العمل الجغرافي عن مختلف الأعلام.
- *اجعله كبيراً، ملوّناً وملفتاً للنظر:* جميع هذه التدابير تشدّ الأولاد، لا سيّما من يستمتعون بالوسائل البصرية. فكّر بنموذج كبير الحجم. اصطحب الأولاد إلى الملعب لرسم اختبار سريع ضخم على أرض الملعب. استعمل ألواناً زاهية أو رسوماً ملفتة لحثّهم على التفكير.
- *حوّل المفاهيم المجرّدة إلى نشاطات ملموسة:* من المهارات التي يجب أن يتمتّع بها المعلّم، القدرة على إيصال الأفكار المجرّدة والصعبة إلى أذهان تلاميذه. بالتالي، حين يتحتّم عليك شرح فكرة مجرّدة (القسمة، الاستعارة، الجاذبيّة)، ابحث عن طرق لجعلها محسوسة. على سبيل المثال، شاهدت في إحدى المرّات معلّم علوم يستعمل مزلاجاً لشرح فكرة القوى للتلاميذ، ويريهم كيف يمكن للنيزك أن يفلت من جاذبية الأرض. فوقف أحد التلاميذ على المزلاج وراح يحرّك يديه من جهة إلى أخرى بحيث أخذ المزلاج يتحرّك قليلاً. ثمّ دفع نفسه نحو زميله فتحرّك بقوّة أكبر. أخيراً، تمايل ورمى وزناً، فقذف المزلاج عبر الغرفة.

إعطاء الدروس

يؤدّي أسلوب المعلّم وشخصيّته، فضلاً عن التخطيط الجيّد، دوراً حيويّاً في عملية إعطاء الدرس على نحو فعّال. الاقتراحات المعطاة سابقاً عن التواصل اللفظي وغير اللفظي وأساليب

التعليم (في الفصلين 4 و5) ستساعدك جميعها على إعطاء الدروس بأفضل الطرق. بشكل عام، فإنّ المعلّمين الذين يتمكّنون من توليد شغف لدى التلاميذ بموضوع معيّن وحبّ لعملية التعلّم وإظهار اهتمام بتلاميذهم، يلهمونهم الانضباط والسلوك الحسن من دون عناء.

أهمية استغلال الوقت

للطريقة التي يستعمل فيها المعلّم وقت الحصّة تأثير عظيم، إيجابي أو سلبي، على السلوك. فلو بدت الدروس سريعة، سيشعر التلاميذ بالتوتّر وسيميلون أكثر إلى إساءة التصرّف. حاول اتباع مقاربة هادئة وموزونة بحيث تنال كلّ مهمّة الوقت المناسب لها. فغالباً ما يخطّط المعلّمون لإنجاز كمية كبيرة من العمل خلال الحصّة ويأخذون بالإسراع لإنهاء كلّ شيء. حاول عوضاً عن ذلك أن تكون مرناً في ما يمكنك إنجازه خلال الحصّة. وإن كان تلاميذك غير منضبطين، فإنّك ستمضي قسماً من الوقت في مُعاقبتهم على حساب وقت الدرس.

يحتاج المعلّم إلى الإسراع في بداية ونهاية الحصّة لبدء الدرس أو إنهائه. ولكن إن كنت تسعى إلى ضبط السلوك، تعتبر هاتان الفترتان في غاية الأهمية. أمضِ الوقت اللازم لإدخال الأولاد إلى الصفّ ولجعلهم يستقرّوا في أماكنهم. فبعض الأولاد يتجاوبون جيّداً مع البداية السريعة التي يخوض فيها المعلّم في الدرس مباشرة، فيما يحتاج آخرون إلى الاستقرار أوّلاً ليكونوا في مزاج جيّد للعمل. بالتالي، خطّط للدروس بحيث تترك وقتاً كافياً في آخر الحصّة لإنهائها بهدوء. قد تستغلّ الفرصة لمراجعة ما تمّ إنجازه خلال الحصّة. وفي ما يلي بعض الأفكار لاستغلال وقت الحصص على نحو أفضل.

- *استعمل تركيز الصفّ بأكمله:* أمضِ بعض الوقت في بداية كلّ الحصّة في جعل الصفّ يعمل بانسجام. تبرز أهمية ذلك بعد الاستراحة، حين يحتاج الأولاد إلى استعادة تركيزهم على العمل. كما أنّه مفيد في الصفوف الثانوية، إذ يتنقّل التلاميذ بين مواضيع متنوّعة. ويمكن تحقيق ذلك ببساطة بأن نطلب من الأولاد مثلاً إغلاق أعينهم عند تسجيل الحضور، أو نشاطاً محدّداً أكثر، كأن يقوم كلّ تلميذ بالعدّ من الصفر إلى العشرين بصوت مرتفع في الوقت نفسه أو لعب ألعاب أسماء.
- *أعطِ التلاميذ استراحات منتظمة:* وذلك عند إعطائهم سلسلة من المهامّ القصيرة، ممّا يمنح الحصّة إحساساً بالزخم والنشاط. كما أنّ أخذ استراحات بين كلّ منها يعطي الأولاد الفرصة لتجديد نشاطهم. يمكن أن تقوم الاستراحة على بضع دقائق لمناقشة العمل بين التلميذ وزميله، أو إعطاء تمرين جسدي أو ذهني للصفّ بأكمله للتخلّص من إجهاد العمل. ومن الأمثلة القديمة على ذلك، فرك المعدة باليد في حركات دائرية والتربيت في الوقت نفسه على الرأس باليد الأخرى.

- *اسعَ دوماً إلى إنهاء الدرس باكراً:* أعرف من خلال خبرتي بأنّ الإسراع لإنهاء الدرس في نهاية الحصّة أو الاستمرار في الشرح بعد قرع الجرس يسبّب التوتّر من دون شكّ للتلاميذ والمعلّم على السواء. لذا أنصح دوماً بإنهاء الدرس باكراً وبالهدوء حتّى وإن تبقّى بعض الوقت في آخر الحصّة.
- *اجعل الصفّ يتعاون لمراجعة العمل:* من الطرق الجيدة لإنتاج إحساس إيجابي بالإنجاز، جعل الأولاد يتعاونون لمراجعة العمل الذي تمّ إنجازه خلال الحصّة. كما أنّ استعادة التلاميذ لما تعلّموه تساهم على ترسيخه في أذهانهم. وهي توفّر فرصة جيّدة لمكافأة الأولاد على جهدهم وحسن سلوكهم.
- *اصرفهم من الحصّة في إطار ذهني مناسب:* فحين يراك تلاميذك في المرة التالية، أكان ذلك في اليوم التالي في المدرسة الابتدائيّة أو في الأسبوع التالي في المدرسة الثانوية، ينبغي أن يحملوا في أذهانهم ذكرى إيجابية عن تجربتهم السابقة معك. فالدقائق الأخيرة للحصّة السابقة تكون الأقرب إلى ذاكرتهم، وإن نظروا إليها كفترة هادئة ومنظّمة سينتج ذلك جوّاً صالحاً لسلوك أفضل. من النشاطات المفيدة لإنهاء الحصّة في إطار ذهني مناسب هو تمرين *التماثيل*. بحيث يتحتّم على الأولاد أن يسكنوا تماماً لدقيقتين (إما جالسين أو ممدّدين). وبإشارة منك، يدفعون كراسيهم خلف مكاتبهم بأقلّ ضجّة ممكنة. ويمكن القيام بذلك بحركة بطيئة لإثارة اهتمامهم أكثر.

ضمان النجاح

ثمّة أيّام لن تكون فيها في مزاج يسمح لك بالتعامل مع الصفوف الصعبة المراس، في هذه الحالة، أنت بحاجة إلى دروس تشجّع على حسن السلوك. في الواقع، لا حاجة للشعور بالذنب إزاء عدم القدرة على إتمام الدرس بسبب اضطرارك إلى التعامل مع سوء سلوك التلاميذ. فنحن في النهاية لسنا سوى بشر، ولا يمكننا العمل بالطاقة القصوى طيلة الوقت. فالتدريس هو أشبه بالتمثيل، نوعاً ما، ذلك أنّنا نعمل أمام جمهور عريض (وصعب المراس في كثير من الأحيان). لا يمكننا أن نتوقّع من الممثّل العمل طيلة النهار يوميّاً، والأمر نفسه ينطبق على المعلّم المنهك. المقترحات التالية تساعد على إنجاح الدروس، حتّى مع التلاميذ والصفوف الأصعب مراساً. فقد نجحت معي في مدارس منوّعة، من السهلة إلى حدّ معقول حتّى المستحيلة تماماً!

- *غرفة الكومبيوتر:* لسبب ما، فإنّ وضع التلميذ أمام الكومبيوتر يشجّع حتّى أسوأ التلاميذ سلوكاً (أو يبقيه على الأقلّ هادئاً وهو يستعمل الإنترنت). بما أنّ معظم مجالات المنهاج تسمح في بعض الأحيان على الأقلّ باستعمال الكومبيوتر، استغلّ ذلك حين تكون بحاجة إلى حصّة هادئة.

- *اعرض عليهم شريط فيديو:* حتّى أفظع الصفوف سلوكاً تجلس بهدوء لمشاهدة شريط فيديو. تخلّص من شعور الذنب بجعل الشريط مرتبطاً بالموضوع الذي تعمل عليه. وقدّمه على أنّه مكافأة على حسن سلوك الصفّ مؤخّراً. احرص على أن يكون الشريط حديثاً نسبيّاً ومثيراً لاهتمام الأولاد. لكن تأكّد قبل الحصّة من أنّ التجهيزات تعمل بصورة جيّدة، وإلاّ فستواجه الفوضى وأنت تحاول تشغيلها. ولحثّ التلاميذ على التركيز، بوسعك أن تطلب منهم بعض المهام الخطيّة أو تطرح عليهم عدداً من الأسئلة للإجابة عنها بعد مشاهدة الشريط.
- *استعمل* درساً *مثيراً للاهتمام*: يشتمل درس كهذا عادة على شيء مختلف، وغير اعتيادي، أكبر من سنّهم أو عناصر دعم، كتلك المستعملة في *مسرح الجريمة* الموصوف أدناه. ومع أنّ هذه الدروس تستغرق وقتاً للتحضير، إلاّ أنّها تجعل حياتك خلال الحصّة الفعلية أسهل بكثير. كما أنّها تكسبك سمعة المعلّم الممتع والمشوّق.
- *أحضر مساعداً خارجيّاً:* أثبتت لي خبرتي أنّ التلاميذ يتجاوبون جيّداً مع غير المعلّمين. ربّما اعتادوا على رؤيتنا كلّ يوم وسماع أصواتنا وتلقّي العقاب الذي نفرضه عليهم. فإن تمكّنت من إحضار شخص من خارج الصفّ، مثلاً مجموعة مسرحية لعرض مسرحية، ضابط شرطة للتحدّث عن المخدّرات أو أبٌ أو أمٌّ للتحدّث عن المهن، ستوفّر لنفسك درساً سهلاً وممتعاً.

الدروس *المشوّقة* في المنهاج

يحتوي هذا القسم على بعض الأفكار التي سبق وجرّبتها أو شاهدتها تستعمل لإثارة اهتمام صفّ صعب (أو حتّى سهل) المراس. قد يبدو بعضها غريباً، ولكن تذكّر أنّه حين تكون حوافز التلاميذ ضعيفة في المدرسة فإنّ أغرب الأفكار قد تساعد على جذب اهتمامهم. ناهيك عن المتعة التي ستجدها أنت أيضاً. لقد أوردت مع كلّ فكرة بعض مجالات المنهاج التي قد يرتبط بها الدرس، فضلاً عن مستلزمات إعطائه ووصف لما يحدث فعليّاً. والشكر يعود إلى المعلّمين الذين أعطوني تلك الأفكار الرائعة في الأساس.

مسرح الجريمة

مجالات المنهاج الممكنة:

- تاريخ (دراسة الأدلّة)
- إنكليزية (أدب، مثلاً روميو وجولييت)
- دراما (نوع الجريمة)
- تكنولوجيا التصميم (وضع خطّة)

- علوم (عينات الاختبار، أدلّة شرعية)

المستلزمات:

- مجال مفتوح (من الممكن أن يكون وسط الصفّ بعد دفع الكراسي جانباً).
- إشارة الشرطة أو حاجز آخر حول مسرح الجريمة.
- عناصر مختلفة مرتبطة بالجريمة التي تمّ ارتكابها. (مثلاً، كرسي مقلوب رأساً على عقب، حقيبة يد بُعثرت محتوياتها على الأرض، زجاجة وحبل.)

الوصف:

هذه الفكرة المستعملة أساساً في دروس الدراما تنجح في الاستحواذ على انتباه أكثر التلاميذ المشاكسين. وستجد بأنّ الأولاد يندمجون على الفور في قصة الدرس الخيالية. فحين يدخل التلاميذ الغرفة، يقال لهم إنه قد تمّ ارتكاب جريمة. ولا ينبغي عليهم لمس أيّ شيء (فهم سيرغبون بذلك)؛ اسألهم لماذا وسيخبرونك بكل شيء عن بصمات الأصابع.

ثمّ يؤدّي التلاميذ دور محقّقي الشرطة، ويتناقشون بما عثروا عليه ويقومون، استناداً إلى الموضوع، بالرسم/الكتابة أو الاستجابة إلى الحوافز.

علبة طعام الكلاب

مجالات المنهاج الممكنة:

- تكنولوجيا التصميم (تعليب)
- فنّ (تصميم لصاقة)
- إعلام (قوّة الإقناع)
- علوم (تحليل محتوى العبوة)

المستلزمات:

- علبة طعام كلاب أو قطط فارغة (يستحسن أن تكون نظيفة).
- شوكولاته (مقطّعة).
- هلام.
- شوكة.

الوصف:

هذه الفكرة المستعملة أساساً في درس التكنولوجيا تستحوذ فوراً على انتباه التلاميذ. عند دخول التلاميذ إلى الغرفة، يريهم المعلّم علبة طعام الكلاب ويبدأ بالأكل منها. ستحدث على الأرجح ردّة فعل قويّة إزاء ذلك، ولكنّ الأولاد سرعان ما سيهدأون ليسمعوا ما ستقوله عن طعمها المثير للاشمئزاز.

بعد ذلك سيدرس التلاميذ كيف نصدّق ما نراه على العلب أو نجرّب محتويات مختلف العلب لنرى ما تحتويه. (للمناسبة، طعام الكلاب كان في الواقع شوكولاته مهروسة وهلام).

السوق

مجالات المنهاج الممكنة:

- لغات أجنبية حديثة (مفردات)
- رياضيات (نقود، أسعار، جمع وطرح)
- تكنولوجيا الفن/التصميم (تخطيط ورسم خرائط)
- دراما (عمل على الشخصيات، ارتجال)

المستلزمات:

- أكشاك للبيع (يمكن استعمال طاولات الصفّ)
- أطعمة أو بضائع أخرى لعرضها في الأكشاك.
- نقود.

الوصف:

استعملت هذه الفكرة أساساً في درس لغة فرنسية، بحيث تبيع الأكشاك بضائع فرنسية منوّعة، وينبغي على التلاميذ التجوّل لشرائها واستعمال المفردات المناسبة. وقد تجاوب الأولاد بشكل ممتاز مع فكرة شراء الكرواسان ومن ثمّ أكلها.

يمكن تعديل الفكرة لبيع أيّ نوع من البضائع المرتبطة بالموضوع أو بالموارد المتوفّرة. وبعد زيارة السوق، يمكن للصفّ أن يرسم خطة لمكان الأكشاك أو يمكن للدرس بأكمله أن يكون عبارة عن ارتجال تمثيلي بحيث يمثّل التلاميذ مشاهد مختلفة في السوق.

استعمال الموارد

يتجاوب التلاميذ بشكل جيّد مع الموارد عموماً، ولا سيّما تلك الخارجة عن العادة. كلّما استعملت عدداً أكبر من الموارد في الصفّ، تعاظمت شعبيّتك. تأتي الموارد بأشكال وأحجام منوعة، وغالباً ما يكون للموارد غير المتوقّعة النتائج الإيجابية الأفضل. تذكّر أنّ الموارد لا تنحصر في أشياء تحضرها معك إلى الصفّ، بل يمكن أن تكون أشخاصاً أيضاً. فالأولاد يميلون إلى التجاوب أكثر مع غير معلّميهم المعتادين. لم لا تدعو مثلاً معلّماً آخر إلى صفّك لإعطاء درس متخصّص، أو تلاميذ من صفوف أعلى ليعملوا مع تلاميذك على تحسين قراءتهم؟ إليك بعض الأفكار عن الموارد المشوّقة وغير الاعتيادية التي يمكن استعمالها.

- *العلبة السحرية:* يحضر المعلّم علبة إلى الصفّ، ويخبر الأولاد بأنّها سحريّة ولا يمكن فتحها من دون استعمال كلمة السرّ. فيبدأ الأولاد بالتحدّث عن محتوى العلبة وما إذا كان

ينبغي المخاطرة في فتحها وما هي كلمة السرّ التي تفتحها. ومن شأن هذا المورد أن يؤدّي إلى مجموعة من النشاطات الخطية أو الرسومات المختلفة.

- *كاميرا الفيديو:* إن كنت قادراً على استعمال كاميرا فيديو أو كاميرا رقمية/ فمن شأن ذلك أن يشكّل أداة ممتازة لتشويق التلاميذ وتحفيزهم. ويمكن منح مسؤولية استعمال الكاميرا كمكافأة على حسن السلوك في عدد من الحصص، مع تخطيط التلاميذ وإعدادهم لإخراج فيلم. يمكن للشريط الذي سيصوّر أن يكون مرتبطاً بمجموعة منوّعة من المواضيع.
- *الأزياء والشعر المستعار:* مع أنّ هذه الفكرة هي من خصائص دروس الدراما، إلاّ أنّها تنجح في تشويق التلاميذ في مجالات مختلفة. إذ يمكن استعمال الأزياء لإعطاء مفردات جديدة في درس لغات أجنبية معاصرة. أو يمكنك ارتداء زي عالم مجنون لإجراء اختبار علمي. استعملها في كلّ ما يمكنه الاستحواذ على انتباه الأولاد وتشويقهم.
- *الصوت والإضاءة:* من شأن الصفوف المدرسية أن تكون أماكن باهتة لا تمتاز بالخيال. وإضافة بعض الإبداع إلى جوّ الصفّ قد يشجّع على حسن السلوك. يمكنك مثلاً استعمال التأثير الصوتي للعاصفة في شريط تسجيلي وهم يتعلّمون عن الطقس، أو تعتيم الغرفة واستعمال المصابيح وأنت تقرأ قصّة عن الأشباح. ويمكنك أيضاً وضع موسيقى هادئة لتسكين صفّ عاصف. كلّما جعلت الصفّ يبدو غير اعتيادي وخاصّ بالنسبة إلى الأولاد، اندمجوا أكثر بالعمل الذي يقومون به.

القسم الثالث

التلاميذ

8 - لمَ يسيء التلاميذ التصرّف

أسباب سوء السلوك لدى التلميذ

بالطبع، ثمّة أسباب عديدة ومعقّدة خلف سوء السلوك. وعادة، تتعدّد العوامل المساهمة في الحالات التي يعاني فيها التلميذ من مشاكل سلوكيّة خطيرة. يعرض هذا الفصل للنواحي التي يمكن للمعلّم أن يملك عليها سيطرة مباشرة أو فرصة معقولة للتأثير من خلال استراتيجيات أو مقاربات معيّنة.

فحين تواجه سوء السلوك طيلة الوقت أو معظمه، من الممكن أن تشعر بأنّه متعمّد. وحين يفسد ذلك حصّتك التي أعددت لها جيّداً، من الطبيعي أن تصبح دفاعيّاً. فتتساءل لمَ لا يقدّر تلاميذك الجهد الذي بذلته من أجلهم؟ وتعتقد من دون شكّ بأنّ الجميع تآمر مسبقاً لإفشال الحصّة. إنّ اعتقادك بأنّهم قادرون على التغلّب عليك سرعان ما يتطوّر إلى أسلوب تدريس دفاعي. صحيح أنّ بعض التلاميذ يتّخذون قراراً متعمّداً بإساءة السلوك، إلاّ أنّ معظم أشكال سوء السلوك تنشأ عن عوامل مختلفة تماماً. ستجد أفكاراً عن كيفية حلّ بعض من أكثر هذه المسائل شيوعاً.

بالطبع، يرجع الأمر في بعض المدارس إلى المزاج العامّ، أو فريق الإدارة غير الفعّال، أو سياسة سلوكية عديمة الجدوى. في مدارس أخرى، يعود السبب إلى الوزن الذي يتمتّع به عدد من التلاميذ ذوي الخلفية الصعبة أو الحاجات الخاصّة الخطيرة. ولسوء الحظّ، لا يمكن لمعلّم الصفّ بمفرده إحداث تغيير كبير في تلك الحالات باستثناء بذل جهده من أجل تلاميذه. يعتمد الأمر كثيراً على مدى الضغط الذي تودّ تحمّله، وإمكانية تحقيق تحسّن في المستقبل القريب. لو وجدت بأنّك تعمل في أوضاع صعبة فعلاً، فإنّ الفصل الأخير من هذا الكتاب يشتمل على بعض النصائح حول مكافحة الإجهاد.

المدرسة والتعلّم

الملل

بكل بساطة، المدرسة لا تلائم بعض الأشخاص. ولو عدت بذاكرتك إلى أيّام الدراسة، ستتذكّر على الأرجح أوقاتاً شعرت فيها بملل قاتل. في الواقع، إن كان التلميذ قد نشأ على فكرة أنّ المدرسة هامّة والتعلّم أساسيّ للمستقبل، سيتمكّن من تخطّي شعور الضجر (في معظم الأوقات) من دون اللجوء إلى سوء السلوك. أمّا إن تعلّم الولد بأنّ المدرسة فخّ، مكان عليه المكوث فيه رغماً عنه، فسوف يسيء التصرّف على الأرجح حين يجتاحه الملل، إمّا لتبديد هذا الشعور أو لإضافة بعض التشويق إلى وقت الدرس. فإخراج المعلّم عن طوره أو إثارة الفوضى يبدوان حتماً أكثر إمتاعاً للأولاد من دراسة بعض المواد الجافّة والمملّة.

مكافحة الملل

إنّ الوسيلة البديهية لمكافحة الملل هي جعل المدرسة أكثر متعة! وحين كنت معلّمة متمرّنة، كان لدي الوقت الكافي للتخطيط لدروس مشوّقة لأثير اهتمام تلاميذي. لكنّ الأمور ليست بهذه السهولة بالنسبة إلى المعلّمين المزاولين الذين يعانون من ضغوطات كثيرة أخرى، بما في ذلك إنهاء المنهاج وتطبيق الاستراتيجيات الحكومية. وبالتالي، سيتحتّم عليهم أحياناً إعطاء دروس مملّة أو وضع جدول زمني يركّز كثيراً على مواضيع معيّنة.

هنا تصبح المسألة مسألة أولويات. إن كنت تعرف بأنّ تركيز تلاميذك ضعيف وأنّهم يستسلمون بسهولة لإغراء المشاكسة، عليك أن تجعل قضيّة مكافحة الملل على رأس أولوياتك. ضع جانباً مسألة المنهاج لفترة، وأعِد إثارة اهتمامهم بالتعلّم. وفي ما يلي بعض المقترحات حول كيفيّة ذلك.

- *اجعل العمل مسلّياً وممتعاً:* إن تمكّنت من جعل الأولاد ينظرون إلى الدروس على أنّها تسلية أكثر منها عملاً، سيكونون أقلّ ضجراً وتململاً ومشاكسة.
- *اجعل العمل يبدو حقيقيّاً وذا معنى:* لا يشعر بعض الأولاد بأنّ المدرسة مرتبطة بحياتهم اليومية. أرِهم كيف أنّ العمل الذي يقومون به في المدرسة يرتبط بالمهن التي قد يتّخذونها مستقبلاً أو بمواضيع تثير اهتمامهم.
- *نوّع دروسك قدر ما تستطيع:* يجد بعض الأولاد السريعي الملل صعوبة في التركيز على نشاط واحد لمدّة طويلة. نوّع دروسك تفادياً لذلك، واستعمل كثيراً من التمارين والعمل الناشط.
- *استعمل جميع الحواسّ:* اجعل العمل أكثر متعة من خلال النشاطات الحسيّة. جرّب استعمال عصابات للعينين لتعطيل حاسّة البصر والتركيز على الحواس الأخرى، كالشمّ أو الذوق أو اللمس أو السمع.
- *أعطِهم مهامّاً قصيرة ومركّزة:* استعمل مع التلاميذ الضعيفي التركيز كثيراً من المهامّ القصيرة عوضاً عن مهمة أو اثنتين تحتاجان إلى وقت أطول. أثنِ عليهم كلّما أنجزوا مهمّة أو كافئهم لتشجيعهم على بذل مجهود أكبر.
- *امنحهم استراحات لتجديد النشاط:* يحتاج التلاميذ الذين يتململون من العمل الطويل إلى تجديد نشاطهم، كأخذ استراحة لخمس دقائق يثرثرون فيها. فاعتماد بعض المرونة يعطي نتائج أفضل بكثير من المعاملة الصارمة.
- *اعقد معهم صفقة:* حين يحصل الصفّ على دروس ممتعة معظم الوقت، يتحمّل عن طيب خاطر فترة ضجر عابرة. بالتالي، حين تعمل معهم على موضوع جافّ، اطلب منهم

تحمّله مقابل بعض الدروس المسليّة في المستقبل. كذلك، يمكنك أن تتّفق معهم على العمل بجهد كبير لعشرين دقيقة والحصول بعدها على استراحة لخمس دقائق يثرثرون ويسترخون فيها.

قلّة حوافز التعلّم

ثمّة فرق بين التلميذ الذي تضجره المدرسة، والتلميذ الذي تنقصه الحوافز للتعلّم. فبعض الأولاد يفقدون هذا الحافز لأنّهم يجدون العمل صعباً جدّاً، نتيجة ربّما لمشكلة معيّنة في القدرة على التعلّم. وثمّة آخرون يخافون من الرسوب أو يعانون من عائق ذهني تجاه مادّة معيّنة. لو تمكّنّا من جعل العمل ملائماً لقدرات كلّ تلميذ، لنجحنا ربّما في إعادة تحفيزهم. ومن التلاميذ من يفتقد إلى حوافز الدراسة لأنّ أحداً لم يخبرهم بأهميتها أو بأنّها قد تكون مسليّة.

مكافحة قلّة حوافز التعلّم

يشتمل هذا الكتاب على كثير من الأفكار عن كيفية جعل الدروس مسلّية، ممتعة ومثيرة للاهتمام، لا سيّما الفصل السابع. لو تمكّنت من تحقيق ذلك، ستغيّر نظرة التلاميذ تجاه فكرة التعلّم بأكملها، وهو إنجاز عظيم لأيّ معلّم. إليك بعض الأفكار عن كيفية التعامل مع التلميذ أو الصفّ الذي يفتقد إلى الحوافز.

- اجعل عملية التعلّم في كلّ درس واضحة تماماً عبر تحديد الأهداف في بداية الحصّة.
- اجعل أسباب التعلّم بديهيّة جدّاً، ربّما عبر ربط ما يحدث في الصفّ بعمل قد يمتهنه التلميذ في المستقبل.
- قسّم الحصّة إلى مهامّ فردية وحدّد كم يجب على التلميذ إنجازه في كلّ قسم.
- امنح الأولاد مكافآت عند إتمام كلّ جزء من الدرس ليروا بأنّ التعلّم يعود عليهم بالفوائد.
- شجّع الأولاد على إيجاد شركاء دراسة، أي تلاميذ آخرين يعملون معهم، يحفّزونهم ويشجّعونهم على إتمام العمل.
- اكتشف أين تكمن مواهب التلميذ المفتقد إلى الحوافز (مثلاً في الرسم أو الكومبيوتر)، وضمّن بعض هذه النشاطات في دروسك لمنحهم شعوراً بالنجاح.
- تعود المشكلة في بعض أحياناً إلى كون العمل شديد السهولة. أدخل في هذه الحالة بعض المجالات الصعبة على التلميذ أو الصفّ. فغالباً ما يتجاوب الأولاد جيّداً مع العمل الذي يفوق سنّهم صعوبة. ووضّح لهم بأنّك تثق في قدرتهم على إنجاز هذا العمل الصعب المخصّص للكبار بجديّة.

قلّة الاهتمام بالموادّ

في الواقع، ثمّة تلاميذ لا يهتمّون على الإطلاق ببعض الموادّ التي يتعلّمونها. فهي لا تثير اهتمامهم ولا تبدو لهم مرتبطة بحياتهم، أو أنّ قدراتهم الذهنية لا تحدّها. من الواضح أنّ المدارس المتخصّصة تميل حاليّاً إلى التركيز على الأولاد الموهوبين في موادّ معيّنة. غير أنّ بعض المجالات قد عكست للأسف صورة سلبية. فمن خلال لقاءاتي مع معلّمي لغات أجنبية عصرية، عرفت بأنّ طريقة إدراك المادّة قد تسبّب مشاكل في ضبط السلوك.

فمن شأن معلّم الصفوف الابتدائيّة أن يلاحظ تراجعاً في سلوك التلميذ خلال حصص القراءة أو الفنون مثلاً. وبما أنّ هذا المعلّم يراقب الولد في جميع الموادّ، من السهل عليه إيجاد طرق لمعالجة قلّة اهتمام الولد أو ضعفه في حصّة معيّنة. أمّا في الصفوف الثانوية، فإنّ التلميذ المنضبط تماماً في دروس العلوم أو الدراما قد يكون كابوساً حقيقيّاً في حصص اللغة العربية، والعكس بالعكس. وقد يعتبره معلّم اللغة العربية تلميذاً مشاكساً فعلاً، ويفاجأ لمعرفة أنّه ينجح في الموادّ العمليّة.

مكافحة قلّة الاهتمام بالموادّ

هنا أيضاً، يكمن الحلّ البديهي في جعل التلاميذ يهتمّون أكثر بالموادّ التي ينظرون إليها نظرة سلبية. فإن كنت معلّما ثانويّاً تعمل ضمن اختصاصك، لا بدّ أنّك مولع بمادّتك. ينبغي عليك بالتالي إيجاد طرق لجعل التلاميذ يرون كم يمكن لهذه المادّة أن تكون ممتعة ومشوّقة. إليك بعض المقترحات في سبيل ذلك.

- اعرف ما الذي يثير اهتمام تلاميذك فعلاً، واستعمل تلك المجالات من المنهاج لتدريس مادّتك. فإن كنت تدرّس اللغة الفرنسيّة مثلاً وتلاميذك مولعون بالكمبيوتر، خصّص جزءاً من الحصّة لتصميم لوائح أو بطاقات أو دفتر مرادفات على الكمبيوتر. وإن كنت تدرّس التاريخ وتلاميذك يحبّون الدراما، اجعلهم يؤدّون المسرحيات التاريخية وقم بنشاطات كلامية وسمعية.
- في الصفوف الثانوية، حاول معرفة التلاميذ الصعبي المراس في مختلف الموادّ. تحدّث مع المعلّمين الباقين – أو التلميذ – لمعرفة المجالات التي يبرع فيها هؤلاء التلاميذ واهتماماتهم، وضمّن شيئاً منها في دروسك.
- تحقّق ممّا إذا كانت قلّة الاهتمام الظاهرة هذه عارضاً لحاجة خاصّة لدى التلميذ. فبعض الأولاد الذين يعانون من صعوبة في القراءة والكتابة يحاولون إخفاءها عبر ادّعاء عدم اهتمامهم بالدروس.
- في الصفوف الابتدائيّة، التي يعاني فيها الصفّ بأكمله من مشاكل مع مادّة معيّنة، استغلّ حبّهم لدروس أكثر إمتاعاً كطعم لجعلهم يتعاونون معك. فإن كانوا يرغبون بمكافأة

النشاطات المسلّية، عليهم أن يعملوا بجدّ في جميع المو ادّ الأخرى.

- نظّم مشاريع على صعيد المدرسة أو القسم لمضاعفة اهتمام التلاميذ بمادّة معيّنة. على سبيل المثال، إن كان لمادّة التربية البدنية سمعة غير مستحبّة في المدرسة، نظّم يوماً تحت عنوان *امرح مع التربية البدنّية* لتريهم كم يمكن للمادّة أن تكون ممتعة.
- وضّح الروابط بين المادّة ومهن الحياة الواقعية. فإن كنت تدرّس الإسبانية مثلاً، وعمَد أحد لاعبي كرة القدم الشهيرين إلى الانتقال إلى إسبانيا، اطلب من الصفّ أن يحضّر له كلمة ترحيب.

التلاميذ

الحاجات الخاصّة

تشكل الحاجات الخاصّة عاملاً هامّاً في سوء السلوك، ولا يقتصر ذلك على الأولاد الذين يعانون من صعوبات عاطفية أو سلوكية. فحين يناضل الولد مع العمل الموكل إليه ولا يبذل المعلّم جهده لإيصاله إليه، سيجد نفسه حتماً أمام مشكلة سلوكية. قبل أن تلتقي بتلاميذك للمرّة الأولى، اعرف من منهم لديه حاجات خاصّة ومدى تأثير تلك الحاجات عليك كمعلّم. فإن كان أحد التلاميذ يعاني من صعوبة خاصّة مع التعلّم، في القراءة والكتابة مثلاً، ينبغي عليك التعرّف على تلك المشكلة وأخذها بالحسبان. لن تتجلّى نتائج ذلك في حصص اللغة العربية وحسب، بل في جميع الموادّ. فمن السهل إساءة تفسير مشاكل التعلّم ونشوء سوء السلوك الذي يمكن تجنّبه بفهم مشاكل التلميذ. وثمّة معلومات أكثر تفصيلاً عن التعامل مع الحاجات الخاصّة في الفصل التالي.

ضغط الزملاء

حين نكون ضمن مجموعة كبيرة من الأشخاص، نميل بشكل طبيعي إلى *اتباع القطيع* والتصرّف بطريقة ما كنّا لنتصرّف بها بمفردنا. في الواقع، يعتبر ضغط الزملاء عاملاً أساسيّاً في سوء السلوك لدى التلاميذ، لا سيّما في الصفوف التي يرتفع فيها عدد الأولاد المشاكسين. إذ يتعرّض التلاميذ إلى ضغط كبير لاتّباع أصدقائهم ونيل استحسان من يعملون معهم. بالمشاكسة، يمكن لهم أن يحصلوا على دعم إيجابي كبير من زملائهم. أمّا إن تمكّنوا من جعل الصفّ بأكمله يضحك على المعلّم، فسيحقّقون مكانة عظيمة ضمن المجموعة. وفي حال امتنعوا عن *اتّباع القطيع*، فثمّة خوف من أن يُعتبروا كدخلاء فيُستضعفون وتساء معاملتهم. لذا من الصعب على أيّ كان، لا سيّما الأولاد، أن يجدوا الجرأة ليقفوا في وجه الجماعة. وفي حال كانت أغلبيّة الصفّ سيّئة السلوك، يحتاج التلميذ إلى إرادة قويّة جدّاً لكي لا ينجرف مع التيار.

مكافحة ضغط الزملاء

من شأن ضبط الصفّ أن يكون في غاية الصعوبة إن كان معظم التلاميذ سيئي السلوك. فالتعامل مع حادثة سوء سلوك أو اثنتين ضمن مجموعة منضبطة عموماً، يتمّ على نحو مباشر، إذ يأخذ المعلّم الطلبة المشاكسين جانباً ويؤدّبهم. أمّا إن كان الصفّ بأكمله يثرثر ويرفض التعاون معك، فسرعان ما سيتملّكك الذعر وتبدأ بالصراخ والتصرّف على نحو دفاعي وتتوتّر تماماً. إليك بعض الأفكار للتعامل مع المشاكل التي يسبّبها ضغط الزملاء.

- *عاقب الصفّ بكامله*: أظهر لتلاميذك بأنّ الضغط الذي يمارسه الزملاء للتصرّف على نحو معيّن ليس مقبولاً. فأنت الذي يملك زمام السيطرة ولديك فكرة محدّدة عن السلوك الذي ينبغي على الصفّ الالتزام به. وإن كان الصفّ كلّه يتكلّم ويرفض الإصغاء إليك، جرّب كتابة العقاب على اللوح. عندها يجب أن يرى أحد التلاميذ الأكثر انضباطاً ما كتبته ويُسكِت الباقين.
- *ركّز على الإيجابيّات:* حتّى وإن كان الصفّ كلّه يسيء التصرّف، لا بدّ من وجود حفنة من الأولاد ينفّذون رغباتك. ركّز طاقتك وانتباهك عليهم، وأثنِ على سلوكهم وكافئهم. ولكن إن كانت ثقافة الاستقواء سائدة في مدرستك، احذر من تمييز هؤلاء التلاميذ أمام بقيّة الصفّ، واعمد عوضاً عن ذلك إلى أخذ العناصر المنضبطة جانباً بعد انتهاء الحصّة واشكرها على تعاونها.
- *أعد توزيع الأماكن:* في كثير من الحالات، ثمّة عدد كافٍ من التلاميذ المنضبطين للفصل بين المشاكسين منهم. ضع المشاغبين المحتملين قرب الأولاد الذين يصعب أن يخضعوا لتأثيرهم. وعلى الرغم من أنّ هؤلاء الأولاد المجتهدين قد لا يعجبهم هذا الحلّ، إلاّ أنّهم سيفضّلونه على عدم التعلّم على الإطلاق إن كان من الممكن أن يساعدك على إعطاء الدروس بشكل أفضل.
- اكسب *رأس الأفعى إلى جانبك:* في معظم المجموعات، يكون المسيطر هو تلميذ أو اثنين. ومن السهل عادة تمييز رأس الأفعى في الصفّ. ابذل بالتالي جهداً كبيراً لكسب ذاك التلميذ إلى جانبك، وسترى كيف أنّ بقيّة التلاميذ يتبعونه بسهولة. ولا أعني بذلك التملّق لتلميذ معيّن، بل معرفة ما يسبب سوء سلوكه وإيجاد طرق للتعامل معه.
- *قدّم لهم نموذجاً بديلاً:* إن اتّبعت النصائح الواردة في هذا الكتاب، سيدرك تلاميذك لاحقاً أنّه ثمّة بديل. وفي النهاية، سيغلب ضغط المعلّم على ضغط الزملاء، فثابر على موقفك.

قلّة الانضباط الذاتي

مع تقدّمنا في السنّ، نتعلّم بأنّ الانضباط الذاتي هو شرط حيوي للنجاح في الحياة. قد لا نرغب بالنهوض عند الساعة السابعة كلّ صباح للذهاب إلى العمل، ولكن إن كنّا نريد نيل مكافأة

الراتب علينا التكيّف مع ذلك. بعض تلاميذنا لم يتعلّموا بعد مهارات الانضباط الذاتي والتركيز. وقد يعود السبب إلى نشوئهم في بيئة لا تعلّم أو تقدّر تلك المهارات.

في الواقع، قد يكون من الصعب على الأولاد القليلي الانضباط الامتثال لأنظمة المدرسة. على سبيل المثال، إن اصطحبتهم إلى قاعة رياضية مفتوحة أو ملعب واسع في حصّة التربية البدنية، فهم ربّما لم يسبق لهم أن تواجدوا في مكان بهذا الاتساع. وليس من المستغرب أن يبدأوا بالركض لاختبار الحدود الجديدة التي يواجهونها.

مكافحة قلّة الانضباط الذاتي

نحن بحاجة إلى تدريب تلاميذنا على فنّ الانضباط الذاتي لكي يتصرّفوا حسب رغبتنا. ولا يمكن الفصل بين الانضباط الذاتي والتركيز، وجميع المعلّمين يدركون أهمية التركيز بالنسبة إلى التعليم الناجح. وبصفتي معلّمة دراما، فإنّ التركيز هو واحد من عدد من المهارات الأساسيّة التي أعلّمها لتلاميذي. في ما يلي بعض التمارين التي أستعملها في نيل ذلك والتي يمكنك تكييفها مع سنّ تلاميذك ومادّة اختصاصك. من شأن تمارين التركيز هذه أن تهدّئ الصفّ في بداية الحصّة. وإلاّ فيمكنك إنهاء الحصّة أو اليوم المدرسي بأحد تلك التمارين لكي يغادر التلاميذ بحالة ذهنية مرتاحة. وتمارين التركيز هي تمارين تأمّل، وتقوم أساساً على التركيز على شيء واحد لمدّة من الوقت، وإبعاد آلاف الأمور التي تشتّت الانتباه في المدرسة.

- *الإصغاء:* اطلب من الأولاد إغماض أعينهم والاستماع جيّداً إلى الأصوات المحيطة بهم داخل الصفّ وفي الرواق. عليهم الإصغاء لدقيقة أو اثنتين. وحين ينتهي الوقت ويفتحون أعينهم، اسألهم عمّا سمعوه.
- *العدّ:* اطلب منهم إغماض أعينهم والعدّ عكسيّاً من الخمسين إلى الصفر. وعند الانتهاء عليهم أن يفتحوا أعينهم وينتظروا بدء الدرس.
- *التهجئة العكسيّة:* اطلب منهم إغماض أعينهم وتهجئة بعض الكلمات عكسيّاً في أذهانهم. على سبيل المثال، أسماؤهم الكاملة أو مفردات أساسيّة من الدرس.
- *التماثيل:* اطلب منهم الجلوس بشكل مريح والسكون تماماً لمدّة من الوقت (ابدأ بدقيقة أو اثنتين وضاعف المدّة تدريجيّاً). يمكنك أن تحوّل التمرين إلى اختبار، وتتحدّى تلاميذك لكي يتحسّنوا مرّة بعد مرّة. من المثير للعجب كم يتحمّس التلاميذ من جميع الأعمار للقيام بهذا التمرين.

المعلّم

يساهم بعض المعلّمين، وربّما كلّهم، في سوء تصرّف تلاميذهم، وإن عن غير قصد بالطبع. ولو عدتَ بالذاكرة إلى أيّام الدراسة، ستتذكّر بعض المعلّمين الذين أساء معظم التلاميذ التصرّف

معهم. فكّر مليّاً بأسباب ذلك وما إذا كنت ترتكب الأخطاء نفسها التي ارتكبها معلّموك.

من خلال اتّباع الملاحظات في هذا الكتاب، قد تتمكّن من تجنّب التشجيع على سوء السلوك في أكثر الأوقات. وفي ما يلي لائحة *بالكبائر* التي ينبغي عليك تجنّبها مهما كلّف الأمر. اسأل نفسك: أيّ من هذه الأخطاء أميل إلى ارتكابها؟ ولو أبقيت هذه الفكرة في ذهنك، قد تتمكّن من ضبط نفسك بالجرم المشهود وتجنّب المشاكل لاحقاً.

الكبائر

- *لا تنهك التلاميذ:* هل تعطي صفّك الكثير من النشاطات المتعبة في محاولة لإبقائهم منشغلين؟ هل تنتهي معظم دروسك في حالة من الفوضى وأنت مرهق تماماً؟ تذكّر بأنّ السرّ يكمن في الحفاظ على الهدوء، وهذا يشمل إبقاء تلاميذك هادئين هم أيضاً.
- *لا تكن غامضاً ومتردّداً:* هل تشعر أحياناً بأنّ تلاميذك يسيطرون على الوضع أكثر منك؟ حينما يبدو المعلّم بأنّه يسلّم زمام الأمور إلى الصفّ، وبأنّه غير أكيد مما يريده فعلاً، لا يتردّد التلاميذ عندها بتجاوز الحدود.
- *لا تكن فظّاً:* هل تخاطب تلاميذك بفظاظة؟ أتستعمل عبارات مثل *اخرس* أو *لا تكن غبيّاً*؟ إنّ تلاميذك بشر هم أيضاً. بالتالي، تكلّم معهم كما تفعل مع شخص بالغ، مهما بالغوا في استفزازك.
- *لا تغالي في ردّة فعلك:* هل يتأذى شعورك بسهولة فائقة وتتفاعل مع أقل سوء سلوك على أنّه إهانة تجاه التمدّن؟ لا تنسَ أنّ تلاميذك ليسوا سوى أولاد، ومن الطبيعيّ جدّاً حدوث شيء من الفوضى في صفّك.
- *لا تكن ميّالاً للمواجهة:* هل تثور على تلاميذك حين يسيئون التصرّف، وتتعارك معهم لفرض إرادتك؟ أعلم في الواقع مدى سهولة الاستجابات العنيفة، إلاّ أنّ من شأن ذلك أن يشجّع على المواجهات التي قد تنتهي بالعنف الجسدي.
- *لا تكن سيّئ المزاج:* تخيّل الجلوس في صفّ أمام معلّم سيئ المزاج على الدوام. يأتي كلّ يوم، يتذمّر، يئنّ ويشتكي من أبسط الأشياء. وأنت مجبر على الجلوس والتحمّل. أعتقد أنّني سأسيء التصرّف عندها؛ ألن تفعل أنت؟
- *لا تكن سلبيّاً:* هل تقول عند لقاء صفّك: "أرجو ألاّ تسيئوا التصرّف بقدر ما فعلتم في المرّة السابقة"؟ في هذه الحالة، أنت ترتكب خطيئة السلبيّة. تذكّر: ضع كل ما تقوله في إطار إيجابيّ.
- *لا تكن مملاًّ:* هل فقدت بريقَك، أي الجزء الصغير الذي جعلك حيّاً كمعلّم؟ كن صريحاً، هل تجد دروسك مملّة نوعاً ما وفيها كثير من التركيز على إتمام أوراق التحضير؟ في

تلك الحالة، سيشاغب التلاميذ كيلا يستغرقوا في النوم.

كيف يتغيّر التلاميذ

يحاول التلاميذ في أول سنة لهم، وفي أيّة مدرسة كانوا التعرّف على محيطهم، ومعرفة تصميم الأبنية، وطريقة سير المدرسة الابتدائيّة، المتوسّطة أو الثانويّة التي يتعلّمون فيها. هذا النقص في معرفة أنظمة المدرسة يجعلهم أكثر طواعية بحيث تستطيع قولبتهم تبعاً لطريقة تفكيرك، تصرّفك وعملك. لكن، حين يبلغون السنة الدراسيّة الأخيرة في المدرسة، يكونون قد وصلوا إلى أعلى السلّم. ونظراً إلى ارتفاع منزلتهم، سيبدأون على الأرجح باختبار الحدود، ويتزايد احتمال وقوع حوادث سوء السلوك.

إن الوصف التالي للتلاميذ من مختلف الأعمار في حياتهم المدرسيّة هو عبارة عن دليل موجز وعام لبعض العوامل التّي قد تؤثّر على تصرّفاتهم. فمن المحتمل أن ننسى في بعض الأحيان ما يعني أنّ نكون صغاراً في السن؛ أنّ نواجه مدرسة جديدة للمرّة الأولى، أو الإرباك الحاصل من التغيرّات التي تطرأ على أجسادنا وأحاسيسنا عند مرورنا بمرحلة المراهقة. لذلك فإنّ العودة إلى تلك الأوقات من ماضيك ستساعدك على فهم تلاميذك بشكل أفضل.

تلميذ المرحلة الابتدائيّة

عندما يبدأ الأولاد بارتياد المدرسة، يكونون صغاراً جدّاً. فتراهم مأخوذين تماماً بمحيطهم الجديد، وبكل الأشياء المختلفة التي ينبغي عليهم اكتشافها. ولعلّ هذا اللقاء هو الأطول بينهم وبين أناس ناضجين غير أهلهم أو مربّيهم، ومن شأن المدرسة أن تكون مكاناً مربكاً ومخيفاً لهم. لا عجب بالتالي أن يشاكسوا أحياناً. ففي محاولة لمعرفة السلوك المقبول في هذا الوضع الغريب والجديد، يتصرّف الأولاد بطريقة غير مستحبّة. إنّ هؤلاء الأولاد الصغار يدخلون بيئة يتوقّع منهم فيها القيام بكثير من الأشياء الجديدة عليهم. وربّما لم يسبق لبعضهم أن اختبر أشكال السلوك التي يطلبها المعلّم، كالجلوس ساكنين على السجادة أو التركيز على تمرين معيّن لفترة مطوّلة من الزمن.

إضافة إلى إيجاد المكان الجديد غريباً ومربكاً، لا يملك الأولاد في هذه السنّ فكرة كبيرة عمّا يفكّر ويشعر به الآخرون، كما أنّ مقدرتهم على التأكيد محدودة. ولا يكتشفون إلاّ حين يكبرون، بأنّ تصرّفاتهم السيئة قد تزعج الآخرين، كباراً أو صغاراً. فحين مارست التعليم لأوّل مرّة في مدرسة ابتدائيّة، تفاجأت بالقليل الذي يعرفه الأولاد في هذه السن. حاولت إعطاء درس جغرافيا مستعملة كرة أرضيّة، لكنّ صفّي أثبت جهله التامّ بالعالم المحيط به. فمعرفتهم بالأماكن حتّى تلك المرحلة اقتصرت على الصعيد المحلّي، وهو واقع كنت أجهله. تذكّر بالتالي أنّ المدرسة تقدّم للتلاميذ الصغار مكاناً غريباً ومختلفاً ليتعلّموا عنه.

تلميذ المدرسة المتوسّطة

إنّ الانتقال من المدرسة الابتدائيّة إلى المدرسة المتوسّطة هو أسهل في بعض النواحي من الانتقال من المدرسة المتوسّطة إلى الثانويّة. في الواقع، يبقى كثير من الأولاد في المدرسة نفسها طوال دراستهم الابتدائيّة. وفي هذه المرحلة، يملك التلاميذ معلّماً واحداً لجميع الدروس أو معظمها، وهذا ما يعطيهم الإحساس بالاستمراريّة. ولكن، إن لم ينسجموا مع ذاك المعلّم، فلا مفرّ من وقوع المشاكل. إذ يبدأ الأولاد في هذه السنّ بتخطّي الحواجز المفروضة من قبل الكبار، ويحاولون أن يختبروا بدقة إلى أيّ مدى يستطيعون الذهاب في ذلك. وبما أنّ سن البلوغ تنخفض على نحو متزايد، يواجه معلّمو المرحلة الثانويّة العديد من المسائل المتعلّقة بهذه التغيّرات الجسديّة والبيوكيميائيّة لدى تلاميذهم.

في المرحلة المتوسّطة تبدأ أجساد الأولاد بالنمّو، كما أنّ البعض ينمو أسرع من غيره. ومن السهل علينا أن نعتقد أنّ التلميذ الضخم الجثّة يتمتّع أيضاً بالنضج الذهني والاجتماعي، وأن نتوقّع منه سلوكاً أفضل. غير أنّه لا ينبغي علينا أن نملك توقعات ذات نمط واحد من أولادنا استناداً إلى مظهرهم الخارجي.

تلميذ المرحلة الثانويّة

تفرض المرحلة الثانويّة كثيراً من التحدّيات على الشباب. إذ ليس عليهم أن يتأقلموا مع محيط مختلف كلّيّاً وحسب، بل هم ينتقلون أيضاً إلى سنّ المراهقة، وهي فترة تشتمل على كثير من التغيّرات الجسديّة، الذهنية والعاطفيّة. تكون المدارس الثانويّة عادة أكبر بكثير من الابتدائيّة أو المتوسّطة، من حيث الحجم وعدد التلاميذ، مما يجعل من السهل على الأولاد الضياع في مثل هذا المحيط. إضافة إلى ذلك، وقبل بلوغ المرحلة الثانويّة، يكون لدى التلاميذ كثير من الأفكار المسبقة حول استقواء زملائهم الأكبر سنّاً، وأشياء رهيبة أخرى قد يجدونها.

لن يكون على التلاميذ التعامل مع كل هذا وحسب، بل سينتقلون فجأة من معلّم واحد للمنهاج كلّه، إلى معلّم مختلف لكل مادّة. كما سيتحتّم عليهم في بعض المدارس الانتقال من غرفة إلى أخرى بحسب موادهم المختلفة. وبما أنّ معلّمي المرحلة الثانويّة يتعاملون مع عدد كبير من التلاميذ، لن يجدوا فرصة كبيرة لمعرفة كلّ تلميذ على حدة، أو لِفهم الحاجات التعليميّة لكلٍّ منهم.

9 - أنواع التلاميذ

كيف نتعامل مع مختلف أنواع التلاميذ؟

إنّ كلّ تلميذ هو عبارة عن فرد معقّد ومثير للاهتمام. على الرغم من ذلك، من الممكن إلى حدٍّ ما أخذ بعض الملاحظات العامّة التي تساعد على التعامل مع سوء السلوك. يبحث هذا الفصل مختلف أنواع التلاميذ، والمشاكل التي قد يسبّبونها للمعلّم فضلاً عن بعض التقنيات التي يمكن استخدامها للتعامل معهم. ويتزايد الميل اليوم إلى اعتماد سياسة *التضمين* التي ينبغي فيها على المعلّم أن يتعامل مع مختلف أنواع التلاميذ في صفوفه. وبعض هؤلاء التلاميذ يعانون من مشاكل سلوكية خطيرة كان يتصدّى لها في الماضي معلّم متخصّص. نحن لسنا بصدد بحث حسنات وسيّئات هذه السياسة، بل نسعى إلى مواجهة الموقف كما هو ومحاولة إيجاد طرق لبذل ما نستطيع من أجل تلاميذنا جميعاً.

الحاجات التعليمية الخاصّة

يشتمل تعبير الحاجات التعليمية الخاصّة على مجموعة واسعة من الصعوبات التعليمية أو غيرها. ومع أنّ الحاجات الخاصّة غير مرتبطة جميعها بالسلوك، إلاّ أنّ سوء الفهم المتكرّر لمشكلة تعليمية من شأنه أن يؤدّي في الواقع إلى مشكلة سلوكية مع الوقت. فإن واجه أحد الأولاد صعوبة كبيرة في التعلّم، فلا عجب من وقوع حوادث سوء سلوك. وكمعلّم محترف، من مسؤوليتك أن تعرف كيف تتعامل مع حاجات التلاميذ على اختلاف أنواعها، من أقواهم إلى أضعفهم، ومن أكثرهم انضباطاً إلى الأسوأ بينهم. وكلّما كنت أكثر اطّلاعاً على حاجات تلاميذك، تمكّنت من صياغة أسلوب تعليمي يناسبهم أكثر.

ولا أدّعي هنا بأنّني خبيرة في الحاجات الخاصّة، والنصائح التي أوردها في هذا الفصل مستقاة أساساً من خبرتي مع التلاميذ. سيكون ثمّة أخصّائيّين في المدرسة لديهم الخبرة في التعامل مع مختلف أنواع الحاجات الخاصّة. احرص على التوجّه إليهم حين تواجه المشاكل، وسيسرّهم أن يشاركوك معلوماتهم. في الواقع، إنّ بعضاً من أهمّ النصائح حصلت عليها من أخصّائيي الحاجات الخاصّة الذين يعملون مع هؤلاء الأولاد عن كثب.

المشاكل العاطفية والسلوكيّة

هي الأخطر طبعاً حين يكون ضبط السلوك معنيّاً. إذ من شأن التلاميذ الذين يعانون من مشاكل عاطفية أو سلوكية أن يكونوا شديدي الميل إلى المواجهات وعاجزين عن كبت غضبهم، أو يكونوا انطوائيين ويعانون من هشاشة عاطفية. وربّما اكتسب بعض هؤلاء التلاميذ سلوكهم من المثال السيئ. فمن شأن الأهل أن يفتقروا إلى المهارات الأبوية الأساسيّة، أو ربّما تصرّفوا على نحو

عدواني وسلبي جدّاً تجاه الولد خلال نشأته. من جهة أخرى، يعاني بعض الأولاد من مشاكل عاطفية أو سلوكية نتيجة لحالة مرضيّة.

التعامل مع المشاكل العاطفية والسلوكيّة

في حال وجود تلميذ أو تلاميذ يعانون من مشاكل عاطفية أو سلوكية خطيرة في صفّك، ينبغي عليك استعمال جميع الاستراتيجيات المتوفّرة لديك للتعامل مع المشكلة. والحالة المعروضة في هذا الفصل تحت عنوان *التلميذ العدواني/الميّال إلى المواجهة* تشتمل على أفكار محدّدة حول التعامل مع تلميذ معيّن. إليك بعض النصائح العامّة:

- كن مثالاً هادئاً، ثابتاً وإيجابيّاً ليتعلّم منه التلميذ.
- حيِّ التلميذ باسمه في بداية الحصّة واذكر توقّعاتك الإيجابيّة لما سينجزه.
- كن ثابتاً قدر الإمكان في توقّعاتك، ولكن كن مرناً أيضاً عند الضرورة.
- تجنّب الصراخ لأنّه يزيد السلوك الميّال إلى المواجهة سوءاً.
- حين يتصرّف التلميذ بشكل جيّد، أثنِ عليه، ولا تنتظر الحوادث السلبيّة للتركيز عليه.
- ضع أهدافاً يسهل تحقيقها بالنسبة إلى العمل والسلوك، وكافئ التلميذ على إنجاز كلّ منها.
- فكّر بإعادة توزيع التلاميذ في أماكنهم، فقد يكون من الأفضل وضع هذا التلميذ قريباً من مكتبك قدر الإمكان.
- ضع خطّة احترازية بالنسبة إلى التلميذ الشديد العدوانية بحيث يمكنك الابتعاد أنت والآخرين عن الخطر.

اضطراب قلّة الانتباه

هو من المشاكل السلوكيّة الأكثر إزعاجاً، وقد حظي بكثير من الاهتمام مؤخّراً. يعاني التلاميذ المصابون بهذا الاضطراب أو باضطراب فرط النشاط المرتبط بقلّة الانتباه من مشاكل خطيرة في التركيز على أيّ نشاط كان لمدّة من الوقت. ويشمل ذلك القيام بواجب مدرسي، أو مجرّد بقائهم جالسين على مقاعدهم. وإن كان لديك ولد يعاني من هذه الحالة في صفّك، قد تجد بأنّه يتناول دواء ريتالين مثلاً لعلاج المشكلة.

التعامل مع اضطراب قلّة الانتباه

إن كان ثمّة تلميذ يعاني من هذه المشكلة في صفّك، ستجد معه إفادة بكونه يملك حاجات تعليمية خاصّة تخوّله الحصول على دعم إضافي. وقد يكون ثمّة مساعد يعمل مع الولد في بعض الدروس أو خلال معظم وقته في المدرسة. الحالة الواردة أدناه تحت عنوان التلميذ المشتّت الانتباه تعطيك بعض الاستراتيجيات المحدّدة. وفي ما يلي نصائح عامّة:

- تجاهل قدر الإمكان حوادث سوء السلوك البسيطة الصادرة عن التلميذ الذي يعاني من اضطراب قلّة الانتباه. ولا تركّز على الولد إلاّ حين يصدر عنه سلوك حسن، وذلك من خلال الإكثار من الثناء قدر الإمكان لتشجيعه على تكرار التصرّف الإيجابي.
- اعثر على طرق لإبقاء الحصّة ناشطة ومنوّعة بحيث لا يتوجّب على الولد الجلوس والإصغاء لفترات طويلة. وافصل بين فترات التركيز الطويلة بمهامّ عملية.
- أعطِ الولد مهاماً تطوّعية تحتّم عليه القيام من مقعده والمشاركة في الصفّ على نحو إيجابي ومفيد.
- من شأن تمارين التركيز أن تساعد هذا التلميذ على تحسين قدراته التركيزية. راجع التمارين المذكورة في الفصل السابق "التعامل مع قلّة الانضباط الذاتي". مع ذلك، لا تتوقّع حدوث معجزات! فمن الممكن ألاّ تحصل على أكثر من قليل من التركيز مع حالات كهذه.
- ضع أهدافاً صغيرة خلال الحصّة يمكن للتلميذ تحقيقها بسهولة نسبيّاً. وأغدق عليه بالثناء كلّما أنجز أحدها.
- استعمل إشارات بصرية لمساعدة الولد على فهم مرور الوقت، مثل جدول زمنيّ فرديّ مع رموز ملوّنة، مثبّت على مكتبه.
- في حال تشتّت انتباه التلميذ بالكامل أو راح يسيء التصرّف، حاول إلهاءه عنه عبر عرض بديل مثير للاهتمام.

فرط النشاط

يعجز الأولاد المصابون بفرط النشاط عن البقاء ساكنين. وتؤدّي هذه الحالة بالطبع إلى مشاكل في الصفّ، لأنّ التلميذ يضطرّ إلى ملازمة مكانه لبعض الوقت على الأقلّ خلال الدرس. ويتفاقم فرط النشاط تحت تأثير بعض الأطعمة والمشروبات، كتلك المحتوية على نسبة عالية من السكّر أو الكافيين. في الواقع، بإمكانك أن تلاحظ كيف يتغيّر سلوك تلاميذك بعد الاستراحة مباشرة، بسبب استهلاكهم للمشروبات المعلّبة المحتوية على السكّر. إن النصائح المعطاة أعلاه للتعامل مع قلّة الانتباه، تساعد أيضاً على التعامل مع الولد المصاب بفرط النشاط.

مشاكل التعلّم

ثمّة أنواع عديدة من مشاكل التعلّم، قد تتمثّل في الكتابة أو التهجئة أو الأعداد، وما إلى ذلك. ومع أنّ مشاكل التعلّم لا تؤدّي بالضرورة إلى مشاكل سلوكيّة، إلاّ أنّ الأولاد سرعان ما يشعرون بالإحباط والإحراج نتيجة لعدم قدرتهم على العمل أو الفهم مثل زملائهم. ولو تعامل المعلّم مع صعوبة التعلّم على نحو غير ملائم، عبر اتّهام التلميذ بالكسل مثلاً، قد ينتج عن ذلك سوء السلوك.

التعامل مع مشاكل التعلّم

يقوم عملك كمعلّم بالطبع على تلبية حاجات جميع تلاميذ صفّك. وإن كان أحد تلاميذك يعاني من خلل في القدرة على القراءة، ستخلّف هذه الحالة تأثيراً على قدرة الولد على التعلّم في كثير من مجالات المنهاج، كلّما احتاج إلى القراءة أو الكتابة. ينبغي عليك بالتالي أن تعي هذه المشاكل وتحاول مساعدة التلميذ بالطرق المناسبة. خذ بعين الاعتبار المشاكل التي يواجهها الولد خلال الحصّة بأكملها وليس عند العمل الفردي وحسب. على سبيل المثال، يواجه الولد المصاب بخلل في القدرة على القراءة صعوبةً في تدوين الواجب المنزلي أو القراءة عن اللوح. وفي ما يلي بعض النصائح العامّة التي تساعد على التعامل بشكل صحيح مع حاجات الصفّ:

- تعرّف بالضبط على الحاجات الخاصّة لدى تلاميذك، واستشر أخصّائيي الحاجات الخاصّة في مدرستك بشأن التعامل معها.
- طوّر نفسك وضاعف خبرتك من خلال المشاركة في دورات تدريبيّة كلّما سنحت لك الفرصة.
- أعطِ التلاميذ عند الإمكان مهامّاً مميّزة بحسب قدراتهم، بحيث يحصل الولد الذي يعاني من صعوبة في التعلّم على فرصة للنجاح. ومع أنّ ذلك يستهلك الوقت، إلاّ أنّه يساعد على تلبية حاجات جميع التلاميذ، وتجنّب سوء السلوك.
- احرص على عدم إحراج التلميذ أو لفت الانتباه إلى نقطة ضعفه. وإن احتجت إلى التحدّث إلى التلميذ بشأن مشكلته، قم بذلك على انفراد.
- قدّم بعض التسهيلات من أجل من يعانون من المشاكل، ولكن حافظ على مستوى تعليم عالٍ. فإعطاء التلاميذ أقلّ من قدراتهم لا يفيدهم بشيء.

أخصّائيّو الحاجات الخاصّة

ثمّة تخصّصات مختلفة لدى أخصّائيّي الحاجات الخاصّة الذين يعملون ضمن النظام التعليمي، وجميعهم يسرّهم مساعدتك على التعامل مع حاجات تلاميذك. واعتماداً على حجم ونوع مدرستك، يكون هناك مساعدون في مجال الحاجات الخاصّة: موظّفو أعمال خيرية تعليمية، خبراء علم نفس تعليميّون وما إلى ذلك يعملون معك، إمّا كموظّفين دائمين أو كمستشارين زائرين. تعرّف إليهم، واطلب مساعدتهم أو اسألهم عن معلومات مفصّلة عن أحد التلاميذ الذي يسبّب لك المشاكل. تحدّث إليهم بانتظام وتذكّر إخبارهم بمدى فاعلية المشورة التي قدّموها لك.

بوسعك أيضاً مساعدة فريق الحاجات الخاصّة في مدرستك عبر لفت أنظارهم إلى التلاميذ الذين لم يتمّ التعرّف على حاجاتهم بعد. فمن الصعب أحياناً على هؤلاء الأخصّائيّين اكتشاف الحالات الجديدة لأنّهم لا يدرّسون صفوفاً كاملة بانتظام. ومن شأن التلاميذ أن يعانوا من مشكلة

سلوكية في أيّ وقت خلال فترة تعليمهم المدرسي، وبالتالي، على المعلّم أن يراقب تلاميذه على الدوام لكشف من يعاني منهم من المشاكل، إمّا على صعيد السلوك أو العمل.

قد يكون لبعض المعلّمين أخصّائي يعمل معه داخل الصفّ. في هذه الحالة، احرص على الإعداد مسبقاً بحيث تستغلّ وقت هذا المعلّم إلى أقصى حدّ. دعه يطّلع مسبقاً على مخطّط الدرس، واطلب مشورته في تعديل العمل الذي تقوم به ليلائم التلاميذ ذوي الحاجات الخاصّة. واعرف ما إذا كان الأخصّائيّ يفضّل سحب بضعة تلاميذ من الصفّ والعمل معهم ضمن مجموعة صغيرة، أو العمل داخل الصفّ ليساعد على دمج التلاميذ مع زملائهم.

دراسة حالات لذوي الحاجات الخاصّة

الدراسات التالية هي من وحي الخيال بالكامل. وهي ليست بالضرورة حول تلاميذ يعانون من حاجات خاصّة، مع أنّه من الواضح وجود خطب ما في كلّ حالة. لقد أوردت في كلّ دراسة مثالاً لبحث بعض المسائل السلوكيّة التي قد تواجهها. كما قدّمت سلسلة من الاقتراحات لحلّ المشاكل السلوكية. تنطبق الدراسات على الصفوف الابتدائية والثانوية على حدٍّ سواء، كما يمكن تعديل الاقتراحات لتلائم الظروف الخاصّة لديك.

التلميذ الكسول/الضعيف الحوافز

يبدو بأنّ ثريا لا تكلّف نفسها عناء إتمام واجباتها. فهي نادراً ما تنجز أيّ عمل، وفي حال أتمّت شيئاً، فإنّه يفتقد إلى الترتيب والجودة. وأنت محتار بين الاستسلام وترك ثريا لحالها وإن لم تنجز واجباتها، وبين مواجهتها بالمشكلة. وحين تُسأل عن سبب عدم إنجازها للمهمّة المطلوبة منها تجيب: "لم أتمكّن، آنسة".

ومع أنّك قد حاولت سابقاً حجزها لإنهاء عملها، إلاّ أنّها لم تحضر إلى الحجز يوماً. وعدم مجيئها لا يعود إلى محاولتها المتعمّدة التهرّب من العقاب بقدر ما يعود إلى أنّها تنسى الحضور في الواقع.

التعامل مع التلميذ الكسول/الضعيف الحوافز

تحقّق لدى أخصّائيّي الحاجات الخاصّة ممّا إذا كانت ثريا تعاني من صعوبة في التعلّم. فربّما كانت تعاني من مشاكل في القدرة على الكتابة أو فهم دروسك. وإن لم تخضع للفحص، اطلب من فريق الحاجات الخاصّة القيام بذلك.

- ضع لها أهدافاً يمكن تحقيقها خلال الحصّة. مثلاً، ارسم خطّاً على الصفحة، واطلب منها الكتابة فوقه لمدّة من الوقت. وكلّما أتمّت إحدى المهامّ، كافئها بالثناء أو بالملصقات.
- إن كانت حالة صفّك تسمح، اجلس مع ثريا وهي تعمل وتحدّث إليها عمّا تحتاج للقيام به وأكّد دوماً على المجهود الذي تبذله.

- إن كنت مشغولاً جدّاً مع الصفّ بحيث يتعذّر عليك إيلاء انتباهك لها، أجلسها بقرب تلميذ قويّ الحوافز يمكنه تشجيعها ومساعدتها.
- اكتشف ما الذي يثير اهتمام ثريا فعلاً، وحاول إدخاله في مخطّط دروسك.
- إن كان ثمّة أجهزة كومبيوتر محمولة في المدرسة، حاول أن تدع ثريا تستعمل أحدها. فربّما كانت تعاني من ضعف في قدرتها على الكتابة، والكومبيوتر يسمح لها بإتمام عمل أكبر.
- اكتشف ما هي المكافآت التي تحفّز ثريا فعلاً، فربّما ساعدتك مكالمة هاتفية إيجابية إلى المنزل.
- تحدّث إلى معلّمين آخرين من معلّمي ثريا السابقين أو الحاليّين واسألهم إن كانوا يواجهون معها المشاكل نفسها، وما هي الاستراتيجيات التي يستخدمونها. أمّا إن كانت ثريا تعاني من المشاكل في حصّتك وحسب، فتحدّث معها عن سبب ذلك.

التلميذ المشاغب

يشكّل نادر كابوساً بالنسبة إليك. فحين يأتي إلى الصفّ (متأخراً دوماً) يبدأ على الفور بإحداث الفوضى، ويورّط زملاءه في سوء سلوكه. ناهيك عن أنّه يتعامل بعدائية مع زملائه الأكثر هدوءاً. وهو نادراً ما يتمّ أيّ عمل، وحين يفعل، يحتوي فرضه على تعليقات فظّة وشخصيّة عنك.

حين تحاول معاقبة نادر، يستجيب بشكل سلبي جدّاً، ويطلق الشتائم والإهانات. كما يرفض الحضور إلى الاحتجاز، ويدفعك للجنون إن حاولت إبقاءه بعد الحصّة.

التعامل مع التلميذ المشاغب

- مع هذا النوع الخطير من سوء السلوك، لا بدّ بأنّه قد سبق وتمّ لفت نظر فريق الحاجات الخاصّة إلى نادر. استشرهم بشأنه، وما إذا كان ثمّة ما يجب أن تعرفه عن خلفيّته. واطلب نصيحتهم حول طريقة التعامل معه، واسألهم عمّا يقومون به حاليّاً لتغيير سلوكه.
- من المحتمل أن يكون بقيّة الصفّ منزعجاً أيضاً من نادر. اعمد قبل دخوله الصفّ إلى التحدّث إلى بقيّة التلاميذ حول ما يمكنهم القيام به لمساعدتك على تحسين سلوكه. على سبيل المثال، إن تمكّنوا من تجاهل سلوكه السيّئ، ستقلّ الأسباب التي تدفعه إلى اتّباع هذا السلوك.
- تحدّث إلى نادر خارج وقت الصفّ عن سلوكه، ولكن احذر من أن تبدو ضعيفاً أثناء ذلك. وضّح له ببساطة ماهيّة المشكلة، وأخبره بأنّك ستحلّها مهما كلّفك ذلك. فقد يكون نادر معتاداً على استسلام معلّميه له. وضّح له بالتالي أنّك لن تفعل ذلك.

- إن أحسن نادر التصرّف يوماً، قد يكون من المفيد الثناء عليه علناً، لا سيّما إن كان من النوع الذي يتجاوب مع استحسان زملائه.
- إن كان نادر يتجاوب على نحو سلبي جدّاً مع القصاص، قد يكون من غير المجدي استعماله أساساً. ركّز عوضاً عن ذلك على الملاحظات الإيجابيّة والمكافآت.
- إن وجدت ضرورة لذلك، لا تتردّد بإحضار معلّم أعلى مرتبة للتعامل مع المشكلة. فإن وصلت الأمور إلى حدّ شعورك بأنّك مهدّد شخصيّاً من قبل نادر، أو بدأ الصفّ يتضايق من سلوكه، قد يكون من الأفضل إخراجه من الصفّ لفترة.
- تحدّث مع بقيّة المعلّمين حول طرق التعامل معه. فربّما كان يتجاوب بشكل جيّد مع أسلوب تعليمي معيّن. هل يفضّل الأسلوب *الصارم والمخيف* أم *الحازم والمرح*؟
- إن كنت تعرف بأنّ أهله قادرون على مساعدتك، هاتفهم، وتحدّث إليهم حول سلوكه خلال حصصك. ولكن كن حذراً. فمن الممكن أن يتصرّف أهله بالطريقة نفسها التي يتصرّف هو بها، فتؤدّي المكالمة إلى جعل الأمور أكثر سوءاً.
- لا تأخذ سلوكه على محمل شخصيّ أو تتصرّف معه بشكل دفاعي. تذكّر أن تحافظ على هدوئك وتهذيبك في جميع الأوقات ولا تنحدر أبداً إلى مستواه.
- تعاطف مع المشاكل النفسية الخطيرة التي قد يعاني منها نادر. وحاول أن تشعر بالشفقة عوضاً عن الغضب حين يقاطع دروسك، مهما بدا ذلك صعباً.

التلميذ المشتّت الانتباه

نور طفلة قريبة إلى القلب، ولكنّها تجد صعوبة كبيرة في التركيز على أيّ شيء. ففي الصباح، تستغرق وقتاً طويلاً للجلوس على السجادة عند تسجيل الحضور. وحين تطلب عملاً من الصفّ، تبدأ به بشكل جيّد جدّاً، ولكن ما إن تمضي بضع دقائق حتّى تلتهي عن عملها في الثرثرة مع أصدقائها والتجوّل في الغرفة أو مجرّد التحديق في النافذة، تائهة في عالمها.

حين تواجهها بذلك، إمّا تعدك بالعودة إلى العمل (ولكنّها تتركه لاحقاً)، أو تنزعج وتغادر الصفّ مسرعة. مع أنّك جرّبت طرقاً مختلفة معها، كغضّ النظر عن سوء التصرّف البسيط، أو وضع أهداف لها لتنجزها، إلاّ أنّ شيئاً لم ينجح معها. وأنت قلق من تدهور علاقتك بها.

التعامل مع التلميذ المشتّت الانتباه

- تحقّق لدى فريق الحاجات الخاصّة لترى ما إذا كانت نور تعاني من صعوبة معيّنة في التعلّم. وفي هذه الحالة، استعمل طرقاً لجعل مهامها مختلفة عن مهام الآخرين.
- أعِر نور اهتماماً خاصّاً حين تصل في الصباح لإعطائها انطباعاً إيجابيّاً عن المدرسة منذ بداية النهار. حيّها باسمها، وأخبرها كم أنت متشوّق لترى عملها الجيّد اليوم. كرّر تلك

التحيّة بعد الاستراحة القصيرة واستراحة الغداء.

- من الواضح أنّ نور تجد صعوبة في التركيز في الصباح. أوكل إليها دوراً خاصّاً بالكبار في بداية اليوم لتؤمّن لها هدفاً منذ لحظة وصولها إلى المدرسة. على سبيل المثال، اجعلها مسؤولة عن إحضار موارد الصفّ أو حتّى التأكّد من جلوس بقيّة التلاميذ على السجّادة لأخذ الحضور.
- راجع مليّاً مخطّط درسك، واحرص على عدم الطلب من الصفّ الإصغاء لفترات طويلة أو التركيز على مهمّة واحدة طويلاً. قسّم العمل إلى نشاطات قصيرة، وضع وقتاً محدّداً لكلّ منها. ولا تنسَ منح المكافآت والثناء على إتمام كلّ مهمّة.
- تأكّد من أنّ نور تفهم تماماً المهمّة المطلوبة. وبعد أن يشرع الصفّ بالعمل، اذهب واجلس معها لفترة للتأكّد من أنّها تعرف ما هو المطلوب منها، أو اطلب من أحد المساعدين القيام بذلك.
- ضع لنور أهدافاً يمكن تحقيقها، واحرص على التحقّق من كيفيّة عملها عليها بانتظام. كافئها – بأيّ شيء يساهم في تحفيزها – على كلّ ما تنجزه.
- اعثر لها على شريك أو صديق مسؤول تعمل معه جيّداً، واطلب منه مساعدتها على عدم الانصراف عن عملها.
- استعمل ساعة رملية لتوفّر لنور مساعداً بصريّاً على إتمام مهامها. أعطها مهاماً تستغرق مدّتها مدة انسياب الرمل مرة واحدة عبر الساعة. واطلب منها رفع يدها عند انتهاء الوقت، ثمّ اذهب للتحقّق من عملها.
- اكتشف ما الذي يثير اهتمام نور خارج وقت الصفّ. فإن كانت تهتمّ بالرسم، أكثر لها من المهامّ المرتكزة على الفنّ. شجّع إحساسها الإيجابي بالنجاح عبر التركيز على مواهبها كأن تطلب منها مساعدتك على رسم بعض الأشياء.
- كن على اتّصال بأهل نور أو من يتولّون العناية بها وتحدّث معهم. واعمد إلى العمل معهم كفريق عبر اقتراح طرق لمساعدتك على تحسين سلوك نور التعليمي.

التلميذ الذي يعاني من مشاكل اجتماعيّة

سهى طفلة غريبة. فأنت تراها تتجوّل في المدرسة وحيدة في فترات الاستراحة، وتبدو شديدة الأسف على نفسها. حين تصل إلى الصفّ في الصباح، تكون كريهة الرائحة ومتّسخة، وقد بدأ الأولاد الباقون يضايقونها بسبب ذلك. على الرغم من أنّ عملها الفردي جيّد، إلاّ أنّها لا تعمل جيّداً مع المجموعة. في الواقع، لا أحد من الأولاد يرغب بالعمل معها بسبب غرابة أطوارها. هذا ما

يضعك في موقف حرج، لأنّ أصوات الاعتراض سرعان ما ترتفع في الصفّ حين تحاول جعلهم يقبلونها في النشاطات الجماعية.

وعندما تتحدّث إلى سهى على انفراد، ترفض النظر في عينيك، وتغمغم أجوبتها بحيث تفهمها بالكاد. ولا يبدو من العدل معاقبتها لأنّها لم ترتكب أيّ خطأ، إلاّ أنّ غرابة تصرّفها تؤثّر على صفّك عموماً.

التعامل مع المشكلة

- استناداً إلى المعلومات السابقة، يبدو بأنّ سهى تحتاج إلى اهتمام موظّف حماية الولد، أو الخدمات التعليمية الخيرية إن لم يسبق لذلك أن حدث. تحدّث إلى فريق الحاجات الخاصّة للتعرّف على خلفية سهى ووضعها المنزلي.
- حاول تجنّب العمل الجماعي لفترة على الأقلّ. وفي حال تعذّر عليك ذلك، جد طريقة لجعل سهى تتمّ العمل بمفردها، ولكن من دون أن تشعر بأنّها منبوذة.
- ضاعف ثقة سهى بنفسها، ربّما من خلال الثناء على عملها الجيّد بتعليقات خطيّة. واحرص على عدم إطلاع بقية الصفّ على هذا المديح خوفاً من أن يكون سبباً إضافيّاً لنبذها.
- أمضِ بعض الوقت في التحدّث مع سهى على انفراد لكي تكسب ثقتها تدريجيّاً وعلّمها كيف تنظر في عيون الآخرين وتتحدّث بوضوح أكبر. تحدّث إليها بلطف، واطلب منها النظر في عينيك حين تكلّمها.
- إن كان وضع الصفّ يسمح، تحدّث إلى التلاميذ في غياب سهى. وضّح لهم أهمية قبول الجميع، أيّاً كانوا، عند العمل في المجموعة. من دون أن تذكر سهى بالاسم، بيّن لهم مدى فظاعة شعور الإنسان الذي يُستبعد من المجموعة لأنّ أحداً لا يحبّه.
- قم بعمل على مستوى الصفّ كلّه حول مواضيع استقواء التلاميذ على بعضهم بعضاً والصداقة. وضّح للأولاد بأنّك لا تقبل بأن يستقوي أحدهم على الآخر في صفّك، وتحدّث عن العقوبات المناسبة لمثل هذه الأعمال.
- انظر ما إذا كان بوسعك إيجاد تلميذ أو اثنين يمكنهم مصادقة سهى. حاول جعل سهى تلازم أحدهم لكي تتعلّم بعض المهارات الاجتماعية.
- اسأل سهى ما إذا كانت تودّ البقاء معك خلال الاستراحة لمساعدتك في عمل معيّن للصفّ. (يمكنك أن تطلب أيضاً من متطوّعين آخرين العمل معها على أمل نشوء صداقة بينهم). من شأنها أن تساعدك في ترتيب الكتب أو عرض أشياء معينة. فذلك سيشعرها

بأنّها مرغوبة وهامّة وقد يساهم في تعزيز ثقتها بنفسها. أضف إلى أنّ ذلك سيمنعها من الشعور بالوحدة والعزلة خلال فترات الاستراحة.

التلميذ العدائي/الميّال إلى المواجهات

جهاد عبارة عن مشكلة حقيقية في المدرسة، وغالباً ما يثير بقية المعلّمين موضوع سلوكه العدائي وغير الاجتماعي في حصصهم. فهو ضخم وقويّ الجثّة، وغالباً ما تشعر بأنّك مهدّد جسديّاً من قبله. يبدأ جهاد بالصراخ وإثارة المشاكل عند أقلّ تحريض. كما أنّه يتصرّف على نحو سلبي جدّاً إزاء بقية التلاميذ الذين بدأوا يخافون منه.

نادراً ما يتمّ جهاد أيّ عمل في الصفّ، وحين تحاول معاقبته على ذلك، يتصرّف على نحو شديد العدائيّة. حتّى أنّه قام مؤخّراً بحمل كرسي وهدّد برميه.

التعامل مع التلميذ العدائي/الميّال إلى المواجهات

- من الواضح أنّ جهاد يعاني من مشكلة في السيطرة على غضبه. هنا أيضاً، تحقّق من أنّه قد تمّ التعرّف على حاجاته الخاصّة وتقييمها. اعرف من أخصّائيي الحاجات الخاصّة ما الذي يوقفه عند حدّه وكيف تتجنّب مضاعفة عدائيّته.
- اقترح على فريق الحاجات الخاصّة (أو مدير المدرسة) إعطاء جهاد دروساً في السيطرة على الغضب. ووضّح بأنّه ثمّة عدد من المعلّمين الذين يشعرون بأنّهم مهدّدون بسلوكه.
- تجنّب مواجهة جهاد مهما كلّف ذلك، فالأمر لا يستحقّ أن تعرّض سلامتك للخطر، والمواجهة هي التي تثير عدائية جهاد على ما يبدو. حاول عوضاً عن ذلك أن تحافظ على هدوئك وتستعمل مقاربات غير حادّة.
- وفّر لجهاد خيار الخروج. على سبيل المثال، حين يشعر بأنّه على وشك الانفجار، يمكنه الخروج من الصفّ عوضاً عن تطوّر الأمور. جد له مكاناً آمناً يذهب إليه في تلك الحالات، كالجلوس خارج مكتب المدرِّسة مثلاً.
- قد يكون الناس يتجاوبون مع حجم جهاد ومظهره الخارجي ويتوقّعون منه إثارة المشاكل. حاول تفادي التركيز على جهاد والمشاكل التي يسبّبها في صفّك. ولا تركّز عليه إلاّ حينما يقوم بعمل جيّد.
- استشر معلّمين آخرين حول طريقة التعامل مع جهاد، وتحدّث عن مخاوفك مع معلّم أعلى مرتبة. وضّح لهم ما تشعر به والشعور الذي يثيره جهاد لدى بقيّة الصفّ. فعلى الأرجح، سبق أن أُبلغ المدير بتصرّف جهاد ووجّه له إنذاراً، أو حتّى طُرد في الماضي.
- احرص على تسجيل جميع الحوادث التي يتورّط فيها جهاد، لا سيّما عند التهديد بالسلوك العدائي أو العنيف أو استعماله، ومرّر نسخاً عن تلك المعلومات إلى المدراء وفريق

الحاجات الخاصّة. وإن شعرت أنّ الوضع يخرج عن السيطرة أو أنّك مهدّد فعليّاً أو تتعرّض للاعتداء، ناقش المسألة مع المدير أو ممثّل النقابة.

10 - رأي التلاميذ

أثناء إعدادي لهذا الكتاب، أجريت مقابلات مع مجموعة منوّعة من التلاميذ لمعرفة آرائهم بالسلوك. وكان التلاميذ غالباً شديدي الوضوح والإدراك للسلوك الذي يجعلهم يتبعون معلّميهم. وقد أذهلتني بعض التعليقات التي تعكس ربّما وجود هوّة بين رأي المعلّم والتلميذ بسوء السلوك.

يمثّل التلاميذ عيّنة نموذجيّة من الصفوف الثانوية، وينتمون إلى أعمار مختلفة وخلفية ثقافية واجتماعية منوّعة. وقد تحدّثت إلى تلاميذ منضبطين عموماً في صفوفهم وإلى آخرين سيّئي السلوك. وكانوا يتمتّعون بقدرات متفاوتة، من الكفوئين إلى ذوي الحاجات الخاصّة.

السيطرة على الصفّ

ما الذي يجعل المعلّم بارعاً في السيطرة على الصفّ؟

حدّد التلاميذ نوعين من المعلّمين البارعين في ضبط الصفّ. وصفوا النوع الأول بأنّه *حازم ومرح*: وهم يحبّون هذا المعلّم القادر في الوقت نفسه على ضبط سلوكهم، ومعاملتهم بمرح. ويمكن وصف النوع الثاني بأنّه *صارم ومخيف* على الرغم من انضباطهم بوجوده، إلاّ أنّهم لا يستمتعون بحصصه، كما يشعرون بأنّه لا يحبّهم في الواقع. وفي ما يلي بعض نواحي هذين الأسلوبين كما وصفهما التلاميذ:

المعلّم الحازم والمرح

- *الأسلوب التعليمي:* كان هذا المعلّم حازماً مع الصفّ منذ الحصّة الأولى، فأخبر الصفّ بما يتوقّعه من دون سؤالهم. (وهنا ذكر التلاميذ كيف أنّ بعض المعلّمين يطلبون منهم حسن التصرّف). وهو يبيّن توقّعاته على الدوام، كأن يتحقّق من ارتداء التلاميذ لزيّهم المدرسي قبل السماح لهم بدخول الصفّ. وعند الضرورة، لا يتردّد بالصراخ إلاّ أنّه قادر على أن يكون *لطيفاً، ومضحكاً وحنوناً*.
- *العمل:* يجعل هذا المعلّم الدروس تبدو مثيرة للاهتمام بحيث يستمتع التلاميذ أثناء التعلّم. فقد يقوم المعلّم ببعض الألعاب في بداية الحصّة أو نهايتها، كما أنّه ينوّع أسلوب التدريس ولا يطلب من التلاميذ العمل بصمت تامّ. فهم يعرفون بوضوح كمية العمل المتوجّبة عليهم لإرضاء هذا المعلّم. وإن كان الدرس صعباً، يقوم بمكافأتهم على المجهود الإضافي الذي بذلوه ولا يطلب منهم القيام بأعمال تفوق قدراتهم. وثمّة علاقة واضحة جدّاً بين حبّ التلاميذ لمعلّمهم وحبّهم للمادة التي يدرّسها.
- *الانضباط:* يعرف الأولاد جيّداً أنّ هذا النوع من المعلّمين يعاقب التلميذ، إلاّ أنّه يقوم بذلك بهدوء وسيطرة على النفس. وإن كان من الضروري فرض عقاب على الصفّ بأكمله،

كالاحتجاز مثلاً، فإنّه يسمح لذوي السلوك الحسن بالمغادرة أوّلاً لكي لا يعاقَبوا على خطأ الآخرين.

- *العلاقة مع التلاميذ:* يحبّ التلاميذ هذا المعلّم ويحترمونه، ويصفونه بأنّه سعيد ومليء بالحياة. وبإمكانهم إقامة علاقة معه لأنّه يمثّل العمل ويبدي سروره للتحدّث معهم بلا تحفّظ. كما يشعرون بأنّه يحبّهم فعلاً، ويسرّ دوماً للقائهم.
- *رأي التلاميذ بالمعلّم:* يتمتّع هذا المعلّم بسمعة طيّبة في المدرسة، وهذا عامل مهمّ على الأرجح بالنسبة إلى توقّعات التلميذ وسلوكه. فهم يدركون بأنّه يملك وجهاً *جيّداً* وآخر *سيّئاً* ويحذرون من إثارة المشاكل معه.

المعلّم الصارم والمخيف

- *الأسلوب التعليمي:* يرى التلاميذ بأنّ المعلّمين الذكور يميلون إلى اعتماد هذا الأسلوب أكثر من الإناث، ويتمتعون بصوت قويّ وعميق. وقد علّق أحد التلاميذ بأنّ "الجميع ينجز عمله ولكنّهم لا يحبّونه".
- *العمل:* على الأولاد إتمام عملهم قبل أن يسمح لهم بمغادرة الصفّ. وفي بعض الأحيان، يشعر التلاميذ بالخوف من هذا المعلّم إلى حدّ أنّهم يمتنعون عن طلب المساعدة.
- *الانضباط:* يستعمل هذا المعلّم تهديد القصاص لضبط الصفّ، كما أنّه لا يتورّع عن حجز التلاميذ. وهو ينفّذ عقوبة الاحتجاز دوماً ولا يتردّد في جلب التلميذ للتأكّد من أنّه أتمّ عقابه. على التلاميذ الاصطفاف بصمت قبل دخول الصفّ. كما أنّه غالباً ما يستخدم خريطة لتوزيع الأماكن كشكل من أشكال السيطرة.
- *العلاقة مع التلاميذ:* استعمل التلاميذ كلمة *تهديد* تكراراً في وصفهم لهذا المعلّم. ولم يشعروا أنّ بإمكانهم إقامة علاقة وثيقة معه.
- *رأي التلاميذ بالمعلّم:* في الظاهر، "يبدو هذا المعلّم بأنّه غير خائف من التلاميذ". والاحترام الذي يناله من تلاميذه ناتج عن الخوف وليس عن الإعجاب بشخصه.

ما الذي يجعل المعلّم سيّئاً في ضبط الصفّ

هنا أيضاً، كان التلاميذ شديدي الوضوح حول ما يمكن للمعلّم فعله أو عدم فعله لجعل الصفّ يسيء التصرّف. معظم ما قالوه يرجع إلى رأي التلاميذ بحالة المعلّم الذهنية. وقد بدا أن هناك هوّة عميقة بين ما قال هذا النوع من المعلّمين بأنّهم سيفعلونه وما فعلوه في الواقع.

- *الأسلوب التعليمي:* يتصرّف هذا النوع من المعلّمين وكأنّه خائف من الأولاد. وقد وجد التلاميذ صعوبة في شرح ذلك، إلاّ أنّهم يعرفون بالتأكيد متى يحدث ذلك. كما أنّهم يعرفون

متى يكون المعلّم غير راغب بالتصادم معهم. وكثيرون منهم وصفوا هذا النوع بأنّه "يصرخ ولكنّه غير حازم" أو أنّه "يصرخ على الدوام" و"يتقصّدك".

- *العمل:* يسيء الأولاد التصرّف إن لم يكن العمل ممتعاً وإن لم يشرح المعلّم الدرس بوضوح. وهم يقومون مع بعض المعلّمين بالعمل نفسه طيلة الوقت، وهذا ما يشعرهم بالملل ويدفعهم لاحقاً إلى إساءة التصرّف.
- *الانضباط:* يهدّد هذا المعلّم بالعقاب ولكنّه لا يتابع تطبيقه. من الممكن أيضاً أن يستعمل العقاب الأقصى في كلّ حصّة (كطرد التلميذ من الصفّ)، أو يتّخذ موقفاً دفاعيّاً بشكل مبالغ فيه أو يفرط في فرض العقوبات، وهذا ما يعتبره التلاميذ أمراً غير عادل أبداً.

ويشرح الأولاد بأنّ بعض المعلّمين بدأوا بتساهل مع الصفّ، وحين أخذ التلاميذ يسيئون السلوك رجوهم حُسن التصرّف عوضاً عن *أمرهم* بذلك. كما أنّهم يسمحون عادة للتلاميذ بالجلوس أينما شاؤوا عوضاً عن استعمال خريطة لتوزيع الأماكن. كما أنّهم دفاعيّون ويميلون إلى الصراخ في وجه الأولاد قبل إعطائهم فرصة شرح ما يجري.

- *العلاقة مع التلاميذ:* يحب التلاميذ أن يعاملوا باحترام، ويكرهون المعلّم الذي يعاملهم بفوقية أو يعطيهم الانطباع بأنّه أفضل منهم.
- *رأي التلاميذ بالمعلّم:* يشعر التلاميذ بالإحباط من المعلّم الذي لا يستطيع ضبطهم. وقد علّق أحدهم بأنّ "بعض المعلّمين يجنون على أنفسهم". فيما قال آخر "بأنّ الصفّ لا يعطي المعلّم الفرصة في بعض الأحيان حين يكون جديداً، وصغير السنّ أو يفتقد إلى الخبرة". وكان ثمّة أيضاً شعور قويّ بأنّ بعض المعلّمين غير الناجحين لديهم تلاميذ مميّزون، أو أنّهم لا يعاملون الفتيات والصبيان على قدم المساواة. فيما شعر بعض التلاميذ الأقلّ انضباطاً بأنّ هذا المعلّم يتقصّدهم ويوجّه غضبه على تلميذ واحد دون غيره.

من هو المعلّم المثالي برأيك

بالطبع، ليس من علاقة بالضرورة بين ما يراه التلاميذ *معلّماً مثاليّاً* والمعلّم البارع في ضبط السلوك. مع ذلك، كان التلاميذ في غاية الوضوح حول رغبتهم بأن يكون المعلّم قادراً على ضبط الصفّ، إلاّ أنّهم يريدون أن يتمّ ذلك بطريقة معيّنة. وحين سئلوا عن معلّمهم المثاليّ، وصفوا جميعاً شخصاً ينسجم كثيراً مع أسلوب التعليم *الحازم والمرح*.

- *الأسلوب التعليمي:* تكرّرت عبارات على غرار *مضحك ولطيف*. يتمتّع المعلّم المثالي بشخصيّة محبّبة ويجعل كلّ شيء ممتعاً، كاللعب على الكلام لجعل العمل أكثر متعة. ومن المهمّ بالنسبة إليهم أن يكون المعلّمون *سعداء وغير كئيبين*، وألاّ يكون مزاجهم متعكّراً

على الدوام. بالنسبة إليهم، المعلّم المثالي حازم باعتدال مع القدرة على أن يكون جديّاً عند الضرورة.

- *العمل:* العمل معه ممتع ومثير للاهتمام مع كثير من المكافآت. والدروس منوّعة، سهلة أحياناً ولا تشتمل حتماً على الكتابة دوماً، بل تتخلّلها الألعاب أحياناً. والمعلّم جاهز دائماً لمساعدة التلاميذ عند الحاجة.
- *الانضباط:* على الرغم من أنّ هذا المعلّم الأسطوري في كماله يمكنه أن يكون حازماً حين يسيء التلاميذ التصرّف، إلاّ أنّه لا يصرخ. ويقول التلاميذ إنّ على المعلّم أن يردّ على الطريقة التي يتصرّفون فيها وأن يكون حازماً عند الحاجة، ولكنّه يبقى مرحاً في الحالات الأخرى. كما ينبغي عليه إعطاء التلميذ فرصة قبل أن يفرض عليه حجزاً.
- *العلاقة مع التلاميذ:* هنا أيضاً، أكّد التلاميذ عن رغبتهم بأن يعاملوا على قدم المساواة مع المعلّم. كما أرادوا أن يتحدّث معهم بشكل ملائم.
- *رأي التلاميذ بالمعلّم:* شعر التلاميذ بأنّهم يودّون التقرّب أكثر من هذا النوع من المعلّمين. فبرأيهم، *المعلّم المثالي* حازم، ولكنّه مرح وسرعان ما يقيمون معه علاقة طيّبة على الصعيد الشخصي.

المكافآت والعقوبات

ما هي المكافآت المجدية ولماذا؟

ما أثار استغرابي أنّ التلاميذ لا تؤثّر فيهم أغلب المكافآت المعطاة في المدرسة. وعلى الأرجح، فإنّ "المكافأة" الأساسيّة التي حصلوا عليها، وربّما من دون أن يدركوا، هي الثناء الشفهي أو الخطّي من قبل معلّم يحترمونه. كان التلاميذ ماديّين جدّاً بهذا الشأن، وأشاروا إلى أنّ المكافآت المحترمة والمحسوسة تجعلهم يحسنون السلوك أكثر! ومن دواعي السرور أنّ بعضاً من التلاميذ الذين يتمتّعون بحوافز أقوى ذكروا المكافأة الأكثر قيمة للتعليم الجيّد.

الجدارات/التنويهات

أبدى التلاميذ الصغار في السنّ حماسهم للحصول على الجدارات، ولكنّهم أشاروا إلى أنّ "الأولاد المجتهدين" أساساً هم الذين يريدونها، وأنّها ليست فعّالة جدّاً كوسيلة لضبط الصفّ. وكان بعض التلاميذ الأقلّ انضباطاً صريحين بما يكفي للإقرار أنّهم ما داموا يضيعون يومياتهم (التي يدوَّن عليها التنويه) باستمرار، فلا جدوى من جمعها.

وبدت الجدارات أقلّ فاعلية ما لم تحصل على شيء بالمقابل. فقد اقترح التلاميذ أنّهم إن حصلوا على نقاط مقابل الجدارات يمكن "صرفها" على شكل جوائز، لكانت أكثر فاعلية. كما أشار

الأولاد أنّ بعض المعلّمين ينسون إعطاء الجدارة، فيما يتجاهل آخرون الأولاد الهادئين والمجتهدين ولا يعطونها سوى لزملائهم الصاخبين.

حفلات توزيع الجوائز/شهادات التقدير

بالنسبة إلى التلاميذ الذين لديهم آباء يدعمونهم ويفخرون بنجاحهم، تشكّل شهادات التقدير مكافأة واسعة الشعبية. وقد اقترح الأولاد إعطاء الشهادات بشكل علني قدر الإمكان، كتجمّع مثلاً، لتبدو المكافأة محسوسة أكثر.

اقتراحات أخرى للمكافآت

يرغب التلاميذ بالحصول على مكافآت محسوسة على حسن سلوكهم. وقد أحبّوا فكرة إيصال الرسائل الشفهية إلى النظّار أو المعلّمين (وإضاعة جزء من الحصّة بالنتيجة؛ وهو خيار شعبي جدّاً). ومن المكافآت المحسوسة الأخرى التي تلقى استحسانهم، الشارات أو الجوائز، كألواح الشوكولاته والعصير. يا لهم من أولاد ماديّين!

ما هي العقوبات المجدية ولماذا؟

كان للتلاميذ آراء قويّة حول مدى فاعلية مختلف العقوبات في جعلهم (هم وزملاؤهم) يحسنون السلوك. وقد شعروا عموماً بأنّ معظم العقوبات كانت فعّالة بالنسبة إلى التلاميذ "الجيّدين"، الذين أرادوا النجاح فعلاً. ولكنّهم رأوا بأنّ كثيراً من العقوبات لم تجدِ نفعاً مع التلاميذ "السيّئين" لأنّهم لا يكترثون (أو يتظاهرون بعدم الاكتراث) للعقاب.

الاحتجاز

تتضارب مشاعر التلاميذ حول هذا القصاص. فاعتماداً على سبب فرض الاحتجاز وكيفية تطبيقه، وجدوا إمّا أنّه عقاب فعّال أو مضيعة تامّة للوقت. وقد قال بعضهم إنّهم لم يحضروا إلى الاحتجاز لعدم وجود ضغط حقيقيّ لفعل ذلك. وقال آخرون إنّهم لو فهموا سبب إعطائهم الاحتجاز لحضروا إليه.

كما ذكر التلاميذ أنّهم احتُجزوا أحياناً عقاباً على حاجتهم إلى المساعدة. ومن الواضح أنّه في إحدى الحالات، حجزهم المعلّم لعدم إتمامهم العمل خلال الوقت المحدّد، إلاّ أنّ التلميذ اعتبره عقاباً على ضعفه. أمّا احتجاز الصفّ كلّه فاعتبروه قصاصاً بالغ الظلم.

وبالنسبة إلى الاحتجاز القصير، فهو طريقة فعالة للعقاب برأيهم، إلاّ أنّ الاحتجاز الطويل غير مستحبّ عموماً. ومن شأن الاحتجاز المعطى في وقت الاستراحة والغداء أن يسبّب المشاكل للتلاميذ، لأنّهم لا يحصلون على وقت للأكل. وفي الواقع، اختبرت الصعوبات الناتجة عن ذلك بنفسي، حين يسيء التلميذ السلوك بعد احتجاز خضع له في فترة الاستراحة، بسبب الجوع أو قلة

الطاقة. ويرى التلاميذ أنّه يجب على المعلّم منحهم عملاً يقومون به خلال الاحتجاز، أو عقاباً جماعيّاً كجمع القمامة. فذلك قد يؤدّي برأيهم إلى تقليص وقت الاحتجاز.

الطرد/إخراج التلميذ من جدول العمل

اعتبر التلاميذ نظام "البطاقة الحمراء"، الذي يتم بموجبه إخراج أحد التلاميذ من الصفّ، عقاباً جيّداً لأنّه يبعد الأولاد المشاكسين ويتيح للباقين متابعة العمل من دون مقاطعة. وقد أدرك التلاميذ بأنّ هذا العقاب المتقدّم يدوّن في سجلاّت المدرسة. إلاّ أنّهم يرون بأنّ الطرد من الحصّة ليس له تأثير كبير على الانضباط بالنسبة إلى التلاميذ "السيّئين"، لأنّهم يعتبرونه مزحة كبيرة. (وربّما كان التلاميذ يحاولون التغطية على إحراجهم من الحصول على عقاب شديد بالسخرية منه). أمّا إخراج التلميذ من جدول العمل المعتاد فاعتبره الأولاد قصاصاً لا يخلو من "الغباء". إذ يكون التلميذ قد حقّق بذلك النتيجة المرغوبة، وهي الخروج من الحصّة وتجنّب العمل.

الطرد من المدرسة

لم يتوقّع أغلب التلاميذ أن يطردوا يوماً من المدرسة. غير أنّ رأيهم كان حازماً بالنسبة إلى وجهة نظر التلاميذ الذين استحقّوا هذا العقاب القاسي. فمع أنّهم شعروا بأنّ الطرد من المدرسة يساعد على توفير أجواء لسلوك أفضل، إلاّ أنّني فوجئت لاعتبارهم أنّ الطرد يعني أيضاً بالنسبة إلى كثير من التلاميذ القليلي الانضباط "يوم عطلة لفعل ما تشاء".

أشكال العقاب الأخرى

شعر التلاميذ بأنّ طلب التحدّث مع التلميذ هو عقاب مفيد جدّاً، لا سيّما إن كان في وقت الغداء. كما اقترحوا أن يجتمع التلميذ مع المعلّم والأبوين والمسؤول إن كان يسيء السلوك باستمرار. كما رأوا بأنّ الاتصالات الهاتفية وتوجيه الرسائل إلى المنزل تساعد أيضاً إن كان والدا التلميذ متعاونين. وقال كثير من الأولاد بأنّهم حاولوا فعلاً تجنّب هذا العقاب بالذات.

العوامل الأخرى التي تؤثّر على السلوك

"ما هو تأثير بيئة الصفّ على سلوكك؟"

يرى التلاميذ أنّه حين يكون الصفّ قذراً بالأساس، سيميلون أكثر إلى رمي النفايات على الأرض. ولكن، إن كان الصفّ نظيفاً ونابضاً بالألوان، فسوف يرغبون بالمحافظة عليه كما هو. وشعر بعض الأولاد بأنّ الصفوف التي يتعلّمون فيها "باهتة" و"باردة". إن كانت الحالة كذلك، لن يسرّوا للعمل فيها وسيكونون أكثر ميلاً لإساءة التصرّف نتيجة لذلك.

"ما هي الموادّ التي يسهل عليكم الانضباط فيها؟"

لا عجب ربّما أن يشعر التلاميذ بأنّه من الأسهل عليهم الانضباط في الموادّ غير الأكاديمية، كالفنون والموسيقى والتربية البدنية. وقد فسّروا ذلك بأنّ تلك الموادّ لا تحتاج إلى كثير من التركيز

وهم يشعرون باسترخاء أكبر فيها. ويعتبرون مادّة التربية البدنية على أنّها حصّة مرح لا حصّة عمل.

آراء التلاميذ بسوء السلوك

"ما رأيكم بالتلاميذ ذوي السلوك السيّئ جدّاً؟"

كان للتلاميذ مشاعر متضاربة إزاء التلاميذ السيّئي السلوك. فقالوا عنهم بأنّهم مضحكون ويضفون متعة على الدرس. ولكنّ المثير للقلق، أنّهم رأوا أيضاً وجود علاقة بين سوء السلوك والشعبية. ومعظمهم لم يشعر بأنّه مهدّد شخصيّاً من قبل الأولاد السيّئي السلوك في مدرسته.

غير أنّ البعض عبّر أيضاً عن انزعاجه. فقد شعروا أنّ هؤلاء التلاميذ يستحوذون على اهتمام المعلّم، وهو أمر غير عادل. كما عبّروا عن تعاطفهم مع المعلّمين الذين يتعاملون مع مشاكل سوء التصرّف. وكان ثمّة إحساس قويّ بأنّه ينبغي عدم السماح لهؤلاء التلاميذ بالتأثير سلباً على تعليم الآخرين.

وذكر بعض هؤلاء التلاميذ أنّ زملاءهم المشاكسين دعوهم بالمتملّقين لأنّهم رغبوا بإحسان السلوك. غير أنّهم سخروا من هذا النعت، لاسيّما الأكبر سنّاً بينهم. وقالوا بأنّ تلك الإهانات نابعة من الغيرة لأنّهم يريدون العمل بجهد للحصول على وظيفة جيّدة. وقالوا أيضاً إنّ الذكور يميلون إلى نعت الإناث بالمتملّقات.

"لِمَ يسيء التلاميذ السلوك"؟

كان التلاميذ واعين جدّاً للأسباب التي تدفع زملاءهم إلى إساءة السلوك. فذكروا "الزعماء" الذين يضطرّون إلى اتّباعهم خوفاً منهم. ناهيك عن أنّ للزعماء شعبيّتهم في الصفّ، وهو أمر في غاية الأهمية بالنسبة إليهم. ويفسّر الأولاد أنّهم يتبعون التلاميذ "المشاغبين" لأنّهم جريئون ولا يخافون من تحدّي المعلّمين. وغالباً ما يبدو سلوكهم مضحكاً بالنسبة إلى الصفّ، وهم يرغبون بتقليدهم ليروا التأثير الذي سيحدثونه. وإن أطلق أصدقاؤهم التعليقات السيّئة، يشعرون بثقة أكبر للانضمام إليهم، على حدّ قولهم.

وأشار التلاميذ إلى أنّ الملل هو عامل أساسيّ في توليد سوء السلوك. فإثارة الفوضى تلفت إليهم انتباه المعلّم وبقيّة الصفّ على حدّ سواء. وبذلك يكونون "شجعاناً" في نظر الباقين ويأتون بشيء من اللهو عن العمل المضجر. ومن المشاكل الأخرى، عجزهم عن ضبط أنفسهم. وقلّة الانضباط هذه تكون أقوى في أوقات معيّنة من النهار أو الأسبوع، أو بعد حصص معيّنة، كحصّة التربية البدنية مثلاً. وبرزت أيضاً فكرة "العصابات". فأشاروا إلى أنّ التلاميذ الذين يرفضون الانضمام إلى عصابة سيّئة السلوك يخافون من أن يعاملهم أفرادها بعنف أو ينقلبوا عليهم.

صِف تلميذاً سيئ السلوك

حين طُلب من التلاميذ وصف تلاميذ سيّئي السلوك، ذكروا عدداً من الخصائص:

- يستغيبون المعلّمين، ويتحدّثون بفظاظة عند الاعتراض على سلوكهم.
- يعترضون بشدّة على العقاب، حتّى إن كانوا يستحقّونه.
- يستمتعون بالتباهي ويريدون أن تسير الأمور حسب هواهم طيلة الوقت.
- إن لم يحصلوا على ما يريدون، قد يغادرون الصفّ.
- يتظاهرون بالاجتهاد خلال الحصص.
- لا يتردّدون بشتم التلاميذ الآخرين والمعلّم على حدٍّ سواء.
- لا يهتمّون بالتعلّم، وربّما لا يكترثون لا هم ولا آباؤهم بالحصول على مؤهّلات جيّدة.
- يعمدون أحياناً إلى التدخين خارج وقت الدرس.
- يصفهم باقي التلاميذ بأنّهم يميلون إلى الاستقواء عليهم.

بالإضافة إلى ذلك، ذكر التلاميذ صفات أكثر *إيجابية*:

- يتمتّعون باحترام زملائهم.
- يلفتون انتباه المعلّم أكثر من غيرهم.
- يتمتّعون بشعبية أكبر بين زملائهم.

"ما الذي ينبغي فعله بخصوص التلاميذ السيّئي السلوك؟"

لم يتمكّن التلاميذ من الإجابة بسهولة عن هذا السؤال. اقترح بعضهم تخصيص مدارس للأولاد المشاكسين. وقالوا إنّها فكرة جيّدة لأنها تسمح للأشخاص الذين يرغبون بالتعلّم بالعمل من دون إزعاج. (من الواضح أنّ هؤلاء التلاميذ لا يملكون أيّ فكرة عن مبدأ الدمج!) ومن الأفكار الأخرى التي طرحوها، إخراج *الزعماء* (بأي طريقة كانت) باكراً. فلو حدث ذلك في السنة الأولى من المدرسة، سيتصرّف بقية الصفّ على نحو أفضل خشية أن يلاقوا المصير نفسه.

هل تحسن التصرّف؟ ولماذا؟

كان للتلاميذ الذين أجابوا بنعم حافز قويّ للنجاح (مصدره المنزل عادة). فقد ذكروا بأنّ تأثير الأهل هو عامل في غاية الأهمية، وكذلك الإخوة والأخوات الأكبر سنّاً الذين دخلوا الجامعة. فهؤلاء لا يخشون الابتعاد عن المجموعة أو أن تطلق عليهم صفة المتملّقين لأنّهم يعرفون أنّه لا بأس في أن يكون المرء ذكيّاً. فقد أرادوا الاجتهاد لأنّهم بتلك الطريقة سيحصلون على المهنة التي يرغبون بممارستها في المستقبل.

القسم الرابع

البيئة المدرسيّة

11 - غرفة الصفّ

بيئة الصفّ

فكّر بالطريقة التي تؤثّر بها الأماكن التي نعيش فيها على أحاسيسنا. فإن كنت تعيش مثلاً في شقّة صغيرة مع عدد من الأشخاص الآخرين، قد تبدأ بالشعور بالتوتّر وتفقد أعصابك بسهولة. كذلك، إن كنت تعيش أو تعمل في مكان قذر تعمّه الفوضى، ستشعر على الأرجح بالاكتئاب وبالفوضى الذهنية أيضاً. أمّا إن كنت محظوظاً بما يكفي لتقطن أو تعمل في مكان مفتوح، واسع، مشرق، وجيّد التهوئة، يطلّ على منظر رائع، فستمضي وقتك فيه بمزاج إيجابي أكثر، وتعيش أو تعمل على نحو أكثر فاعلية واسترخاء.

للطريقة التي يستخدم بها المعلّم المكان، فضلاً عن تصميم الصفّ، تأثير كبير على سلوك التلاميذ. وقد ذكرت في الفصل الخامس "أساليب التعليم" الطرق التي يمكن للمعلّم فيها استعمال المكان من أجل تحسين السلوك. ويبحث هذا الفصل في كيفيّة استخدام البيئة الفيزيائية للصفّ وتحسينها ليكون لها تأثير إيجابي على السلوك. إضافة إلى المساعدة في السيطرة على سلوك الأولاد، ينبغي أن تساعدك غرفة الصفّ في الحفاظ على هدوئك وسرورك واسترخائك.

في الواقع، منذ اللحظة التي يدخل فيها التلاميذ إلى صفّك، يبدأون بإصدار الأحكام (من دون وعي على الأرجح) لما سيتوقّعونه منك كمعلّم، وذلك من خلال ما يرونه منك، ومن كيفية استخدامك للمكان للمرّة الأولى. ينبغي عليك أن تعطيهم إحساساً بأنّك تمسك زمام السيطرة على هذه البيئة. ومع أنّه ثمّة الكثير ممّا لا نستطيع تغييره في صفوفنا، كشكلها وحجمها ووضعها العامّ غالباً، إلاّ أنّنا نستطيع تحسين مظهر الصفّ وبالتالي سلوك تلاميذنا فيه.

ملاحظة: يشتمل استعمالي لكلمة *صفّ* في هذا الفصل على مختلف الأماكن التعليمية، من الغرف إلى القاعات، ومن أستوديوهات الدراما إلى القاعات الرياضية.

تحسين بيئة الصفّ

يحتاج تلاميذك إلى أن يروا في صفّك مكاناً آمناً وهادئاً يتعلّمون فيه. فإن كنت تدرّس في الصفوف الابتدائيّة، فهذا هو المكان الذي سيمضي فيه الأولاد معظم اليوم، لذا يجب أن يكون سارّاً، مريحاً ومرتّباً قدر الإمكان. كذلك، إن كنت تدرّس في الصفوف الثانوية، فإنّه المكان الذي ستمضي فيه *أنت* معظم نهارك، وكلّ صفّ يمرّ عليك، ينبغي أن يجدك تسيطر على غرفة أشبه بجنّة تعليمية. إليك بعض الأفكار عن كيفية تحسين بيئة صفّك:

- *حافظ على ترتيبه:* يساعد الصفّ المرتّب على اتباع أسلوب تعليم منظّم. كما أنّه يعطي التلاميذ إحساساً بالنظام والتماسك. فحين نكون محاطين بالفوضى، يصعب علينا العمل

إن احتجنا مثلاً إلى إيجاد أداة معيّنة. حاول إبقاء جميع الموارد التي تستخدمها، كالملفات والأقلام وما إلى ذلك في مكان واحد بحيث تبدو الغرفة مرتّبة لمن يراها.

- *أبقِه منظّماً:* في الصفوف الابتدائيّة، ينبغي تخزين الموارد المستخدمة لمختلف الموادّ. ومن المفيد تحديد أماكن معيّنة لمختلف تلك الموارد، وتدريب الأولاد ليعرفوا إلى أين يذهبون كلّما احتاجوا إلى شيء منها. في الصفوف الثانوية، قد يكون ثمّة مكان معيّن يخزّن فيه التلاميذ كتبهم ودفاترهم. ويمكن أن تبدأ الحصّة بإحضار التلاميذ لأغراضهم أو بقيام متطوّعين من الصفّ بذلك.
- *وضّح مختلف الأماكن:* يتمّ في الصفوف الابتدائيّة تدريس موادّ مختلفة في مناطق مختلفة من الغرفة (بقعة للموسيقى وأخرى للفنون ومكان لتأدية الأدوار... إلخ). ضع فواصل واضحة بين مختلف هذه المناطق للمساعدة على ضبط التلاميذ، لا سيّما إن تمّ العمل على موادّ مختلفة في الوقت نفسه. يمكن للفاصل أن يكون ملموساً، كاستعمال ألوان أو أنواع مختلفة من المفارش على الأرض أو حواجب فاصلة. كما يمكنك استعمال إشارات وصور للدلالة على مختلف النشاطات التي تتمّ، والمكان الذي تخزّن فيه الموارد المرتبطة فيها. إن كان ثمّة مجال في الصفوف الثانوية، من الممكن استعمال فكرة *المناطق* فيها أيضاً. على سبيل المثال، يمكن تخصيص مجال في صفّ اللغة الإنكليزية للقراءة الصامتة وآخر للعمل على القواميس والتهجئة، ومكان للكتابة، وهكذا دواليك.
- *أبقِه آمناً:* اضمن سلامة بيئة الصفّ لا سيّما إن كنت تعمل مع تلاميذ مشاكسين. أبعِد الموادّ الكيميائيّة الخطيرة أو المقصّات ذات الشفرات الحادة عن متناولهم. ضع أنظمة واضحة عن الحقائب وغيرها من الأغراض في بداية الحصص، وهو الوقت الذي تطرأ فيه مسائل الأمان غالباً. وشرط الأمان في بيئة الصفّ أساسيّ بالنسبة إليك أنت أيضاً. وإن كانت لديك أيّة مخاوف في هذا الخصوص، يمكنك اللجوء إلى ممثّل الصحّة والأمان في مدرستك.
- *اجعله مرِحاً ونابضاً بالألوان:* من شأن المعروضات الجذّابة التي تعلّق على الجدران أن تضفي جمالاً وإيجابيّة على بيئة الصفّ. كما أنّها تشكّل أداة تعليمية فعّالة جدّاً وطريقة جيّدة للاحتفاء بإنجازات التلاميذ. انظر القسم التالي – بعض الأفكار عن المعروضات – لنصائح إضافيّة.
- *أحدث جوّاً جذّاباً:* من شأن الموسيقى والأضواء والأصوات والأزياء أن تضفي جوّاً جذّاباً على الصفّ. فالأولاد يذهبون إلى المدرسة مع شعور بأنّه ثمّة مكان باهت وغير جميل

يتحتم عليهم العمل فيه. ولو غيّرنا هذا الانطباع من وقت إلى آخر، سنشجّعهم على الاهتمام والتركيز، وعلى الانجذاب أكثر إلى العمل.

- *أضفِ إلى المكان ملامح شخصيّة:* أنت تمضي وقتاً طويلاً في صفّك وتريد من التلاميذ أن يروا فيه مكانك الخاصّ. لِمَ لا تضيف إليه إذاً بعض اللمسات الشخصيّة؟ فإن كنت تحبّ النباتات، أضِف إليه شيئاً من الخضرة، وإن كنت تحبّ الحيوانات، أحضر حيواناً أليفاً إلى الصفّ. فتلك طريقة ممتازة لتعليم الأولاد تحمّل المسؤولية ويمكن استعمالها كمكافأة على حسن السلوك.
- *فكّر جيّداً بتصميم الصفّ:* فالطريقة التي توزّع بها المقاعد في الصفّ تكشف الكثير عن أسلوبك التعليمي وتترك أثراً كبيراً على سلوك التلاميذ. انظر إلى القسم التالي في هذا الفصل الذي يتناول *تصميم الصفّ* لمزيد من الأفكار.

بعض الأفكار عن المعروضات

مهما بلغ سوء الحالة العامّة للصفّ، يمكن تحسينها بواسطة المعروضات التي تعلّق على جدرانها. فمن الممكن استعمال المعروضات لتغطية الجدران المتّسخة أو المساحات التي زال عنها الطلاء. ولكن، لا تعتبر المعروضات مجرّد *أوراق جدران*، بل يجب أن تستحقّ مكانها على الحائط. فهي تساعد الأولاد على التعلّم كما تشكّل مكافأة ممتازة لحسن السلوك. إليك بعض الأفكار عن استعمال المعروضات على نحو مفيد.

- *اجعلها مثيرة للاهتمام:* يمكنك استعمال مجموعة من الألوان الزاهية لكلّ لوحة، أو لونين متضاربين. كما يمكن صنع لوحة ثلاثية الأبعاد ترتبط بالموضوع الذي تعمل عليه، على سبيل المثال، ألعاب نارية ثلاثية الأبعاد تتطاير على الجدار ليلة إطلاق ألعاب نارية. ولا تنسَ استعمال السقف أيضاً، علّق أعمال الأولاد بخيطان تتدلّى من سقف الغرفة.
- *اجعلها تفاعلية:* شجّع التلاميذ على التفاعل مع المعروضات. يمكنك تعليق سؤال كبير على الجدار يرتبط بالموضوع الذي تدرّسه وإعطاء التلاميذ أوراقاً لاصقة لكتابة إجاباتهم. كما يمكن تعليق أوراق يستطيع الأولاد رفعها ورؤية ما تحتها.
- *حافظ على ترتيبها:* إنّ العناية بالمعروضات تظهر احتراماً للتلاميذ وعملهم. أعد وضع المسامير بانتظام ورتّب الأطراف الممزّقة، أو غيّر اللوحة حين تصبح بالية.
- *غيّرها بانتظام:* إن اكتفيت بتعليق كثير من اللوحات في بداية السنة، وفقدت حماسك لها لاحقاً، سيتوقف الأولاد عن ملاحظتها. حاول إيجاد وقت لتجديدها كلّ بضعة أسابيع.
- *اربطها بالدروس:* استعمل المعروضات كثناء على إنجازات التلاميذ الحالية والعمل الذي تقومون به. فمن شأن ذلك أن يساعد على تعزيز العمل والتعلّم الإيجابي الذي يتمّ في

صفّك كما يشجّع بالتالي على حسن السلوك.

- *تعلّم انتداب التلاميذ لذلك:* في بعض المدارس، يوجد موظّفون إضافيّون يعملون على ابتكار المعروضات. غير أنّه من الممكن أيضاً إشراك التلاميذ فيها، فمن شأن ذلك أن يخفّف الحمل عن المعلّم. كما أنّ الأولاد يميلون إلى إبداء احترام أكبر للعمل الذي قام به زملاؤهم وسيولون عناية أكبر على الأرجح للمعروضات التي ابتكرها أصدقاؤهم. ويمكنك في هذه الحالة تأدية دور *الموجّه الفنّي*.

تصميم الصفّ

لتصميم الصفّ تأثير كبير على سلوك التلاميذ وتعلّمهم ورؤيتهم لما يحدث داخل الغرفة. فاعتماداً على سنّ تلاميذك والمادّة التي تدرّسها، عليك أن تقرّر كيفية توزيع المقاعد والطاولات، أو المساند وطاولات المختبر أو ربّما مجموعة كاملة من الأثاث في الصفّ الابتدائي. إليك بعض الأفكار عن كيفية رؤية التلاميذ لمختلف التصاميم وأثرها المحتمل على التعلّم والسلوك. وتستعمل الأمثلة المعطاة النوع الأكثر شيوعاً لأثاث الصفّ، أي الطاولات والمقاعد.

ترتيب الطاولات في صفوف

يعتبرها التلاميذ والمعلّمون على حدٍّ سواء الطريقة التقليدية لترتيب الصفّ. وقد تبدو خياراً آمناً بالنسبة إلى المعلّم الذي يواجه متاعب في ضبط الصفّ.

إيجابيّاته: جميع التلاميذ متّجهون إلى الأمام، ما يجعل من السهل على المعلّم ضبطهم وهم يثرثرون خارج الدرس أو يسيئون التصرّف. بإمكان الجميع رؤية اللوح كما يسهُل تمرير الموارد والكتب بينهم. ويسهّل هذا التصميم أيضاً وضع خريطة جلوس.

سلبيّاته: يصعب القيام بأعمال جماعية عند ترتيب المقاعد بهذا الشكل. وقد يميل بعض المعلّمين إلى تجاهل التلاميذ الجالسين في الصفّ الخلفي لمجرّد كونهم خارج خطّ بصرهم. يسهّل هذا التصميم أسلوب التعليم الذي يديره المعلّم بحيث يكتفي بالتحدّث والمتابعة على اللوح. وحين يتنقّل في أرجاء الصفّ لا يمكنه العمل سوى مع تلميذين في الوقت نفسه.

ترتيب المقاعد في مجموعات

يشجّع هذا التصميم عموماً على اتّباع أسلوب تعليم أكثر حداثة، يسهل فيه البحث والعمل الجماعي بين التلاميذ. لكن بالنسبة إلى المعلّم الذي يتعامل مع صفّ مشاكس، قد يشكّل هذا الترتيب مصدراً للمتاعب لأنّه يصعّب عمليّة ضبط السلوك.

إيجابيّاته: من السهل القيام بالعمل الجماعي، كما يمكن للتعليم أن يرتكز أكثر على التلميذ. وبوسع المعلّم التحدّث مع مجموعة كاملة في الوقت نفسه والتجوّل بحريّة أكبر خلال الحصّة.

سلبيّاته: إن لم يتمكّن المعلّم من رؤية جميع الوجوه، سيتسنّى للتلاميذ الثرثرة وحياكة مؤامراتهم بسهولة أكبر. كما أنّه من الأصعب عليهم رؤية اللوح. ومن شأنهم أن يروا المعلّم أقلَّ تقليدية أو حزماً، ما قد يؤدّي أيضاً إلى مشاكل سلوكية.

بعض الأفكار عن مختلف الأماكن

يعمل المعلّمون ضمن مجموعة واسعة من الأماكن المختلفة، اعتماداً على سنّ تلاميذهم والموادّ التي يتخصّصون فيها. فمعلّمو الصفوف الابتدائية أو المتوسّطة يعملون أساساً في مكان واحد (هو الصفّ)، ولكن من شأنهم أن يمضوا بعض الوقت أيضاً في أماكن أخرى داخل المدرسة. فيذهبون إلى القاعة الرياضيّة لتعليم التربية البدنية أو إلى الطبيعة لإعطاء درس في العلوم. أمّا معلّمو الصفوف الثانوية فعملهم محصور أكثر في غرفة واحدة (أو عدّة غرف إن لم يتسنَّ لهم الحصول على صفّ خاصّ بهم). ولكن، بإمكان معلّمي الصّفوف الثانوية أيضاً الخروج أحياناً من مكانهم المعتاد، كالنزول إلى ملعب المدرسة وقياسه في درس رياضيّات.

لكلّ مكان في المدرسة إيجابيّاته وسلبيّاته الطبيعية الخاصّة به حين يتعلّق الأمر بضبط السلوك. فلو أردنا مضاعفة سيطرتنا على سلوك تلاميذنا، علينا أن نكون واعين لتلك النواحي السلبية والإيجابية للأماكن التي ندرّس فيها. وينبغي أن تساعدك الأفكار التالية على فهم هذه الأمور واستغلال إيجابيّات مكانك وتقليص المصاعب التي قد تواجهك فيه.

الصفّ

للصفّ حسنات كثيرة حين نتعامل مع المشاكل السلوكية. فالطبيعة الثابتة للمقاعد والطاولات (والسجادات في الصفوف الابتدائيّة) تمنح المعلّم والتلاميذ حسّاً قويّاً بالسيطرة. فما إن يأخذ التلاميذ أماكنهم، حتى يصبح من الصعب عليهم التجوّل في المكان، وتقلّ فرص الإزعاج الجسدي. وبإمكان المعلّم عموماً رؤية وجوه جميع التلاميذ من مقدّمة الغرفة فيتأكّد من تركيزهم الكامل على الدرس وحسن تصرّفهم.

غير أنّ التلاميذ المحصورين في مقاعدهم قد يبحثون عن بديل لتحرير طاقتهم، لا سيّما إن كانوا من النوع الذي لا يهدأ وميّالين إلى الحركة أو إن كانوا يفتقدون إلى التركيز والانضباط الذاتي. فيعمد بعضهم إلى التأرجح على كرسيه أو تسبيب الإزعاج من خلال الضجيج أو سوء السلوك. والأولاد الذين يجدون صعوبة في الجلوس، قد ينهضون ويتجوّلون في الغرفة. ومن شأن الصفّ أن يقيّدهم أكثر، إن كان صغيراً ويحتوي على عدد كبير من المقاعد.

مضاعفة الحسنات

اجعل بقاء التلاميذ في أماكنهم من أولوياتك، لا سيّما إن كانت لديهم مشاكل مع السلوك. وضّح لهم أنّ ملازمة الأماكن على الدوام هي قاعدة في غاية الأهمية. ودرّبهم على رفع أيديهم

والانتظار إن احتاجوا إلى المساعدة وتوجّه إليهم بحسب من رفع يده أوّلاً. وإن احتاج أحد التلاميذ إلى مغادرة مكانه، أصرّ على أن يطلب الإذن أوّلاً.

أخبر التلاميذ بالطريقة التي تريدهم أن يجلسوا فيها (إمّا على الكرسيّ أو السجادة). ولا شك بأنّ الأولاد الذين يعجزون عن الجلوس بهدوء يسبّبون التوتّر والإزعاج للمعلّم. إلاّ أنّك ستجد نصائح مفيدة لتعليم التلاميذ أصول الجلوس في الفصل 13.

فكّر بطريقة توزيع المقاعد. فترتيبها في صفوف مواجهة للمعلّم، هي على الأرجح الطريقة المثلى لضبط صفّ مشاكس. وحين تتوجّه إلى الصفّ بأكمله، تأكّد من أنّ جميع الوجوه تنظر نحوك وأنّ كلّ الأولاد منتبهون وجاهزون للإصغاء.

تقليص المصاعب

إن كنت تدرّس تلميذاً كثير الحركة، اجعل ملازمة الأماكن هدفاً، وكافئ التلميذ إن تمكّن من تحقيقه خلال الحصّة. أعطهم أدوات أخرى لتنفيس طاقتهم الجسدية، كمنظّفات الغليون التي يمكنهم فتلها في أشكال. واحرص على تضمين الدرس نشاطات عملية بالإضافة إلى العمل الهادئ.

إن تضمّنت الحصّة وقتاً قصيراً من الحركة، عند جمع أدوات العمل مثلاً، اتّفق معهم على إشارة، كالتصفيق، تطلب منهم بواسطتها العودة إلى أماكنهم. وإن استعملت وقت الحركة مع صفّ صعب، حاول أن تسمح لمجموعة واحدة أو اثنتين فقط في كلّ مرّة، بمغادرة أماكنها. أمّا حين يكون وقت الدرس طويلاً، فأعطهم استراحات متكرّرة.

المختبر

من شأن غرف تدريس العلوم أن تشكّل أماكن مثيرة بالنسبة إلى التلاميذ، لما تحتويه من معدّات مثيرة للاهتمام واختبارات مذهلة. وغالباً ما يستعين معلّمو العلوم في الصفوف الثانوية بتقني مختبر لمساعدتهم في تحضير موادّ الدرس. وعادة تكون المقاعد ثابتة (ومواجهة لمقدّمة الصفّ) بحيث لا يتسنّى للأولاد تسبيب الإزعاج عبر تحريك المقاعد. كما أنّ هذا التصميم يسهّل على المعلّم شرح الاختبارات العملية للتلاميذ.

بالمقابل، تشتمل المختبرات العلميّة على مخاطر كثيرة. لذلك، ينبغي أن تكون مسائل الأمان من أولوياتك. وإن كنت تدرّس صفّاً مشاكساً، من الأفضل ربّما تجنّب العمل المخبري نظراً للمخاطر المحتملة. كما تحتوي المختبرات على مغاسل وحنفيات ومواقد قد تغري الأولاد المتهوّرين للعبث بها.

مضاعفة الإيجابيّات

لا تخشَ العمل المخبري إن كنت تدرّس في مختبر. فهذا هو بالضبط نوع الدروس التي يراها التلاميذ ممتعة ومثيرة للاهتمام. فالتجربة وحدها تعلّمهم كيف يجرون الاختبارات بطريقة آمنة وصحيحة. كلّ ما في الأمر أنّك قد تواجه بعض الأوقات الصعبة في البداية إلى أن يعتاد التلاميذ

على استعمال المعدّات. احرص على أن يجلس الأولاد بشكل مواجه لمقدّمة الغرفة وأن ينظروا إليك ويركّزوا تماماً قبل أن تتوجّه إليهم بالحديث. ويمكنك أن تستعمل مكافأة السماح بإجراء تجربة عملية لتضمن الحصول على انتباههم الكامل وأنت تشرح لهم ما عليهم فعله.

تقليص المصاعب

أبعد الأدوات الخطرة عن متناول التلاميذ. احتفظ بالكيميائيات والأدوات الخطرة في خزانة مقفلة أو في غرفة أخرى. ووضّح لهم منذ البداية أنّك لن تسمح بأيّ عبث بالحنفيات والمواقد، وأنّ عملاً كهذا لن يمرّ من دون عقاب فوري. ويستحسن تخصيص الحصص الأولى لتدريب التلاميذ على العمل المخبري الآمن وتعليق ملصقات على الجدران لتذكيرهم بالأنظمة.

الأماكن المفتوحة

من شأن الأماكن المفتوحة، كاستوديو الدراما أو القاعة الرياضية أو قاعة المحاضرات أن تشكّل مكاناً رائعاً للتعلّم. إذ يملك فيها الأولاد حريّة أكبر للتنقّل، ويشعرون فيها بتقييد وتململ أقلّ. والدروس التي تعطى في تلك الأماكن يستمتع بها التلاميذ عموماً. فهي عادة من مواضيع المنهاج الأقلّ أكاديمية، وفيها تركيز أقلّ على الكتابة والقراءة اللتين تقودان أحياناً إلى سوء السلوك.

غير أنّ المكان الكبير والمفتوح قد يغري التلاميذ بالركض والحركة. وقد يصعب عليك جمعهم في مكان واحد. كما أنّ الضجيج قد يتعالى خلال الدرس فيصبح من الصعب على المعلّم الاستحواذ على انتباه تلاميذه. في حال أراد المعلّم منهم القيام ببعض العمل الكتابي، قد يتعذّر عليهم الوصول إلى الكراسي والمكاتب والأدوات. كما من شأن التلاميذ أن يستاؤوا من الكتابة في الموادّ العملية لأنّها لا ينبغي أن تشتمل على هذا النوع من العمل برأيهم.

مضاعفة الإيجابيّات

حين تصطحب تلاميذك للمرّة الأولى إلى مكان مفتوح، وضّح لهم بأنّ العمل سيكون مسلّياً ومليئاً بالإثارة. ولكن أظهر لهم أيضاً أنّ عليهم الالتزام بقدر عالٍ من الانضباط الذاتي للاستمتاع بدروسك. ويمكنك استخدام تهديد عدم القيام بدرس عملي كوسيلة لضبط تلاميذك الذين يفتقدون إلى الانضباط. في حال أرادوا التسلية، يتحتّم عليهم أن يتعلّموا العمل معك واحترام الأنظمة.

تقليص المصاعب

كن واضحاً بخصوص السلوك المتوقّع منهم في ذلك المكان منذ البداية. يمكنك مثلاً صفّ الأولاد خارج الغرفة وإخبارهم مثلاً أنّه ينبغي عليهم عند الدخول الجلوس فوراً في دائرة أو مجموعة على الأرض لكي تبدأ الدرس. وفي حال لم يفعلوا، أخرجهم واجعلهم يصطفّون مجدّداً وقل لهم إنّهم يضيعون وقت هذا الدرس المسلّي. واعتمد طريقة للحصول على انتباه الصفّ في ذاك المكان، كأحد أوامر الصمت المذكورة في الفصل الثالث (انظر فقرة انتظر حتّى يسود الصمت).

أمّا بالنسبة إلى العمل الكتابي، فيمكنك إعطاؤه كواجب منزلي، وعدم السماح للتلميذ بالمشاركة في الدرس العملي ما لم يُتمّ الواجب المنزلي. كما يمكن تقسيم الحصّة إلى درس عملي يتبعه عمل كتابي. وإن لم يكن ثمّة كراسٍ أو مكاتب في الغرفة، اطلب منهم الجلوس على الأرض والكتابة على ألواح مشبكيّة أو اعثر على صفٍّ فارغ مناسب للكتابة.

التعليم في الهواء الطلق

يوفّر التعليم في الهواء الطلق إحساساً رائعاً بالحرية بالنسبة إلى التلاميذ، شأنه في ذلك شأن الأماكن المفتوحة. كما أنّهم يجدون فيه مكاناً خارجاً عن المألوف، وفرصة للهرب من مبنى المدرسة واكتشاف العالم الأوسع. وحتّى إن كنت تدرّس مادّة أكاديميّة، حاول إيجاد فرص لاصطحاب تلاميذك إلى الخارج.

تعتبر إيجابيات وسلبيات العمل في الهواء الطلق شبيهة جدّاً بالأماكن المفتوحة المذكورة أعلاه. احرص على شرح السلوك الذي تريده من الصفّ قبل الخروج، وإلاّ فستجد صعوبة في الحصول على انتباههم مجدّداً. واتّفق معهم أيضاً على طريقة معيّنة لإعطائهم الأمر بالصمت.

المعلّم في المكان

للطريقة التي يستعمل فيها المعلّم مجال التعليم دورٌ هامّ في التوصّل إلى ضبط السلوك. فالتلاميذ ينظرون إلى طريقة ترتيبك للغرفة وتحرّكك فيها لكي يتّخذوا قرارات حول السلوك الذي سيتّبعونه. استعمل كثيراً من الوسائل لتظهر لهم بأنّ هذا المكان هو أرضك، وأنّك أنت صاحب السلطة فيه كما أنّ أموراً إيجابية ومثيرة ستحدث هنا. فإعطاؤهم هذا الإحساس هو أمر في غاية الأهمية في الدروس الأولى. إليك بعض المقترحات عن كيفية ذلك:

- التقِ بالتلاميذ خارج المكان، حيّهم على طريقتك لا على طريقتهم.
- ضع حاجزاً جسديّاً بين الصفّ والغرفة عبر وقوفك أمام الباب.
- اضمن حسن السلوك قبل السماح لهم بدخول الغرفة، موضّحاً لهم توقّعاتك.
- عند السماح للتلاميذ بالدخول، حيّهم بشكل إيجابي، مستخدماً أسماءهم الأولى إن أمكن.
- إن كان قد سبق أن استخدم الغرفة معلّم آخر، أعطِهم إشارات بصرية واضحة بأنّ المكان هو لك الآن. علّق مثلاً لوحات ملفتة تخصّك أو غيّر تصميم الصفّ.
- لا تبقَ واقفاً في مقدّمة الغرفة، بل تحرّك بطريقة ديناميكية، وقم بزيارة جميع التلاميذ خلال الحصّة.
- غيّر من وقت إلى آخر تصميم الغرفة، عبر ترتيب المقاعد مثلاً على شكل U لإقامة حوار. فعنصر المفاجأة مفيد لإبقاء الصفّ تحت السيطرة.

- استعمل المكان أحياناً على نحو غير اعتيادي. اجلس على المكتب مثلاً عوضاً عن الجلوس أمامه، أو قف في الجزءِ الخلفي من الغرفة لقراءة نصّ ما.
- احذر من توجيه حديثك لجهة واحدة من الغرفة (عادة إلى اليمين إن كنت أيمناً).
- استعمل المجال الأفقي والعمودي، تنقّل من الأعلى إلى الأسفل ومن جهة إلى أخرى. انحنِ بقرب التلاميذ للتحدّث معهم، اطلب منهم الجلوس على الأرض لسماع قصّة، أو قف على المكتب لإلقاء قصيدة.

التعامل مع الأماكن الصعبة

غالباً ما يضطرّ المعلّمون إلى التعليم في مكان يصعب العمل فيه ويؤثّر على سلوك التلاميذ. فقد تُعلِّم في مدرسة قديمة متهالكة زال الطلاء عن جدرانها، أو في قاعة رياضية قسمت إلى نصفين، لا يفصل بينك وبين الصفّ الثاني سوى فاصل رقيق. وقد يحتوي صفّك على نافذة كبيرة ممتدّة على طول الجدار، ما يجعل المكان شديد البرودة شتاءً وخانقاً في أشهر الصيف.

كان الصفّ الأول الذي علّمت فيه صفّاً صعباً من النوع الكلاسيكي. غرفة صغيرة أدرّس فيها صفوف السنة الحادية عشرة الذين يملأون الغرفة بأعدادهم الكبيرة إلى حدّ الانفجار، مع أبواب من جهتي الصفّ. وبما أنّ الغرفة تربط بين منطقتين من المدرسة، كان الرواق يشهد حركة دائمة. وكانت الغرفة طويلة وضيّقة إلى حدّ أنّ بعض الأولاد وجد صعوبة في رؤية اللوح. ولم يكن ثمّة مجال للحركة بعد امتلاء الصفّ. كما كانت حرارة الغرفة تتصاعد مع مرور الوقت خلال الحصّة، لا سيّما بعد ظهيرة أيّام الصيف، حين تدخل أشعّة الشمس إلى الغرفة من النوافذ العارية.

وعلّمت أيضاً في قاعة دراما مفتوحة وكبيرة سبّبت لي المشاكل أيضاً. فقد كانت مواصفاتها السمعية رهيبة بسبب السقف المرتفع جدّاً والذي يضاعف أقلّ ضجّة يصدرها التلاميذ عشر مرّات، ونظراً إلى حجم القاعة، لم يكن من الممكن تقييد حركة التلاميذ إطلاقاً، فواجهت مشاكل في ضبطهم وهم يركضون في أنحاء المكان. وكانت القاعة مؤلّفة من طابقين، مع مسرح يمكن للتلاميذ القفز منه.

لسوءِ الحظّ، يضطرّ كثير منّا إلى تحمّل مشاكل صفّه طيلة السنة وحتّى أكثر. وأفضل ما يمكن القيام به في أغلب الأحيان هو إيجاد طرق لتقليص أثر هذه المشاكل فينعم التلاميذ بأكبر قدر ممكن من الراحة والانضباط ونشعر نحن أيضاً بالاسترخاء. وفي ما يلي بعض الأفكار والمقترحات بهذا الشأن.

التعامل مع الضجيج

فكّر بطريقة لتخفيف الضجّة العامّة خلال حصصك. أبقِ صوتك منخفضاً ومضبوطاً أثناء التدريس لتشجيع تلاميذك على الحفاظ على هدوئهم ليتمكّنوا من سماعك. استعمل طريقة لأمرهم

بالصمت للحصول على انتباه الصفّ بأكمله. ولكن، اختر طريقة تشتمل على أقلّ قدر من الضجة، كرفع اليد. من جهة أخرى، شجّع تلاميذك على السيطرة على مستوى الضجيج الصادر عنهم. على سبيل المثال، حين ترغب بفتح نقاش، صمّم *مقياساً للضجّيج* مع الصفّ، بحيث تتمكّن من تحذيرهم حين يتعالى الضجيج.

لتقليص مستوى التوتّر، يمكنك تقسيم دروسك إلى أوقات صاخبة وأوقات هادئة. أتبِع مثلاً وقت العمل الجماعي بفترة من التفكير الهادئ، كمراقبة أفراد المجموعات وهم يعرضون أفكارهم على الصفّ، وإصغاء الباقين لهم بصمت. يمكنك أخذ استراحة من الضجيج بالطلب من الصفّ العمل بصمت تامّ لخمس دقائق، بحيث يحصل الجميع على استراحة هادئة.

التعامل مع الحرارة

ثمّة حدّ أعلى وأدنى للحرارة في الصفوف المدرسية. فإن شعرت بأنّ حرارة صفّك تخالف هذه الأنظمة، أحضر ميزان حرارة وتحقّق من الأمر. فالمعلّمون يعانون بصمت أحياناً، إلاّ أنّ أنظمة الصحّة والأمان موجودة لضمان راحة وسلامة المعلّمين والتلاميذ على حدٍّ سواء. تحدّث إلى ممثّل أو مدير النقابة لحلّ مشكلة الصفّ الشديد الحرارة أو البرودة.

أمّا إن كانت أشعّة الشمس ترفع من حرارة الغرفة، فاطلب وضع ستائر على النوافذ. فالجوّ الحارّ يؤثّر بسهولة على مزاج التلاميذ والمعلّم على حدٍّ سواء. واحرص على ارتداء ملابس مناسبة لجوّ الصفّ واطلب من التلاميذ القيام بالمثل. إن كانت أنظمة المدرسة تنصّ على خلع المعاطف في الصفّ، وغرفتك شديدة البرودة، من شأن ذلك أن يؤدّي إلى مواجهات مع التلاميذ. ناقش المسألة مع أحد المسؤولين في المدرسة، واقترح عليهم اعتماد شيء من التساهل إن كانت برودة الغرفة تتجاوز حدّاً معيّناً.

التعامل مع ضيق المكان

انظر إلى طريقة ترتيب الصفّ، وجرّب مختلف الخيارات. يستحسن القيام بذلك قبل وصول التلاميذ في بداية العام الدراسي. جرّب وضع الطاولات في مجموعات عوضاً عن الصفوف، فهذا التصميم يأخذ مجالاً أقلّ عموماً. فكّر بالترتيب الجانبي أيضاً، فقد يكون من المفيد تغيير التصميم جذريّاً بحيث ترتّب المقاعد باتجاه مختلف تماماً. وإن احتجت إلى تخزين الموارد في مكان ضيّق، اطلب تثبيت رفوف على الجدار لكي لا تحتلّ مجالاً على الأرض، وتخلّص من جميع الأغراض غير اللازمة. من جهة أخرى، فكّر بطرق لاصطحاب تلاميذك للعمل خارج الصفّ بانتظام، في الملعب مثلاً أو الرواق أو المكتبة أو غرفة الكومبيوتر.

12 - المدرسة

بيئة المدرسة والسلوك

تتعدّد أسباب سوء السلوك لدى التلاميذ، وبعضها لا يرتبط إطلاقاً بمهارات المعلّم. وتوفّر المدرسة بيئة محدّدة جدّاً، إمّا أن تشجّع التلاميذ على حسن السلوك أو تدفعهم على تقبّل سوء السلوك. إن كنت تعمل في مدرسة ذات حوافز عالية، قد لا تلاحظ جميع العوامل التي تساهم في حسن السلوك في صفّك. أمّا إن كنت تعمل في مدرسة تعاني من مشاكل بسبب سلوك تلاميذها، فقد تعمد إلى لوم نفسك أو أسلوبك في التعليم، فيما يقع جزء من اللوم على الأقلّ على عوامل خارجيّة.

إن تمكّنت من إدراك جميع العوامل التي تسيطر على سلوك تلاميذك، ستتقلّص احتمالات شعورك بالتوتّر والدفاعية حين يسيئون التصرّف. كما يمكنك اتخاذ خطوات لتقليص الآثار السلبية وتغيير وضع مدرستك نحو الأفضل.

مبنى المدرسة

لمحيطنا تأثير كبير على شعورنا وسلوكنا. إن كانت المدرسة قديمة ومتهالكة، وتفتقد إلى التسهيلات، من شأن ذلك أن يخلّف أثراً سلبيّاً على سلوك تلاميذك، بحيث يشعرون بالإحباط والاكتئاب، وكأنّ المدرسة لا تكترث لأمرهم. ولو شعر التلاميذ بأنّ أحداً لا يهتمّ بالمبنى، ستزداد حوادث التخريب وقلة الاهتمام العامة بالأماكن المشتركة.

إن كانت الحال كذلك في مدرستك، حاول التصدّي لهذا الوضع عبر جعل صفّك جنّة لتلاميذك. علّق معروضات ملوّنة ومثيرة للاهتمام بحيث تضع تلاميذك في إطار ذهني إيجابي فور دخولهم الصفّ. بالإضافة إلى ذلك، نظّم مجموعة من الأولاد أو صفّاً لإضفاء شيء من البهجة على إحدى غرف المدرسة؟ فإن كنت معلّم رياضة بدنية، يمكنك الطلب من فريق من الرسّامين رسم لوحة جدارية على أحد جدران القاعة. وإن كنت تدرّس العلوم، يمكنك تنظيم مجموعة من الأولاد لإنشاء مكان طبيعي والاهتمام به.

مزاج المدرسة العامّ

يصعب تعريف هذا المفهوم. إلاّ أنّه يشير أساساً إلى الثقافة السائدة والطريقة التي ينظر بها التلاميذ إلى المدرسة، وسلوكهم وعملهم فيها. فإن كان مزاج مدرستك إيجابيّاً، سيكون لذلك تأثير كبير على سلوك صفّك. فحين يصل التلاميذ ويجدون بأنّ الجوّ العام يغلب عليه الاجتهاد وحسن السلوك، من المرجّح أن يعملوا أيضاً بجدّ ويحسنوا السلوك (ما لم يكن لديهم مشاكل فردية خطيرة).

لكن لسوء الحظّ، حين يصبح مزاج المدرسة العامّ سلبيّاً، تحتاج إعادة الأمور إلى نصابها إلى سنوات من العمل الشاقّ. إذ تتسرّب ثقافة سوء السلوك إلى التلاميذ بجميع أعمارهم بحيث يشكّل سلوك تلاميذ الصفوف العليا نوعاً من السلطة على من هم أدنى منهم. فيتحوّل الأمر إلى دورة ذاتية الاستمرار يصعب كسرها.

غير أنّه ثمّة خطوات يمكنك اتّخاذها لتغيير مزاج المدرسة العامّ. وهنا أيضاً، بوسعك جعل صفّك مكاناً لا يمكن للمزاج السلبي التأثير عليه، فتساهم بذلك على نحو محدود ولكنّه أساسيّ في عملية التغيير البطيئة. ومن شأن المزاج السلبي للمدرسة أن يجعل من معلّميها أشخاصاً ساخرين وضعيفي الحوافز، شأنهم شأن التلاميذ. لذا، حاول الاحتفاظ بنظرة إيجابية مهما صعب عليك ذلك. وفي حال كانت النشاطات الخارجة عن المنهاج محدودة في مدرستك، فكّر بتنظيم نادٍ لتظهر لتلاميذك كم تهتمّ لأمرهم ولتقدُّمِ المدرسة عموماً.

استمراريّة المعلّمين

من السهل نسبيّاً على المدارس *الجّيدة* اجتذاب المعلّمين الممتازين والحفاظ عليهم. فشروط العمل جيّدة وتلاميذها يرغبون بالتعلّم، كما أنّ المعلّمين يستمتعون بالعمل فيها بحيث لا يرغبون بالرحيل. إلاّ أنّ هذه الحالة تنعكس في المدارس *السيّئة* لسوء الحظّ. فيتعذّر على تلك المدارس إيجاد معلّمين جيدين والاحتفاظ بهم. كما أنّ التبدّل المستمرّ للمعلّمين يسيء إلى موقف التلاميذ، فيشعرون بأنّ معلّميهم لا يكترثون لأمرهم حقّاً لأنّهم يرحلون باستمرار. كما يؤثّر ذلك على استمرارية التعليم، لا سيّما إن غادروا في منتصف العام الدراسي. وهذا ما يصعّب نشوء علاقة إيجابيّة بين المعلّمين والتلاميذ، كما يفقد المعلّمون حماسهم للعمل. ومع تزايد عدد المعلّمين المغادرين، يتعذّر على المدرسة الاحتفاظ بمعلّمين ذوي خبرة، وبالتالي لا يجد المعلّمون الجدد من يوجّههم ويساعدهم. ومع الوقت تتفاقم آثار قلة الاستمرارية ويصبح من الصعب التخلص منها.

تتمثّل أفضل الطرق للمساهمة في استمرارية المعلّمين في مدرستك بالبقاء فيها لوقت طويل. كما يمكنك دعم وتوجيه المعلّمين الجدد، وتشجيعهم لرؤية الصورة البعيدة الأمد، وإنتاج انطباع إيجابي بينهم. وبالطبع، يرجع أمر اتخاذ قرار الاستمرار في الظروف الراهنة إليك أنت.

إدارة المدرسة

لطريقة إدارة المدرسة تأثير واضح على سلوك التلاميذ. المثالي بالنسبة إلى التلاميذ هو رؤية فريق إدارة قويّ يركّز بشدّة على دعم وتطوير هيئة معلّمي المدرسة. وينبغي أن يكون ثمّة شعور بأنّ المدراء يقدّرون معلّميهم ويودّون دعمهم ومساعدتهم في عملهم في الصفّ. كما يجب أن يشعر المعلّم أنّ بإمكانه اللجوء إلى المدراء حين يواجه المشاكل، ما سيعطيه شعوراً أكبر بالأمان.

تنقسم إدارة المدرسة عموماً إلى فريق إدارة أعلى يتألّف من المدير ومن نائب أو مساعد واحد أو أكثر. يأتي بعده فريق إدارة المنهاج، ربّما قادة المواد الأساسية في المرحلة الابتدائية أو رؤساء الأقسام في المرحلة الثانوية. فمن شأن المدير أو رئيس القسم أن يقدّما عوناً كبيراً للمعلّم الذي يعاني من سلوك تلاميذه. وينبغي أن يرى التلاميذ رابطاً واضحاً بين المعلّمين العاديّين والمدراء في المدرسة. وحين تتطلّب الظروف، على المعلّم أن يكون قادراً على إحالة التلاميذ المشاكسين إلى سلطة عليا تتولّى حلّ المشكلة على مستوى أعلى.

سياسات المدرسة السلوكية

إن كانت سياسة المدرسة السلوكية فعالة وناتجة عن تفكير عميق، فإنّها تشكّل أداة قيّمة لمساعدتك على ضبط تلاميذك داخل الصفّ. إذ تعاني مختلف أنواع المدارس من مشاكل سلوكية خاصّة بها وشديدة الاختلاف فيما بينها، ويجب في الحالات المثالية أن تكون سياسة المدرسة السلوكية على علاقة وثيقة بالمصاعب الخاصّة التي تواجهها المدرسة. في الواقع، توفّر السياسة السلوكية الجيدة للمعلّمين كثيراً من المكافآت المحفّزة، وعدداً من العقوبات المتعدّدة المستويات لاستعمالها عند تأديب التلاميذ، فضلاً عن طريقة لإبقاء سلوك كلّ تلميذ داخل المدرسة *تحت المراقبة*. وفي ما يلي بعض العوامل التي تساعد في جعل سياسة المدرسة السلوكية فعّالة.

- *توضع بالتعاون مع جميع المعلّمين:* للمعلّمين وغيرهم من العاملين في الصفّ فكرة واضحة عن كيفية سير الأمور داخل المدرسة ككلّ. وغالباً ما يتحدّثون عن المشاكل السلوكية في قاعة المعلّمين، ويطرحون هموماً متشابهة جدّاً في ما يتعلّق بالمشاكل السلوكية على مستوى المدرسة. وفريق الإدارة الناجح يصغي جيّداً لما يقوله المعلّمون. وعليه أن يضع سياسة المدرسة السلوكية بالتعاون مع جميع الموظّفين، بما في ذلك غير المعلّمين منهم. بهذه الطريقة، يشعر الموظّفون بمسؤولية أكبر ولا يتهاونون في تطبيق تلك السياسة.
- *تخضع لعملية تغيير مستمرة:* تخضع السياسة السلوكية الجيدة للمدرسة للتغيير المستمرّ. وهي تحتاج إلى التطوير، ليس نحو الأحسن فحسب، بل لأنّ المعلّمين والأولاد يتغيّرون على الدوام هم أيضاً.
- *ينبغي الالتزام بتطبيقها:* الالتزام هو شرط حيوي لكي يعرف التلاميذ بالضبط ما يجب توقّعه من المعلّمين إن أساؤوا التصرّف. ويجب أن يكون ثمّة أنظمة واضحة ونظام عقوبات واضح يتم تطبيقه إن اختار التلاميذ خرق الأنظمة. وليس من السهل تحقيق هذا الالتزام لأنّ المعلّمين هم أفراد يطبّقون السياسة بطرقهم المختلفة. ولكن، إن كانت السياسة واقعية ومتوافق عليها من قبل الجميع، من الأسهل الالتزام بتطبيقها.

في ما يلي وصف لسياسة سلوكية نموذجية لأظهر كيف يمكن أن تكون ناجحة ولماذا. فإن شعرت بأنّ سياسة مدرستك السلوكية غير مثمرة، فقد ترغب باقتراح تطبيق بعض هذه الأفكار لتحسينها. وستجد عادة الفرصة لطرحها خلال الاجتماعات التي تعقد في المدرسة.

أنظمة المدرسة

على فريق العمل في المدرسة أن يقرّر بالضبط ما هي أنواع السلوك المقبولة وغير المقبولة، وأن يضع حدوداً يعمل المعلّم ضمنها. وسينتج ذلك على الأرجح لائحة من الأنظمة يعلم من خلالها التلاميذ (وأولياء أمرهم) المتوقّع منهم تماماً. من شأن هذه الأنظمة أن تحدّد كيفيّة العمل والتصرّف داخل حرم المدرسة وفي محيطه، وأن تتضمّن أيضاً تفاصيل عن الزيّ المدرسيّ وكيفية تعامل التلاميذ مع بعضهم بعضاً ومع معلّميهم والبيئة ككلّ. من المفيد أن يعرض المعلّمون مجموعة من هذه الأنظمة على جدار الصفّ للرجوع إليها عند فرض العقاب. وينبغي أن تكون أنظمة المدرسة قصيرة، واضحة وواقعيّة لتؤتي ثمارها، وأن تصاغ في جمل إيجابيّة *افعل* عوضاً عن الجمل السلبيّة *لا تفعل*.

في الواقع، إنّ الأنظمة الجيّدة تجعل حياة المعلّم أكثر سهولة. فهو يستطيع الرجوع إليها عند فرض العقوبات، وأن يوضّح للتلاميذ بأنّه يطبّق سياسة المدرسة وحسب ولا *يهاجم* التلميذ شخصيّاً. غير أنّ بعض المدارس تصعّب عمل معلّميها حين تضع أنظمة تؤدّي حتماً إلى المواجهات. فمن شأن بعض الأنظمة التي يُطلَب من المعلّم تطبيقها أن تبدو تافهة للمعلّم والتلميذ على حدٍّ سواء. وحين يجد المعلّم نفسه في وضع كهذا، يعود إليه تقرير مدى الشدّة التي يودّ اتباعها في تطبيق ذاك النظام بالذات. لكن لسوء الحظّ، فإنّ اختيار الأنظمة التي نودّ تطبيقها أم لا يؤثّر سلبيّاً على سياسة المدرسة. وبالتأكيد، من الأفضل بكثير للمدارس أن تضع أنظمة واقعية من الأساس، وذلك من خلال التشاور مع معلّميها (وتلاميذهم).

العقوبات

تستعمل معظم المدارس نظام عقوبات يتضاعف فيه القصاص تدريجيّاً. فيتمثّل العقاب الأوّلي بإنذار شفهي، يتبعه إنذار خطّي، ثمّ يتضاعف إلى احتجازات تتزايد مدّتها بحسب الخطأ المرتكب. وقد يشتمل أيضاً على عقاب إضافي يلقاه التلميذ الذي يحصل على أعلى مستوى من العقاب، كأن يجري المعلّم اتّصالاً هاتفيّاً بالمنزل أو يُخرِج التلميذ من الحصّة.

فالعقوبات التي تتضاعف شدّتها على مستويات معيّنة توفّر للمعلّم طريقة جيدة للحفاظ على الانضباط، بسبب وجود نموذج محدّد لاتّباعه بحسب الحالة. واشتداد العقاب على نحو ثابت يساعد على تجنّب المواجهات لأنّه يعطي التلميذ فرصاً كثيرة ليقرّر التعاون. هنا أيضاً، من الأهمية بمكان

الالتزام بتطبيق تلك المستويات من العقاب في المدرسة كلّها، وإلاّ فقد يُعتبر بعض المعلّمين ظالمين.

العقاب الأقصى

تملك معظم المدارس اليوم عقاباً *أقصى* لاستعماله في الحالات التي تخرج عن السيطرة، ويتمثّل عادة في إخراج التلميذ من الصفّ. فمن الممكن أن يبدي التلميذ عنفاً جسديّاً أو يمنع المعلّم من متابعة الدرس. وعادة، يجب أن يكون ثمّة معلّم أعلى مستوى يمكنه دخول الصفّ وإخراج التلميذ المشاكس. عادة، يقوم معلّم الصفّ بطلب المساعدة بواسطة بطاقة حمراء أو رسالة خاصّة يرسلها مع تلميذ موثوق إلى المكتب لطلب معلّم أعلى مستوى. غير أنّه لسوء الحظّ، يرسل المعلّم أحياناً بطلب المساعدة ولا يأتي أحد، ما يؤدّي إلى تقويض هيبة المعلّم وقوّة العقاب على حدٍّ سواء.

وربّما كان من المحزن التفكير أنّ الوضع في صفّك قد يستلزم تطبيق هذا العقاب الصارم. إلاّ أنّ العقاب الأقصى يجب أن يوفّر حلاًّ أخيراً حين يصبح سلوك التلميذ غير مقبول على الإطلاق أو يشكّل خطراً على زملائه أو على المعلّم. ولا ينبغي استعماله على نحو متكرر لإخراج الأولاد المشاكسين. لكي يكون هذا العقاب فعالاً، لا يجب أن يخشى المعلّم من اللجوء إليه، ولكن عليه استعماله عند الضرورة فقط.

نظام النقاط

لحسن الحظّ، فإنّ معظم أشكال سوء السلوك التي يواجهها المعلّمون في حياتهم اليومية هي عبارة عن حوادث مزعجة وليست خطيرة. غير أنّ من شأنها أن تعيق عملية الشرح إن لم تتمّ معالجتها كما ينبغي. كما أنّ مقاطعة المعلّم تسبّب له الكثير من التوتّر، بسبب طبيعتها المتكرّرة والمثيرة للأعصاب. فثمّة بعض التلاميذ الذين يكرّرون نوعاً معيّناً من سوء السلوك الطفيف مراراً وتكراراً. ويجب أن تجد سياسة المدرسة السلوكية الناجحة طريقة للتعامل مع هذه المشكلة.

من الأفكار التي رأيتها تستعمل بشكل ناجح *نظام النقاط*. عند كلّ حادثة سلوكية، يكسب التلميذ أو يخسر عدداً معيّناً من النقاط يتراوح بين نقطة ونقطتين للحوادث الصغيرة، ويرتفع العدد بالنسبة إلى الحوادث الخطيرة. ويمكن منح النقاط (أو أخذها) عند خرق أنظمة المدرسة، كأن لا يحضر التلميذ بالزيّ المدرسيّ أو أن يتأخّر في الوصول. يتيح العدد الإجمالي للنقاط للمدرسة معرفة من بالضبط يرفض الإذعان لقانون المدرسة. ويسمح نظام الإنذار المبكر هذا للمعلّم والمدرسة بالتدخّل في الوقت المناسب.

الوحدات السلوكية داخل المدرسة

تحتوي معظم المدارس (لا سيّما الثانوية) اليوم على وحدة متخصّصة يُحال إليها الأولاد ذوو المشاكل السلوكية. ومن شأن تلك الإحالات أن تكون جزءاً من نظام عقوبات، مثلاً حين يخسر

التلميذ عدداً معيّناً من النقاط (انظر أعلاه) قد يؤدّي به ذلك إلى قضاء وقت في الوحدة السلوكية. وتضمّ هذه الوحدات معلّمين يملكون الخبرة في التعامل مع المشاكل السلوكية. ويجب أن يكون عدد التلاميذ بالنسبة إلى عدد المعلّمين منخفضاً بحيث يحصل كل ولد على الاهتمام اللازم لحالته، وأن يقوم الهدف النهائي على إعادة دمج التلميذ في صفّه.

أنظمة الدعم

حين نعاني من مشاكل في السيطرة على السلوك، نحتاج إلى أنظمة دعم جيّدة، شخص نثق به بما يكفي لنشاركه همومنا أو شخص ذو خبرة يعطينا النصيحة في مسألة معيّنة. التدريس بطبيعته مهنة منفردة، فالمعلّم الذي يعمل في صفّه لا يملك فكرة كبيرة عمّا يحدث في المدرسة. وقد يخيّل إليه بأنّ جميع المعلّمين الباقين لا يعانون من المشاكل في صفوفهم وأنّه الوحيد العاجز عن السيطرة على تلاميذه المشاكسين. من شأن سوء السلوك أن يجعلك تشعر بالاكتئاب والوحدة، ولكن في حال وجود نظام دعم جيّد، سيكون لديك دوماً من تلجأ إليه حين تشعر بالإحباط.

بقيّة المعلّمين

يميل المعلّمون إلى إنشاء روابط قويّة مع زملائهم، ربّما بسبب الإرهاق الذي تسبّبه لهم مهنتهم على الصعيد الجسدي والنفسي على السواء. ومع أنّ الوقت الذي تمضيه مع زملائك خلال النهار قصير على الأرجح، إلاّ أنّك قد تجد نفسك تعمل معهم خلال النشاطات الخارجة عن المنهاج أو تشاركهم نشاطات اجتماعية خارج المدرسة. حاول إيجاد الوقت للذهاب إلى غرفة المعلّمين خلال النهار لتستعيد نشاطك. إذ يسهل على المعلّم المرهق التعامل مع سوء السلوك بطريقة سلبية. كما أنّ هذا يتيح لك التحدث مع معلّمين آخرين حول المشاكل التي تواجهك خلال النهار، للحصول على النصيحة أو لمجرّد التخلص من التوتر.

الموظّفون المساعدون

يتزايد عدد المدارس التي تستخدم موظّفين غير المعلّمين للعمل داخل الصفّ. ومع أنّ دورهم الأساسيّ يقوم على دعم عملية التعلّم، إلاّ أنّهم يقدّمون مساعدة قيّمة للمعلّم في ضبط السلوك. وربّما كان أفضل دور يقومون به هو مساعدة التلاميذ الذين يمكن أن تؤدّي حاجاتهم التعليمية إلى مشاكل سلوكية. على سبيل المثال، إن كان الولد يميل إلى إحداث الفوضى لأنّه يكافح لفهم الدرس، من شأن المساعد أن يسهّل عليه عملية الفهم.

موظّفو الحاجات الخاصّة

يعتبر موظّفو الحاجات الخاصّة مصدر عون قيّم عند التعامل مع المسائل السلوكيّة في صفّك. فهم ليسوا متخصّصين فحسب في المشاكل التي تواجهها، بل ويدركون أيضاً مدى التوتّر الذي يسبّبه لك سوء سلوك تلاميذك. حاول التعرّف عليهم واطلب نصيحتهم واحصل على أكبر قدر

ممكن من المعلومات منهم عن كيفية التعامل مع التلاميذ المشاكسين. ومن هؤلاء الموظّفين، منسّق لذوي الحاجات الخاصّة، عالم نفسي تربوي وموظّف خيري تربوي.

المدراء

يشكّل المدراء أيضاً مصدر عون وراحة بالنسبة إلى المعلّم. ولكن كما هي الحال في جميع المدارس، من شأن بعض المدراء أن يكونوا ناجحين أكثر من غيرهم. فالمعلّم الذي يصل إلى مركز المدير يملك عدةّ سنوات من الخبرة على الأقلّ. فإن كنت لا تملك الخبرة الكافية كمعلّم، بإمكانهم أن يقدّموا لك النصح لأنّهم سبق لهم أن واجهوا كثيراً من المشاكل التي تواجهك حاليّاً. بالإضافة إلى ذلك، يملك المدراء قدراً من السلطة بسبب موقعهم. ويمكنهم استعمال هذه السلطة لمساعدتك على ضبط السلوك، وذلك بأن يقولوا مثلاً (أمام الصفّ) إنّ بإمكانك أن تحيل إليهم التلاميذ الذين يسبّبون المشاكل.

الأهل

لدى كثير من الأهل الرغبة والحماس لدعم المعلّمين في عملهم مع أولادهم، ولكنّهم نادراً ما يملكون فكرة عن كيفية القيام بذلك في الواقع. فإن كان أحد التلاميذ يسبّب لك المشاكل بسلوكه، حاول الاتّصال بأهله أو أولياء أمره لمناقشة الوضع. فغالباً ما يكون الأهل غير مدركين لما يفعله التلميذ في المدرسة. (فالأولاد نادراً ما يعترفون بسوء سلوكهم لآبائهم). هذا ما يحدث في المراحل الثانوية حيث يكون الاتصال بين المدرسة والمنزل محدود نسبيّاً. فربّما كان الأهل غير مدركين تماماً للمشاكل التي يسبّبها التلميذ في الصفّ وحين تنبّههم إلى ما يحدث، تكتشف أنّ لديهم الرغبة بمساعدتك في العمل الذي تقوم به. والإحساس بأنّ أهل الولد يقدّمون الدعم والمساعدة يرفع كثيراً من معنويات المعلّم المجتهد.

نقابات المعلّمين

من شأن ممثّل النقابة أن يقدّم لك دعماً كبيراً، لا سيّما إن كنت تواجه مشاكل سلوكية خطيرة. وقد تشتمل مخاوفك، على هموم متعلّقة بالصحّة والأمان (بخصوص الصفّ والأولاد الموجودين فيه)، ومن شأن ممثّل النقابة أن يقدم لك النصيحة بخصوص وضعك القانوني. وإن تذمّر التلميذ من ذلك (وهي مشكلة تتزايد في أيّامنا على ما يبدو) يمكن لممثّل النقابة أن يقدم لك المشورة بخصوص المسائل القانونية وغيرها من الأمور المتعلّقة بمهنتك.

13 - ضبط السلوك في المرحلة الابتدائيّة

معلّم المرحلة الابتدائية والسلوك

على الرغم من أنّ النصائح المعطاة في هذا الكتاب تنطبق على جميع الأعمار، غير أنّه ثمّة استراتيجيات مناسبة لضبط سلوك الأولاد في أعمار معيّنة من حياتهم الدراسية. ويشتمل هذا الفصل على إرشادات وتقنيات موجّهة خصيصاً للمعلّمين العاملين في المرحلة الابتدائيّة. وفيه نصائح عن كيفية البدء مع صفّ جديد من الأولاد الصغار، فضلاً عن أفكار لتطوير سيطرتك على الصفّ ومساعدة تلاميذك على الانتقال إلى المرحلة الثانوية.

من شأن الأولاد الصغار أن يشعروا بالارتباك والخوف في المدرسة، وعلينا أن نأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار حين نتعامل مع سوء السلوك. في هذه المرحلة، يكون النموذج الدراسي للولد قد وضع، ونحن نرغب بالطبع بصنع مثال إيجابي للسلوك الحسن. في الحالات المثالية، علينا أن نتجنّب إخافة التلاميذ لإرغامهم على حسن التصرّف، وأن نحاول عوضاً عن ذلك تشجيعهم بالوسائل الإيجابية.

بالنسبة إلى الأولاد الذين يفتقر آباؤهم إلى المهارات التربوية، قد يجدون في معلّم الصفوف الابتدائيّة الشخص الراشد الأول الذي يتمثّل فيه حسن السلوك. كما أنّ الولد الذي لم يتعاطَ كثيراً بالكتب يحتاج إلى وقت أطول لتعلّم القراءة، كذلك فإنّ الولد الذي لم يتعلّم ماهيّة السلوك الحسن قد يستغرق بعض الوقت ليلتزم بسلوك يلائم جوّ المدرسة. ومن الأدوار الأساسيّة للمعلّم الابتدائيّ مساعدة الأولاد على فهم ماهيّة السلوك المناسب.

البداية

تعتبر الأيام والأسابيع القليلة الأولى مع الصفّ حيوية لوضع نموذج العمل للعام الدراسي بأكمله. ينطبق ذلك على وضع نماذج السلوك الحسن والتشجيع على عادات العمل الجيدة على السواء. وبالنسبة إلى معلّم المرحلة الابتدائيّة الذي يعمل مع صفّ واحد طيلة العام، من الأهمية بمكان بالطبع إنشاء وتطوير علاقة جيّدة مع كلّ ولد منذ البداية. في ما يلي بعض الإرشادات المفيدة للبدء مع صفّ جديد.

جمع المعلومات

من المغري تخصيص وقت طويل قبل بداية العام الدراسي لوضع تخطيط مفصّل بحيث تضمن تنظيم دروسك جيّداً منذ البداية. لكن، إلى أن تقابل تلاميذك فعليّاً، وتتعرّف على الأولاد الذين ستعمل معهم، يستحسن إمضاء جزء من هذا الوقت في جمع معلومات عن الصفّ. بتلك

الطريقة، حين تصل إلى التخطيط، ستكون لديك فرصة أكبر للتمييز واختيار الأعمال التي تلائم حاجات صفّك واهتماماته. إليك عدد من الطرق التي تساعدك على جمع المعلومات:

- *تحدّث مع زملائك:* ما لم تكن تعمل في صفّ حضانة أو استقبال، فإنّ كثيراً من تلاميذك سبق أن مرّوا على معلّمين آخرين في المدرسة. ناقش أمور الصفّ معهم إن أمكن قبل وصول الأولاد. ولكن تجنّب إصدار أحكام على ما ينتظرك استناداً فقط إلى انطباع معلّم آخر. بالمقابل، بإمكان زملائك إعطاءك نصائح مفيدة عن مسائل سلوكية معيّنة أو عن مجموعات محدّدة من الأولاد.
- *فكّر بالحاجات الخاصّة:* تحدّث إلى أخصّائي الحاجات الخاصّة الذي يعمل في المدرسة أو يقدّم لها المشورة. اكتشف الأولاد الذي يعانون من صعوبات معينة على الصعيد التعليمي أو السلوكي أو الجسدي. واطّلع على أيّة تقارير أو خطط تعليم فردية أو غيرها من الموادّ الخطيّة عن تلاميذك واقرأها لتحصل على فكرة عمّا ينبغي عليك توقّعه.
- *احفظ الأسماء:* كلّما أسرعت في حفظ أسماء تلاميذك، تمكّنت من ضبط سلوكهم على نحو أفضل. إليك بعض الأفكار عن كيفية ذلك:
- علّق لوحة عليها صور التلاميذ مع أسمائهم. وبإمكان التلاميذ أن يضيفوا معلومات عن اهتماماتهم وهواياتهم... إلخ.
- العب معهم بعض ألعاب الأسماء في الأيام الأولى. فهي تشكّل تمارين تحمية مفيدة كما أنّها تساعد الأولاد على التعرّف على بعضهم البعض.
- استعمل خريطة للجلوس تساعدك على حفظ الأسماء وإظهار سلطتك. واستعمل حرية اختيار مكان الجلوس كمكافأة على حسن السلوك.
- *تعرّف على الأولاد:* عوضاً عن البدء فوراً بالمنهاج، خصّص وقتاً للتعرّف على تلاميذك كأفراد. بإمكانك التحدّث معهم عن *الأشياء المفضّلة* لديهم بالدور، أو قسِّم الصفّ إلى مجموعات ليتشاركوا مواهبهم واهتماماتهم.

تعليم التلاميذ آداب الصفّ

خلال السنوات الأولى من المرحلة الابتدائيّة، لا يملك الأولاد تجربة كبيرة عن كيفية التصرّف في الصفّ. في الواقع، حتّى الأولاد الذين بلغوا صفوفاً ابتدائيّة أعلى، أو حتّى ثانوية، غالباً ما يجدون صعوبة في الالتزام بآداب السلوك، كالجلوس بهدوء ورفع اليد للإجابة عن السؤال، والتركيز على العمل، وما إلى ذلك. ومن الممكن تعليم هذه المهارات والآداب، والمدرسة الابتدائية هي المكان الأمثل لذلك، لا سيّما في بداية العام الدراسي. ومن آداب الصفّ التي يمكنك تعليمها للتلاميذ:

- *آداب الجلوس:* علّم الأولاد كيفية الجلوس بشكل ملائم على السجادة أو الكرسي. كالتربّع، وكتف الذراعين، وعدم التحرّش بغيرهم عند الجلوس على السجادة. اشرح لهم أهمية عدم إمالة الكرسي إلى الخلف والبقاء في مقاعدهم ما لم يعطِهم المعلّم الإذن بذلك.
- *آداب الإصغاء:* إن كنت تريد من تلاميذك التزام الصمت والانتباه إليك وأنت تتحدّث، فإنّ أفضل وقت لتعليمهم آداب الإصغاء هو في بداية العام. استعمل الاتصال البصري للتحقّق من انتباههم، وشجّعهم على كتف أذرعهم لتجّنب التململ.
- *آداب الإجابة:* علّم الأولاد طريقة الإجابة الصحيحة عن الأسئلة التي تطرحها: رفع اليد، عدم النداء، المشاركة من قبل الجميع... إلخ. واستعمل الأوامر السريعة لترسيخ العادات الحسنة فيهم، مثلاً: "ارفعوا أيديكم إن كنت تعرفون...".
- *آداب العمل:* كن واضحاً مع الأولاد حول كيفية قيامهم بالعمل بالضبط. ومن الممكن في سبيل ذلك أن تعلّمهم عدداً من عادات العمل أو تعلّق لائحة بها على الجدار ليطبّقها التلاميذ. على سبيل المثال، قد تتضمّن اللائحة بالنسبة إلى الأولاد في عمر الخامسة أو السادسة ما يلي:
  - ضعوا دوماً العنوان والتاريخ مع خطّ تحتهما.
  - اكتبوا بخطّ مرتّب.
  - خصّصوا وقتاً لتصحيح الأخطاء الإملائية والتحقّق من علامات الوقف.
  - اعملوا بهدوء (أو تحدّثوا بصوت منخفض أثناء العمل).
  - ارفعوا أيديكم إن أردتم طرح سؤال أو طلب المساعدة.

تدريب الأولاد

في فيلم Kindergarten Cop، أو *شرطي الحضانة*، يدرّب الممثّل أرنولد شوارزينيغر الأولاد وكأنّهم في أكاديميّة الشرطة. يثبت هذا المثال الخيالي نقطة هامّة حول العمل مع الأولاد، فإن تمكّنت من تدريبهم على حسن التصرّف منذ البداية سيسرّون (عادة) لاتّباع تعليماتك في ما بعد. وبالطبع، يشتمل هذا التدريب على شرح توقّعاتك وتوضيحها لهم. ويمكنك تدريب تلاميذك بواسطة:

- *الروتين الصباحي:* ما الذي يجب على الأولاد فعله فور وصولهم إلى الصفّ في الصباح؟ هل يجهّزون كتبهم وأدواتهم على الطاولات؟ هل يجلسون بصمت على مقاعدهم أو على السجادة لكي يسجّل المعلّم الحضور؟ أم يصطفّون خارج الصفّ إلى أن يسمح لهم المعلّم بالدخول؟
- *الاستجابة إلى إشارات المعلّم:* لا شكّ بأنّك تود لو أنّ الصفّ يتجاوب بسرعة وعلى الدوام مع إشارات ضبط السلوك التي تستعملها، بحيث يسهل عليك لفت انتباه الأولاد. ولاحقاً،

تصبح استجابتهم من قبيل العادة، ما يخفّف من المجهود الذي تبذله لضبطهم.

- *التعامل مع الأدوات:* درّب التلاميذ على إحضار أدوات التعلّم واستعمالها. فتلك الطريقة توفّر الوقت والجهد على المدى البعيد، وتعلّم الأولاد تحمّل مسؤولية سلوكهم وتعلُّمهم. على سبيل المثال، قد يوجد في الصفّ عدد من الدروج التي تحتوي على أغراض التلاميذ. وبإشارة منك، يمكن تدريبهم على الذهاب في مجموعات لإحضار أغراضهم منها والعودة إلى مقاعدهم. ويمكن إضفاء شيء من المتعة عبر تحويلها إلى لعبة أو منافسة لاختيار أفضل فريق.
- *ترتيب الصفّ:* كذلك، درّب التلاميذ على إعادة الأغراض إلى مكانها وترتيب الصفّ في نهاية كلّ حصّة أو كلّ يوم. ويمكنك تعيين *فريق* مسؤول عن التحقّق من نظافة وترتيب الصفّ بأكمله.

تقنيّات لضبط الصفّ

إنّ الحفاظ على انضباط الأولاد بهدوء وباستمرار هو أحد أهمّ العوامل التي تساعد على ضبط السلوك. بالطبع، سيكون دوماً ثمّة أولاد مشاكسون، ولكن عموماً، أعمال الإزعاج الخفيف هي التي تسبّب للمعلّم التوتّر الأكبر، وهي غالباً ما تنجم عن صفّ لا يخضع تماماً للسيطرة. وتغطّي الإرشادات الواردة أدناه عدداً من النواحي في إدارة الصفّ اليومية. وكثير من هذه العادات الحسنة يمكن تعليمه للتلاميذ في الأسابيع القليلة الأولى.

الاستحواذ على انتباه التلاميذ

من الأهمية بمكان في المرحلة الابتدائية، لا سيّما مع الأولاد الصغار في السنّ، إيجاد طريقة ناجحة للاستحواذ على انتباههم من أجل ضبط الصفّ. فقد يكون الأولاد مستغرقين تماماً في عملهم أو في نشاط صاخب. وبما أنّك تودّ تجنّب الصراخ وأنت تطلب منهم الإصغاء إليك، عليك إيجاد طريقة للفت انتباههم بسرعة وسهولة، والحفاظ في الوقت نفسه على الجوّ الهادئ والإيجابي. وهنا تأتي أهمية استعمال إشارات ضبط الصفّ. وفي ما يلي عدد من الأفكار حول كيفية لفت انتباه الأولاد والتي يمكن تطويرها بسهولة إلى عادات.

- *الإشارات غير اللفظية:* يتّفق المعلّم مع الصفّ على إشارة معيّنة لقول *أعطوني انتباه*كم، وعلى الأولاد أن ينتبهوا لها. مثلاً، استعمال *مقعد الصمت*، الذي يكون بجلوس المعلّم على مقعد معيّن، هو إشارة إلى أنّه يجب على الصفّ الجلوس فوراً على السجادة. ومن الأمثلة الأخرى، رفع المعلّم يده للإشارة إلى أنّه يجب على الجميع التوقّف عمّا يقومون به والتزام الهدوء ورفع أيديهم أيضاً.

- *تحديد وقت:* هي تقنية فعالة لأنّها تلقي بالمسؤولية على الأولاد لا على المعلّم في عملية ضبط السلوك. قبل أن تبدأ نشاطاً معيناً، اطرح لهم تحدّياً: عليهم الانتباه إلى الساعة، وعند الوقت المحدّد من قبلك، عليهم التزام الصمت استعداداً للأمر التالي. في الوقت المحدد، سيقوم ولد أو اثنان عادة من الأولاد المطيعين بإسكات بقية الصفّ عنك.
- *الأمر اللفظي:* يستعمل المعلّم هنا إشارة لفظية سريعة، مثل: "3، 2، 1، جمود!" وعند كلمة جمود، على الأولاد أن يجمدوا كالتماثيل. وعبر تحويل هذا الأمر إلى لعبة، يمكنك تحدّي الأولاد ليستجيبوا بسرعة أكبر في كلّ مرّة.
- *الإشارة الصوتية:* يستعمل المعلّم مقطعاً موسيقيّاً قصيراً أو يطلق صفرة أو أيّ صوت حادّ آخر للإشارة إلى أنّ وقت التوقّف عن العمل والانتباه قد حان. وينبغي مكافأة الأولاد الذين يتوقّفون أسرع من غيرهم بطريقة ما، وذلك لتشجيع الباقين على الاستجابة بصورة أسرع.
- *الكلّ معاً:* بالنسبة إليّ، برهنت هذه الطريقة عن فاعليتها في جذب انتباه الأولاد، لا سيّما الصغار منهم في الصفوف الابتدائية. يبدأ المعلّم بطقطقة أصابعه أو الطرق بها بنغمة معيّنة، مثلاً، طرقتان بطيئتان تتبعهما ثلاث طرقات سريعة. على الأولاد المشاركة في ذلك. وفي محاولتهم لاتباع نغمة المعلّم، يتوقّفون عن الثرثرة. عندها، يبدأ المعلّم بإبطاء الطرقات تدريجيّاً إلى أن يتوقّف معه الصفّ في الوقت نفسه فيصبح جاهزاً للانتباه.

الاحتفاظ بانتباه الأولاد

من السهولة تشتيت انتباه الأولاد. في الواقع، من المفيد استعمال الإلهاء لتحويل انتباه التلاميذ عن السلوك السيئ. ولكنّ ذلك يعني أيضاً أنّه على المعلّم بذل جهد كبير للاستحواذ على انتباه تلاميذه طيلة الوقت خلال الشرح وغيره من النشاطات، والتركيز على الأعمال التي يطلبها منهم في كلّ حصّة. والتقنيات المذكورة أدناه تساعدك على تحقيق ذلك.

- *انظر إليهم:* حرّك عينيك باستمرار وأنت تتحدّث مع الصفّ لتتأكّد من أنّ كلاًّ منهم ينظر إليك. إن لاحظت بأنّ أحدهم لا يفعل، توقّف للحظة من دون أن تقول شيئاً. وعادة، ينتبه الولد إلى أنّك قد توقّفت عن الكلام وينظر إليك ليجدك محدّقاً به.
- *أعِد ما قلته:* أثناء الشرح، من السهل على الأولاد أن يتظاهروا بالإصغاء بينما تكون أذهانهم منشغلة تماماً عن الدرس. بالتالي، وبعدما تنتهي من تحديد المهامّ المطلوبة، اسأل أحد الأولاد إعادة ما قلت (ويستحسن اختيار ولد تشكّ بأنّه لم يكن يصغي بانتباه). بهذه الطريقة، يمكنك توضيح أيّ سوء فهم قبل أن يبدأ الأولاد بالعمل.
- *قسّم دروسك:* قسّم الدروس الطويلة إلى مهامّ صغيرة. بتلك الطريقة، تحافظ على تركيز الأولاد وتكافئهم على إتمام كلّ مهمة. وحين تعطيهم استراحة، استغلّ الوقت لكي يستعيدوا

نشاطهم، إمّا الذهني؛ من خلال بعض الأعمال الحسابية الذهنية، أو الجسدي؛ كأن يقف الجميع لهزّ أجسادهم.

إعطاء التعليمات

من الصعب على الأولاد استيعاب كلّ ما يجري حولهم. ففي النهاية، كان أهلهم أو أولياء أمورهم هم كلّ عالمهم حتّى وقت قريب. وهم الآن في المدرسة، حيث تجري أمور كثيرة من السهل أن تفوتهم. بالتالي، من الأهمية بمكان أن يتعلّم المعلّم الابتدائي كيف يعطي تعليمات واضحة وهو يشرح العمل المطلوب خلال الحصّة. في الواقع، من الصعب فعلاً في بعض الأحيان إعطاء تعليمات واضحة. فهي مهارة تأتي مع كثير من الممارسة.

في حال لم يفهم الأولاد تعليماتك تماماً، قد ينجم عن ذلك إزعاج كبير. فما إن تطلب من الأولاد البدء بالعمل حتّى ترتفع الأيدي ويتذمّر التلاميذ قائلين: "لم أفهم ما هو المطلوب".فيتحتّم عليك عندها أن تضيع وقتاً ثميناً في إعادة تفسير العمل لكلّ منهم. والأولاد الذين يتردّدون في طلب المساعدة قد يبدأون بإساءة التصرّف للتغطية على عدم فهمهم. ويمكنك تفادي كلّ هذه المشاكل عبر إعطاء تعليمات واضحة منذ البداية. إليك بعض النصائح في هذا الخصوص.

- *كن واضحاً قدر الإمكان:* مع أنّ التعليمات التي تعطيها تبدو واضحة بالنسبة إليك، إلاّ أنّها قد تكون مربكة جدّاً بالنسبة إلى الأولاد. فالدرس مخطّط في ذهنك، بيد أنّ إيصال هذا الدرس إلى الأولاد ليس بالأمر السهل. بالتالي، لضمان وضوح ما تقول، بالِغ في تبسيط تعليماتك، موجّهاً إيّاها إلى التلاميذ الأضعف والأكثر ارتباكاً في الصفّ. وتحدّث بإيقاع بطيء معدّلاً نبرتك حسب الحاجة، ومشدّداً على الكلمات الأساسيّة وأنت تتكلّم.
- *ادعم تعليماتك بالإيضاحات البصرية:* من الأسهل على بعض الأولاد فهم ما يرونه وليس ما يسمعونه. حاول استعمال طرق كثيرة لدعم التعليمات التي تعطيها وذلك عبر الرسوم البيانية أو الكلمات الأساسيّة المكتوبة على اللوح وما إلى ذلك.
- *أعطِ أمثلة:* تساعد الأمثلة الأولاد على فهم المطلوب منهم. فالمثال يعطينا فكرة ملموسة عن المفهوم المجرّد. وعند الإمكان، اطلب من متطوّعين في الصفّ مساعدتك في إعطاء الأمثلة لتشجيع المشاركة والتحقّق من حسن فهمهم.
- *فكّر بمفرداتك:* يستعمل الكبار المفردات من دون التفكير بصعوبة معناها. بالنسبة إلى الأولاد الذين يملكون مفردات محدودة، ينبغي توخّي الحذر والتأكّد من أنّ كلّ كلمة مفهومة بسهولة. كن محدّداً قدر الإمكان، فعوضاً عن قول "انتبهوا إلى علامات الوقف"، اطلب منهم التأكّد من أنّهم قد وضعوا "جميع النقاط والفواصل في أماكنها الصحيحة".

- *استعمل مؤشّرات للوقت:* تجنّباً لاختلاط التعليمات، وضّح للأولاد ترتيب وتوقيت العمل. لتوضيح الترتيب مثلاً، قل لهم "أوّلاً، أريدكم أن تقوموا..". وحدّد وقتاً لكلّ مهمّة ليعرف الأولاد كم لديهم من الوقت لإتمام العمل، وذلك عبر كتابتها ربّما على اللوح.
- *"القاعدة الثلاثية":* يبدو بأنّه يصعب على الأولاد حفظ أكثر من ثلاث تعليمات في الوقت نفسه. لذا، لا تعطِهم أكثر من ذلك في كلّ مرة.
- *أكثِر من التكرار:* تدرّب على تكرار التعليمات مراراً بطرق مختلفة لتتأكّد من أنّ الجميع قد فهم المطلوب. واطلب من الأولاد إعادة ما قلت لتتحقّق من عدم وجود سوء فهم.
- *استعن بمساعدين ومعلمين آخرين:* أطلِع المعلمين المساعدين على النشاطات، ويستحسن قبل بدء الحصّة، ليتمكّنوا من مساعدتك في الشرح للتلاميذ الذين تعذّر عليهم الفهم.

اجعل حسن السلوك ممتعاً

ثمّة طرق عديدة لخداع الأولاد وجعلهم يحسنون التصرّف من دون أن يدركوا مرادك. فلو جعلت حسن السلوك يبدو ممتعاً، ستحدث بذلك جوّاً إيجابيّاً في الصفّ، وتخفّف من التوتّر الذي تتعرّض إليه كمعلّم على مدار السنة الدراسيّة. إليك بعض الأفكار حول ذلك:

- *حوّل أوامر ضبط السلوك إلى ألعاب:* فكّر بالطريقة التي تعرض بها المهامّ والنشاطات على الأولاد. استعمل لغة توحي بالمرح والتحدّي عوضاً عن العمل الجادّ. على سبيل المثال، إن كنت تريد من صفّ الحضانة أن يتمدّدوا على الأرض ساكنين لتقرأ لهم قصّة في نهاية النهار المدرسي، اعرض عليهم المهمّة على أنّها لعبة تدعى *الأسود النائمة*، التي تقوم على الادّعاء بأنّهم أسود غلبها النعاس.
- *ادخل معهم عالم الخيال:* يتجاوب الأولاد بجميع أعمارهم مع التخيّل، وفرصة أن يكونوا شخصاً أو شيئاً آخر أو في مكان آخر. مثلاً، إن كنت تريد منهم ترتيب الغرفة بهدوء شديد، يمكنك أن تقول لهم مثلاً أنّه ثمّة عملاق نائم تحت الأرض وأنّ عليهم السير على ظهره من دون إيقاظه.
- *عاملهم كراشدين:* من الافتراضات الخيالية الفعالة مع معلّمين المرحلة الابتدائيّة الادّعاء بأنّ الأولاد يصبحون تدريجيّاً أكبر وأنضج. مثلاً، اطلب من الأولاد تأدية دور العالم وهم يعملون على تجربة علمية. فهذا الدور يشجّع التلاميذ على تحمّل مسؤولية عملهم وسلوكهم. ولا تتردّد في التفاعل معهم وكأنّهم راشدون فعلاً، معبّراً عن دهشتك أمام أيّ تصرّف سخيف: "لا أصدّق بأنّك تفعل هذا، بروفسور سميث، وأنت عالم مشهور إلى هذا الحدّ".

نحو المدرسة الثانوية

في السنة السادسة الابتدائيّة، يبدأ الأولاد بالاستعداد للانتقال إلى مرحلة الشباب. فهم على وشك أن يبلغوا سنّ المراهقة، إلاّ أنّهم غير مستعدّين بعد للتخلّص من بعض المشاعر والعواطف الطفولية التي قد تؤدّي إلى السلوك السخيف وغير الناضج. ففي السنة الابتدائية أو المتوسّطة الأخيرة، تتضاعف ثقة التلاميذ بأنفسهم لكونهم في أعلى السلّم، ولكن ما إن يصلوا إلى المدرسة الثانوية، حتّى تتغيّر الأمور تماماً، لأنّهم يعودون مجدّداً إلى أدنى السلّم.

في هذه السنّ، يبدأ بعض الأولاد باختبار الحدود وسلطة الكبار وهم يقومون بأولى خطواتهم على طريق الرشد. نتيجة لذلك، سيتحتّم عليك تعديل خططك لتلائم سنّ الأولاد الذين تعلّمهم. وفي ما يلي بعض الأفكار للتعامل مع الأولاد الذين يبلغون نهاية المرحلة الابتدائيّة:

- *خذهم على محمل الجدّ:* في هذه السنّ، غالباً ما يرى الأولاد أنفسهم أكبر سنّاً ممّا هم عليه. فإن أردت منهم التصرّف بنضج، خذ مشاعرهم على محمل الجدّ. لا تتحدّث إليهم أبداً بفوقيّة، وإلاّ أتت ردّة فعلهم سيّئة، بل عاملهم كشباب لكي تحصل منهم على ما تريد. فمن شأن الأولاد في تلك السنّ أن يفاجئوك بمدى النضج الذي يمكنهم أن يتصرّفوا به.
- *قدّم لهم مثالاً إيجابيّاً:* من شأن النماذج الإيجابية أن تكون في غاية الأهمية في هذه السنّ، إذ ينتقل الأولاد من مجرّد الرغبة بتقليد آبائهم ليبدأوا بالتعلّم من المؤثّرات الخارجية. قد يكون للمعلّم تأثير إيجابي كبير على تلاميذه، كما يمكن أن يشكّل التلاميذ الآخرون أيضاً أمثلة بنّاءة أو هدّامة. فإن كنت تعلّم الصفّ السادس الابتدائي، ستجد على الأرجح بأنّ التلاميذ متوتّرون وغير واثقين من قدرتهم على الانتقال إلى المرحلة الثانوية. عندئذٍ يمكنك أن تدعو تلميذاً من المرحلة الثانوية ليوفّر لهم مثالاً إيجابيّاً وليتحدّث معهم عن تبعات تلك الخطوة.
- *اعرف ما الذي يثير اهتمامهم:* في هذه المرحلة، يبدأ الأولاد بالاهتمام بالعالم الخارجي وبالرموز الثقافية المحيطة بهم في وسائل الإعلام. فهم يبدأون بالاستقلال عن أهلهم الذين قد يمنحونهم حريّة أكبر في شراء ملابسهم، واختيار الموسيقى التي يرغبون بسماعها، أو التأخّر في العودة مساءً. اكتشف ما الذي يثير اهتمام صفّك؛ آخر البرامج التلفزيونية أو لاعب كرة قدم شهير، وحاول إدخال تلك الاهتمامات في تعليمك. على الأقلّ، يمكنك التحدّث معهم لتريهم أنّك تواكب آخر التطوّرات الثقافيّة. فإضفاء ملامح شخصيّة على تدريسك يساعد في تشجيعهم على التصرّف بشكل أفضل.
- *افهم مخاوفهم وهمومهم:* يصبح الأولاد في هذه السنّ أكثر حساسية تجاه ضغط زملائهم. فقد يخشون أن يُبعدوا من المجموعة ويبدأون بالشعور بالإحراج من علاقتهم بالجنس

الآخر. تذكّر كيف كنت تشعر في هذه السنّ، وإن طلبت من الفتيات والصبيان العمل معاً، لا تتفاجأ إن تصرّفوا على نحو سلبيّ.

التعامل مع عملية الانتقال

من شأن الانتقال من المرحلة الابتدائيّة أو المتوسّطة إلى المرحلة الثانوية أن يكون في غاية الصعوبة بالنسبة إلى تلاميذنا. إذ ينتابهم القلق في الصفّ السادس حول ما ستكون عليه المدرسة الثانوية في الواقع. وحين يبلغون الصفّ السابع، قد يجدون البيئة الجديدة مربكة ومخيفة. فلو تمكّنّا من تخفيف أثر تلك النقلة، قد ننجح أيضاً في تقليص الآثار السلبية التي تنتج على السلوك. وفي ما يلي بعض المقترحات:

- *نظّم بعض الزيارات:* يشتمل كثير من المدارس (الابتدائية والثانوية على السواء) على معلّم مسؤول عن الإشراف على عملية الانتقال إلى المدرسة الثانوية. ويساعد هذا المعلّم في تنظيم زيارات لتلاميذ الصفّ السادس إلى المدرسة الثانوية والإجابات عن أيّة تساؤلات.
- *ناقش معهم نقاط الاختلاف:* بوسع معلّم الصفّ أن يقدّم المساعدة عبر مناقشة نقاط الاختلاف بين المرحلة الابتدائية والثانوية مع الصفّ. على سبيل المثال، وجود معلّمين مختلفين لكلّ مادّة، الانتقال في أرجاء المدرسة عوضاً عن البقاء في مكان واحد معظم الوقت.
- *ساعدهم على تنظيم أمورهم:* تحدّث مع الصفّ عن كيفية تنظيم أمورهم على النحو الأفضل، وذلك خلال الصيف قبل بدء سنتهم الدراسية الثانوية الأولى. مثلاً، التأكّد من وجود اللوازم المطلوبة، تحضير حقائبهم في الليلة السابقة، إحضار الزيّ المدرسي لارتدائه في الصباح.
- *المراسلة:* من الأفكار الفعالة الأخرى تنظيم مراسلة بين تلاميذ السنة السادسة وتلاميذ السنة السابعة في المدارس المحليّة. فبتلك الطريقة، يمكنهم معرفة *الحقيقة* عن المدرسة الثانوية من التلاميذ الأكبر سنّاً. ومن شأن ذلك أن يساعد على تبديد الكثير من الإشاعات التي تسري بينهم. ومن شأن هذا *الاتّصال* بالمدرسة الثانوية أن يقلّص أيضاً من شعور الخوف الذي ينتاب الأولاد عند دخولهم إليها للمرّة الأولى، لأنّهم يعرفون على الأقلّ شخصاً واحداً فيها.
- *المرشدون:* كذلك، تؤمّن بعض المدارس مرشدين أكبر سنّاً لملازمة تلاميذ المرحلة الابتدائية في سنتهم الثانوية الأولى. وينتمي هؤلاء المرشدون إلى الصفّ التاسع أو العاشر

وما فوق. وهنا أيضاً، من المفيد للتلاميذ الصغار أن يكون لديهم من يساعدهم في خطواتهم الثانوية الأولى.

14 - ضبط السلوك في المدرسة الثانوية

معلّم المدرسة الثانوية والسلوك

كما هو الحال في المرحلة الابتدائية، ثمّة بعض التقنيات الفعالة جدّاً عند التعامل مع التلاميذ الأكبر سنّاً. ويضم هذا الفصل عدداً كبيراً من الخطط الخاصّة بالمرحلة الثانوية. فغالباً ما يضطرّ معلّم الصفوف الثانوية إلى التعامل مع أعمار مختلفة في اليوم نفسه؛ أي مع أولاد، مراهقين، شباب صغار. وتعديل أسلوب التعليم ليتناسب مع كلّ هذه الأعمار هو من المهارات الهامّة للعاملين في المجال الثانوي.

من شأن تعليم الصفّ الثانوي الأخير أن يكون مشوّقاً جدّاً من حيث إعطاء الدروس، لأنّك تدرّس مادّتك على مستوى يحتاج إلى المجهود ويمثّل تحدّياً بالنسبة إليك. إلاّ أنّه قد يكون شديد الصعوبة في حال وجود مشكلة مع السلوك. فقد يكون بعض التلاميذ أضخم منك جسداً، وفي حال حدوث مواجهات، قد تشعر بالتهديد والضعف. في هذه المرحلة، يؤدّي عدم حبّ التلميذ للمادة إلى ضعف في الحوافز، لا سيّما في بعض المجالات المعيّنة.

يعتبر تلاميذ الصفوف الثانوية راشدين إلى حدٍّ ما، وفي مجتمعنا المعاصر، سيكون لديهم كثير من الهموم البعيدة عن التعليم. وأمام الضغط الذي يتعرّض له التلميذ أثناء الامتحانات، قد يفضّل البعض ترك الدراسة والانتقال من عالم المدرسة الآمن والمغلق إلى العالم الحقيقي.

البداية

تعتبر الدروس الأولى مع أيّ صفّ عاملاً أساسيّاً في تحديد إطار العام الدراسي. وبالنسبة إلى المعلّم الثانوي، تشكل بداية العام الدراسي فترة للقاء عدد كبير من الأشخاص والتعرف إليهم، وهو أمر يسبّب قدراً كبيراً من الإجهاد. فحفظ الأسماء مشكلة حقيقية، لا سيّما بالنسبة إلى معلّمي الموادّ التي تُدرَّس مرّة واحدة في الأسبوع لأعداد كبيرة من التلاميذ، كالموسيقى أو الفنون أو التربية البدنية أو الدراما. وفي ما يلي بعض الأفكار التي تساعد على تخطّي تلك الأسابيع الأولى.

مسألة أسلوب

إنّ استعمال الأسلوب الأنسب مع التلاميذ هو ما يشغل بال معظم المعلّمين، لاسيّما المبتدئون منهم. فما لم تحدّد الأسلوب الذي ستتبعه من البداية وتلتزم بالمقاربة نفسها في كلّ مرة ترى فيها الصفّ، سرعان ما سيكتشف التلاميذ نقاط الضعف والتردد وعدم الالتزام. الأفكار المعطاة في ما يلي عن الأسلوب مرتكزة إلى حدٍّ كبير على مقاربتي الخاصّة والطرق التي أثبتت فاعليتها. تذكّر تعديل هذه النصائح بحسب المدرسة ونوع التلاميذ الذين تعمل معهم.

أنصح جميع معلّمي المرحلة الثانوية بأن يبدأوا العام الدراسي بأسلوب جاد وصارم قدر الإمكان. فالبداية الجادة تمنحك موقفاً أقوى بكثير. المضحك أنّ هذه الطريقة فعالة جدّاً مع المدارس التي نعتبرها سهلة المراس، والتي تعطي المعلّم إحساساً كاذباً بالأمان خلال فترة *شهر العسل* مع تلاميذه. فمع غياب التوتر، يخسر المعلّم فرصة المحاولة. حتّى أنّني وجدت بأنّ التلاميذ يفضّلون في الواقع المعلّم الذي يعمل بهذه الطريقة منذ البداية ويحترمونه، لأنّه لا يفتح المجال للعبث، بل يعطي الأولوية للعمل ويبدو بأنّهم يتجاوبون مع هذا الأسلوب.

في بعض المدارس الصعبة، ينبغي الحذر من استعمال الأسلوب البالغ الصرامة. إذ يفسَّر أسلوب المعلّم على أنّه هجومي عوضاً عن كونه تأكيديّاً، ما قد يسبّب ردّة فعل سيّئة لدى التلميذ. فمع بعض التلاميذ الصعبي المراس، قد تحتاج إلى اتباع أسلوب أكثر استرخاء، لتكسبهم إلى جانبك عوضاً عن إجبارهم على الانصياع. لكن عموماً، يحبّ التلاميذ أن يثبت المعلّم سلطته، وإن على نحو غير ديكتاتوري. يمكنك بالتالي تعديل أسلوبك بحسب سنّ تلاميذك، فتكون شديد الحزم في الصفّ السابع، وتلطّف أسلوبك تدريجيّاً مع ارتفاع الصفّ.

حين يصبح التلاميذ تحت السيطرة التامّة، يمكنك تلطيف أسلوبك تدريجيّاً بحيث تدخل عامل المكافأة. ولكن لا تخفّف من حزمك بشكل مبكر أو سريع، خاصّة في سنواتك المهنية الأولى. وأجد بأنّ نصف الفصل الأول هو مدّة كافية لاتباع الأسلوب الحازم، ويمكن بعدها إدخال شيء من المرونة. والحزم لا يعني القسوة أو السلبية، بل أن تكون واثقاً ومحدّداً في ما يحدث خلال حصصك، وأن تحافظ على هدوئك مهما كانت الظروف. ومن طرق تطبيق ذلك:

- جعل التلاميذ يقفون خارج الصفّ في صفّ واحد بهدوء قبل السماح لهم بالدخول.
- تسجيل الحضور بصمت في بداية كلّ حصّة. وإضافة إلى الصمت، ينبغي أن يكون التلاميذ جالسين بهدوء في أماكنهم. (لا تجرّب ذلك ما لم تكن واثقاً بأنّك قادر على تحقيقه).
- الإصرار على إتمام العمل الكتابي بصمت تامّ. ويمكن التعويض عن ذلك بمكافأة التلاميذ بمنحهم دقيقتي استراحة للتحدّث.
- الالتزام التامّ بأنظمة الزيّ المدرسي، كخلع المعاطف وعدم ارتداء الأحذية الرياضية وارتداء السترات وعقد ربطة العنق بطريقة معيّنة.
- عدم التغاضي عن الخروقات البسيطة للأنظمة، كمضغ العلكة مثلاً.

لا تقلّل من أهمية التفاصيل الصغيرة

بناء على ما سبق، إن كنت تحاول فرض سيطرتك على الصفّ في بداية العام الدراسي، فإنّ التفاصيل الصغيرة هي التي تهمّ فعلاً. فقد اكتشفت فاعلية هذه الاستراتيجية حين عملت معلّمة

مناوبة. فهي مفيدة جدّاً حين تحلّ مكان معلّم آخر وتكون تحت رحمة تلاميذ مشاغبين. استعمل الدقائق القليلة الأولى من الحصّة لضبط أيّ خروقات صغيرة على الفور، لتظهر لهم كم أنت محدّد وواعٍ لما تقوم به. وتشتمل هذه التفاصيل على:

- خلع المعاطف.
- وضع القمصان تحت السراويل.
- عقد ربطة العنق كما ينبغي.
- عدم مضغ العلكة.
- الجلوس كما ينبغي على المقاعد.
- إخراج اللوازم الصحيحة.
- النظر إلى المعلّم وهو يتحدّث.

تحديد طريقة العمل

بالإضافة إلى إظهار سيطرتك، تعتبر الحصص الأولى الوقت الأنسب لتحديد طريقة عمل الصفّ. وتعتبر هذه الخطوة أمراً حيويّاً في المدرسة الثانوية لأنّ التلاميذ يتعرّفون في هذه الفترة على مقاربات مختلفة من قبل معلّميهم. فإن أعطيتهم نموذجاً متماسكاً، واضحاً وثابتاً، يمكنك تدريبهم على الالتزام بتلك العادات العملية والسلوكية في كلّ مرّة تقابلهم فيها. كلّما كنت ثابتاً، شعر التلاميذ بأمان أكبر (لاسيّما أولئك الذين يميلون إلى إساءة السلوك). ويشتمل الفصل الثاني على مثال عن معلّم يضع نموذج العمل خلال الحصّة. من الأسئلة التي يجب أن تطرحها حول طريقتك الخاصّة:

- ماذا يفعل التلاميذ حين يصلون إلى صفّك؟
- هل يمكنهم الدخول على الفور أم ثمّة ما يجب عليهم فعله أوّلاً، كالاصطفاف بصمت؟
- أين يكون المعلّم حين يصل التلاميذ إلى الصفّ؟
- ماذا يحدث حين يدخل التلاميذ الغرفة؟
- كيف يعرف التلاميذ أين يجلسون؟ أهو خيار حرّ أم لا؟
- متى وكيف توضع اللوازم والكتب على الطاولات؟
- في أيّة مرحلة من الحصّة يتمّ تسجيل الحضور؟
- كيف يتصرّف التلاميذ أثناء تسجيل الحضور؟
- كيف يشرح المعلّم العمل المطلوب؟
- كيف يتصرّف التلاميذ أثناء هذا الشرح؟
- في أيّ جوّ يتمّ العمل (أي صمت تامّ أم لا)؟

ما الذي يحدث في نهاية الدرس؟ كيف تتمّ مراجعة العمل؟

- هل يتحتّم على التلاميذ الوقوف خلف مقاعدهم؟
- متى يتمّ تحديد الواجب المنزلي؟
- كيف يصرف المعلّم الصفّ؟

تقنيات للسيطرة على الصفّ

إنّ التقنيات التي تستعملها مع الصفوف الثانوية قد تكون أقسى من تلك التي يمكن اتباعها مع التلاميذ الأصغر سنّاً. والمدى الذي يمكن أن تصل إليه يعتمد إلى حدٍّ بعيد على ما تجده مدرستك مقبولاً. فمن مهارات المعلّم، فهم ورسم الحدود لتلاميذه، وأن يظهر في الوقت نفسه بأنّ هذه الحدود يمكن تخطّيها إن كان ذلك سيؤدي إلى تحقيق نتائج أفضل من قبله ومن قبل التلاميذ. فإن كنت تعمل مع تلاميذ يحبّونك ويحترمونك فعلاً، فلا بأس من إظهار إنسانيّتك عبر التعامل معهم بشيء من المرونة من وقت إلى آخر.

جعلهم يلتزمون بالصمت

لا بدّ أنّك أصبحت تدرك أنّ انتظار حلول الصمت هو برأيي من أهم وأقوى التقنيات التي يمكن للمعلّم استعمالها لضبط الصفّ. بالنسبة إلى بعض المعلّمين الثانويين، وربّما كثير منهم، قد يصعب تحقيق ذلك مع بعض الصفوف. وبالطبع، حدث أن وقفتُ أمام الصفّ منتظرة الصمت وشعرت بأنّني لن أحصل أبداً عليه. وأعرف تماماً مدى التوتّر الذي يسبّبه الانتظار، والرغبة التي تنتابنا أحياناً للاستسلام والبدء بالتحدّث بصوت أعلى من أصوات التلاميذ الذين يرفضون الإصغاء.

إلاّ أنّه من الأهمية بمكان التفكير بالإشارات التي ترسلها إلى الصفّ في كلّ مرة تستسلم فيها أمام هذا التوقّع بالذات. وكأنّك تقول لهم إنك لا تمانع بأن يتحدّثوا وأنت تعطي الدرس، أو أنّك لا تملك ما يكفي من السيطرة عليهم لفرض الصمت. بالمقابل، فإنّ المعلّم الذي يحصل على الصمت التامّ قبل أن يبدأ بالحديث، يرسل لهم إشارة قويّة عن مستوى سيطرته على الصفّ.

في الواقع، إنّ انتظار حلول الصمت هو من التوقّعات الأساسيّة لديّ، والتي لا يمكن أن أتنازل عنها مهما كلّفني الأمر. فقد كافحت في إحدى المدارس لمدّة فصلين لأجل هذا الشرط، ولم أتراجع عن موقفي. ثمّة طرق عديدة يمكن استعمالها لتشجيع التلاميذ على الانصياع. فكلّما تعدّدت الوسائل، قلّت احتمالات الاستسلام أمام تحقيق هذا الهدف الرائع. وفي ما يلي بعض التقنيات التي تناسب الصفوف الثانوية:

- *الإشارة الخطّيّة:* حين ترغب بمعاقبة الصفّ، حاول الامتناع عن التحدّث إليهم، لأنّ هذا الأمر يعزز من هيبتك. واعمد عوضاً عن ذلك إلى كتابة العقاب على اللوح. كأن تقوم مثلاً برسم دائرة على اللوح، وتبقى واقفاً تنظر إلى ساعتك لمدّة دقيقة قبل أن تكتب بداخل

الدائرة 1. ثمّ تضاعف تدرجيّاً عدد الدقائق التي سيمضيها الصفّ محتجزاً بعد انتهاء الحصّة، إلى أن يلزم التلاميذ الصمت، أو جرّب كتابة جملة طويلة على اللوح، مثل "إن لم تلتزموا بالصمت وتتيحوا لي متابعة الدرس، ستجبرونني على استبقائكم في فترة الاستراحة، وأنا لا أرغب بذلك على الإطلاق". حين تنتهي من الكتابة، سيكون الصفّ بأكمله ينظر إليك ليرى ماذا تفعل. ومع أنّني لست من محبّي احتجاز الصفّ بأكمله، إلاّ أنّني لاحظت أنّ استعمال هذه الطريقة لمرّة أو اثنتين يجعل التلاميذ يمتنعون عن التحدّث أثناء الشرح وينضبطون على نحو أفضل.

- *استعمل فترة الاستراحة:* قد تدرّس صفوفاً لا تملك فترة استراحة بعد الحصّة مباشرة. وفي هذه الحالة، لا يمكنك استعمال الحجز كتهديد لكي يلزم التلاميذ الصمت (إلاّ إن كنت تنوي إعادتهم إلى صفّك خلال فترة الاستراحة، وهو أمر لا أنصح به بتاتاً). لنقل بأنّك ترى الصفّ ثلاث مرات في الأسبوع، من بينها حصّة واحدة تليها الاستراحة مباشرة. في هذه الحالة، استعمل هذه الاستراحة لكي تنفّذ عقوبات الاحتجاز التي تضطرّ لفرضها خلال الساعتين الأخريين.
- *الحركات المسرحيّة:* إن كنت تملك روحاً مسرحيّة، قد ترغب باستعمال هذه التقنية غير الاعتيادية للحصول على الصمت. فالحركات المسرحية ممتازة لشدّ انتباه الصفّ، وهي تحثّهم على الضحك عادة. يمكنك مثلاً أن تحني رأسك فوق الطاولة وتدّعي البكاء وأنت تقول لنفسك: "لماذا، أوه لماذا لا يصمتون؟ لم أعد قادراً على التحمّل. ماذا سأفعل؟" ثمّ تصرخ قائلاً: "آه، وجدتها! لقد فاض الكيل، سأحضر المدير!" ثمّ تدّعي بأنّك تغادر الغرفة بسرعة.
- *ثمّة من يراقبكم:* لجأت إلى استعمال هذه التقنية مع الصفوف الصعبة المراس للحصول على الصمت والانتباه، على الرغم من تذمّر تلاميذي من انتهاك حقوقهم المدنية. ثبّت في سبيل ذلك كاميرا فيديو في إحدى زوايا الغرفة، وعند دخول التلاميذ ابدأ بالتسجيل. وأخبر التلاميذ بأنّ المدير سيشاهد الشريط بعد انتهاء الحصّة ليرى مَن مِن التلاميذ يسيء السلوك ولا يلتزم بالصمت. من الممكن استعمالها كخدعة أو ترتيب الأمر مع المدير إن كان متعاطفاً. فمن خلال تجربتي، لاحظت بأنّ التلاميذ لا يجرؤون على المخاطرة لمعرفة ما إذا كان ما يقوله المعلّم صحيحاً أم لا. قم بمحو الأشرطة بعد نجاح الخطّة تجنّباً للمشاكل بخصوص إذن التصوير.

عاملهم كراشدين

في العادة، يحاول الأولاد إرضاء توقّعاتنا منهم، أكانت إيجابية أم سلبية. فإن كنت تعامل تلاميذك الثانويين ككبار، قد تفاجأ من مقدار النّضج الذي يتصرّفون به. أنا أحبّ جعل هذه *الشراكة* بيني وبين تلاميذي واضحة من الحصّة الأولى. وفي حال قرّروا عدم تنفيذ واجباتهم، لديّ الحقّ الكامل بسحب الامتيازات التي أعطيت لهم.

في الواقع، يعتبر التلاميذ الذين بلغوا نهاية المرحلة الثانوية شباباً فعلاً. وإن كنت تريد منهم الاحترام وحسن السلوك عليك التحدّث إليهم، والعمل معهم على أنّهم كذلك. ذلك أنّه لا جدوى إطلاقاً من تطبيق طريقة المعلّم *الصارم والمخيف* (مع أنّي ما زلت أوصي باستخدام الحزم معهم). فهؤلاء الشباب الصغار يتجاوبون على نحو سيّئ مع المواجهات ويبدون حساسية عند التعامل معهم بفوقيّة. ففي النهاية، سيتحدّث إليهم الناس بتهذيب في العالم الحقيقي، في العمل مثلاً، عند وجود مشكلة، فما الداعي لأن تكون الأمور مختلفة في المدرسة؟

لقد أعطاني أحدهم مؤخّراً فكرة مثيرة للاهتمام حول تحديد توقّعاتنا لتلاميذنا الشباب. كانت تلك فكرة معلّم عمد في حصّته الأولى بعد دخوله الصفّ إلى رسم خطّ على اللوح. ثمّ سأل التلاميذ: "ما هذا؟" فأجابوا: "إنّه خطّ". قال: "هذا صحيح. احرصوا على عدم تجاوزه".

عاملهم أحياناً كأولاد

بالمقابل، يتجاوب التلاميذ الكبار السنّ كثيراً حين يتمّ إعطاؤهم مهامّاً أو نشاطات طفولية من وقت إلى آخر. فأمام الطبيعة الجادّة للجزء الأكبر من العمل في المرحلة الثانوية من الأهمية بمكان بالنسبة إليهم للتنفيس عن الضغط من وقت إلى آخر، والمشاركة في بعض النشاطات أو الدروس المرحة والتافهة. كما يشير ذلك إلى رغبة المعلّم بأن يُظهر الجانب الإنساني من شخصيّته. وفي ما يلي بعض الأفكار حول كيفية منح التلاميذ الثانويين بعض اللحظات الطفولية:

- *الألعاب:* يتجاوب التلاميذ كثيراً مع المعلّم الذي يمنحهم فرصة المشاركة في بعض الألعاب، في بداية الحصّة أو نهايتها. ومن الممكن أن تكون هذه الألعاب مرتبطة بموضوع الدرس أو نشاط عامّ لترطيب الجوّ. وثمة ألعاب تربوية جدّاً يمكن استعمالها.
- *المسابقات السريعة:* من الطرق الممتازة لإنهاء موضوع الدرس، إعطاء التلاميذ مسابقة سريعة حول الموضوع. والتلاميذ يحبّون عموماً العمل في مجموعات، لأنّها تسهّل العمل على التلاميذ الضعفاء. وتنظيم المسابقة على شكل منافسة، مع جوائز للفائزين، يشجّعهم على بذل مجهود أكبر وإظهار مزيد من الالتزام.
- *اسمح ببعض الفوضى:* ضع من وقت إلى آخر القيود جانباً، واسمح للتلاميذ بالقيام بنشاط فوضوي مرح. يمكن استعمال هذا النشاط كمكافأة على حسن السلوك. من النشاطات التي يحبّها التلاميذ الثانويّون، إعطاؤهم أعداداً كبيرة من المجلاّت والطلب منهم

قصّ صور وصنع ملصق يرتبط بموضوع الدرس. على سبيل المثال، طلبت من تلاميذي في صفّ الدراما صنع شخصيات عبر إلصاق أجزاء مختلفة من أجساد أشخاص عدة. ونصيحتي هنا هي أن تترك وقتاً كافياً في نهاية الحصّة للتنظيف.

استعمل روح الدعابة للعقاب

إن عمد أحد التلاميذ إلى توجيه الشتائم إليك أو تلفّظ بها بصوت مرتفع، فهو يتوقّع أن تطلب منه التوقّف عن ذلك. ولكن ما لا يتوقّعه هو أن تسأله (بصوت تملؤه الخيبة، الصدمة، الذعر أو صوت مبهم وحسب) "*هل تعرف ما معنى كلمة **** في الواقع؟*" فغالباً ما يجهل الأولاد سبب كون الشتائم مثيرة للغضب أو المعنى الفعلي لها. وينطبق ذلك خصوصاً على التلاميذ الصغار الذين يحاولون تقليد زملائهم الكبار. فربّما سمعوها في الملعب أو الصفّ ولاحظوا التأثير الذي تحدثه.

إن طرحت هذا السؤال بصوت جدّي، سيبدأ بقيّة الصفّ بالضحك على الأرجح، بسبب ارتباك التلميذ ولسماعهم المعلّم يتفوّه بشتيمة. فاستعمال الكلمة لاقتباس ما قاله التلميذ لا يعني بأنّك تشتم بالفعل. من ناحية أكثر جدية، تُظهر هذه الطريقة للتلاميذ لِمَ يتوجّب عليهم تغيير سلوكهم. كما أنّها تجعلهم يدركون تأثير سماع تلك الكلمات على غيرهم من الناس.

لكنّ إمكانية استعمال هذه التقنية تعتمد كثيراً على شخصيتك كمعلّم، وعلى المدرسة التي تعمل فيها، وردّة الفعل التي يمكن أن تحدثها. فلو شعرت بأنّ تلاميذك أو آباءهم أو مدير مدرستك لن يرضوا عن استخدامك هذه التقنية، لا تكرّر الكلمة التي تفوّه بها التلميذ، بل اسأله عوضاً عن ذلك: "هل تعرف ما معنى هذه الكلمة؟"

المربّي والسلوك

يُتوقَّع من كثير من المعلّمين الثانويين تأدية دور المربّي داخل المدرسة، بحيث يتولّون مسؤولية مجموعة من التلاميذ، ويتابعون تقدّمهم عموماً. والعمل مع مجموعة تربوية يختلف تماماً عن العمل مع صفّ ضمن مادّة معيّنة. وفي الواقع، قد لا تدرّس الصفّ الذي يفترض أن تكون مربّياً له.

تعتمد طريقة التعامل مع سلوك مجموعتك التربوية على عاملين رئيسيين: توقّعات المدرسة إزاء كيفيّة عمل المربّي، وسنّ وسلوك تلاميذ مجموعتك. بشكل عام، يمكنك استعمال مقاربة أقلّ توتّراً لتأدية دور المربّي. لهذه الناحية أهميتها، لأنّ تلاميذك قد يلجأون إليك لطرح مشاكل شخصية أو اجتماعية، ومن الضروري أن يشعروا بالراحة للتحدّث إليك بصراحة. فيما يلي بعض النصائح العامة حول ذلك:

- *اجعل مقاربتك مناسبة لسنّ التلاميذ:* إن تمّ إعطاؤك تلاميذاً من السنوات الأولى، لديك فرصة كبيرة لتدريبهم على طريقة عملك. وهنا أيضاً، أنصحك بالبدء على نحو حازم،

يصبح أكثر تراخياً بعض الشيء مع الوقت. أمّا إن كانت مجموعتك مشاكسة، ينتمي تلاميذها إلى السنة الأخيرة من التعليم الثانوي، وحصلت على أربعة مربين مختلفين على مرّ السنوات، لا جدوى من بذل جهد كبير لمحاولة تغييرهم على نحو شديد الصرامة.

- *تحقّق دوماً من اللوازم:* مع التلاميذ الصغار، بإمكان المربّي مساعدة الأولاد على تنظيم أمورهم وتجنّب العقوبات غير الضرورية على اللوازم الناقصة وما إلى ذلك. فمع مجموعة من السنة الأولى، بوسعك التحقق في بداية كلّ يوم أو أسبوع من وجود جميع اللوازم.
- *اطّلع دوماً على العقوبات والمكافآت التي يحصلون عليها:* تستعمل معظم المدارس اليوم يوميّات يدوّن عليها المعلّمون العقوبات والمكافآت التي أعطوها لتلاميذهم. وبإمكان المربّي الاطّلاع على مدى حسن عمل كلّ تلميذ. وأمِّن عند الحاجة نظام إنذار مبكر لمعلّمي الصفّ.
- *تولَّ حلّ المسائل التي تضيّع وقت الدرس:* من شأن المربّي أن يؤدّي دور مساعد لمعلّمي الصفّ عبر حلّه المسائل الصغيرة التي تضيع وقت الدرس. تأكّد مثلاً من أنّ تلاميذك يرتدون الأحذية عوضاً عن الأحذية الرياضيّة، قبل دخولهم إلى الصفّ.
- *فكّر بأفضل طريقة لتسجيل الحضور:* من الأسهل على الأرجح مع التلاميذ الصغار في السنّ الإصرار على الصمت التامّ عند تسجيل الحضور. لكنّ هذه المقاربة قد تسبّب لك مواجهات مع التلاميذ الأكبر سنّاً. فإن كنت تعاني من صعوبة في فرض الصمت، اطلب من أحد التلاميذ التحقّق من التلاميذ الحاضرين والغائبين. ولكن، ينبغي عليك تسجيل الحضور بنفسك، لأنّه سجلّ رسمي ومسؤوليّته تقع على عاتق المربّي.
- *افصل بين دورك كمعلّم ودورك كمربٍّ:* إن كنت تدرّس تلاميذ مجموعتك التربويّة، فأنت بحاجة على الأرجح إلى توضيح الفرق بين الدورين. تحدّث على انفراد مع التلاميذ الذين يحاولون تخطّي الحدود معك، وأوضح لهم بأنّ الدور الذي تؤدّيه في الصفّ مختلف عن دورك كمربٍّ.

المرحلة الثانوية

مع أنّني أنصح المعلّمين بأنّ يكونوا صارمين في البداية مع تلاميذهم الثانويين، إلاّ أنّه بإمكانك أن تعاملهم بشيء من المرونة بعد أن تكسب احترامهم واهتمامهم، وبعد أن يظهروا لك التزامهم واجتهادهم. يجب أن يكون ثمّة حسّ بالشراكة، بحيث يحصل التلاميذ على الحقّ ببعض الحريّات إن أبدوا رغبتهم بالانصياع لما تطلبه على مستوى العمل والسلوك. لقد وجدت بأنّ هذه المرونة تؤتي ثمارها عند العمل مع تلاميذ المرحلة الثانوية. وفي ما يلي بعض النصائح حول كيفية اتباع مقاربة أكثر مرونة مع الشباب:

- *تحلَّ ببعض المرونة:* تبدو بعض الأنظمة بلا معنى بالنسبة إلى تلاميذ المراحل العليا. ففي النهاية، ما الخطأ في ارتداء المعطف عند الشعور بالبرد، أو في مضغ العلكة عند الرغبة بذلك؟ فالأولوية في هذه المرحلة هي للتعليم. بالتالي، بعد أن تنجح في ضبط الصفّ في البداية، تجنّب التطبيق الصارم للأنظمة عند الإمكان، لا سيّما إن كان ذلك سيؤدّي إلى التصادم. على سبيل المثال، يسمع الشباب الشتائم حولهم كلّ يوم: على التلفاز، في حياتهم الاجتماعية، من أفراد عائلاتهم وأصدقائهم. من هنا، فإنّ تجاهل السباب أحياناً يجعلك تبدو بشريّاً أكثر، كما يجنّبك صداماً لا جدوى منه مع تلاميذك.
- *اجعلهم يتحمّلون المسؤوليّة:* حين يخرج تلاميذك إلى العالم الحقيقي ويبدأون بالعمل، سيكون عليهم التصرّف كما ينبغي وإلاّ صرفوا من وظائفهم. في هذه المرحلة من حياتهم الدراسية، عليهم تحمّل مسؤولية سلوكهم ودراستهم. أعطِهم ملاحظة حين يسيئون السلوك. فحين تعاملهم كراشدين، سيتعلمون تحمل مسؤولية سلوكهم على نحو ناضج. توقّع منهم الأفضل ولن يخيب أملك على الأرجح.
- *تفهّم همومهم:* قد يعاني تلاميذك في هذه المرحلة من هموم لا علاقة لها بالدراسة. فربّما أثّرت مشاكلهم الشخصية على طريقة تصرّفهم خلال الحصص. حاول أن تتفهّم ذلك. فأنت تملك هموماً خارج المدرسة، شأنك شأنهم. وإن كنت معلّماً متعاطفاً، سيلجأون إليك للتحدّث عن مشاكلهم الشخصية. احرص بالتالي على تخصيص بعض الوقت لمناقشة مشاكلهم كراشدين. واحرص أيضاً على إحالة المشكلة إلى الموظّف المختصّ في المدرسة عند الضرورة، لا سيّما إن تعلّق الأمر بسلامة أحد التلاميذ.

القسم الخامس

على سبيل المثال...

15 - المشاكل السلوكية البسيطة

الأمثلة

يشتمل الفصلان التاليان على أمثلة عن معلّمين يتعاملون مع مختلف المشاكل السلوكية. تعطيك هذه الأمثلة فكرة عن كيفية تطبيق الأفكار الواردة في الكتاب. والأمثلة هي عن حوادث سوء السلوك مختلفة ومع تلاميذ في أعمار متفاوتة عبر المرحلتين الابتدائية والثانوية، علماً أنّ المقاربات المتّبعة تنطبق على جميع الأعمار.

لقد أعطيت لكلّ حادثة مثلين عن كيفية تعامل المعلّم مع المشكلة، إمّا بطريقة *جيدة أو سيّئة*. وكتبت الأمثلة على طريقة المخطوطات المسرحية مع بعض المعلومات العامة عن ظروف الحادثة ومن ثمّ فرصة لرؤية كيفية تعامل المعلّم مع المشكلة. كما أوردت في نهاية كلّ مثل تعليقاً على تصرّف المعلّم والاستراتيجيات التي استعملها (أو لم يستعملها) وكيفية عمل هذه الخطط بالضبط. وبالطبع، ستجد الحوار بسيطاً بعض الشيء لأنّه من الصعب التقاط الحوادث الواقعية المعقّدة لحياة الصفّ. ولكنّني آمل أن تكون المحاولة كافية لإعطائك فكرة عامّة عن كيفية عمل الخطط المقترحة في هذا الكتاب في الحياة الواقعية.

لقد بدأت بالمشاكل السلوكية البسيطة، كالصفّ الثرثار أو التلميذ الذي يمضغ العلكة. وعادة، من السهل نسبيّاً التعامل مع هذه المشاكل. فحين يعالج المعلّم المشاكل بطريقة هادئة وحازمة، فإنّه يشجّع تلاميذه جميعاً على حُسن السلوك. كما يساهم في تجنب المواجهات الأكثر خطورة لأنّ التلاميذ يلاحظون أنّهم لا يستطيعون النجاة بفعلتهم، مهما كانت بسيطة. بالمقابل، إن تمّ التعامل مع هذه المشاكل على نحو خاطئ، قد تتأزّم الأمور، ويتزايد وقوع الحوادث الأكثر خطورة. وما عليك سوى إلقاء نظرة على الأمثلة السيّئة لترى ما يحدث حين تخرج الأمور عن السيطرة.

الصفّ الثرثار

السنّ: الصفّ السابع

تفاصيل المشكلة: على الرغم من كون هذا الصفّ مهذّباً وحسن السلوك، إلاّ أنّه كثير الثرثرة أحياناً. وهذا ما يسبّب المشاكل للآنسة فاديا، لا سيّما في بداية الحصّة حين تحتاج إلى تهدئتهم وتسجيل الحضور والبدء بالعمل.

مثال جيّد

يصل التلاميذ إلى الصفّ وهم يثرثرون بفرح. الآنسة فاديا واقفة في الباب، تعيق الدخول، يداها مكتوفتان ونظرة حادّة في عينيها.

الآنسة فاديا: سنقوم اليوم بالاصطفاف قبل دخول الصفّ. أريد أن أرى بأية سرعة يمكنكم الاصطفاف بهدوء. خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان... واحد...

اصطفّ الأولاد ولكنهم ما زالوا يثرثرون. تقحّ الآنسة فاديا، وتنظر إلى ساعتها من دون قول شيء. تنتظر لدقيقة لترى ما إذا كانوا سيصمتون من دون تدخّلها، ولكنّهم يستمرّون بالكلام.

الآنسة فاديا: [وهي تتحدّث مع نفسها] يا الله. لم يصمتوا بعد. وهذا ما أريده لأدعهم يدخلون الغرفة، لأنّني أودّ التحدّث إليهم. حسناً، يبدو بأنّهم سيمضون بعضاً من وقت الاستراحة معي. يا للعار. مع أنّهم صفّ ممتاز، ولكنّهم كثيرو الثرثرة. [تتنهّد وتنظر إلى ساعتها]. ها قد ضاعت دقيقة، أي دقيقة من وقت الاستراحة.

يدرك الصفّ ما يحدث، ويبدأ المنضبطون منهم بإسكات الباقين. ولكن ما زالت تصدر بعض الأصوات الخفيفة.

الآنسة فاديا: [تنظر إلى ساعتها مجدّداً]. بعضهم يصغي إليّ، ولكن ضاعت دقيقتان مع ذلك. بالطبع، يمكنني مسامحتهم على الوقت الضائع إن صمتوا كلّهم خلال خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان... واحد... صفر!

نجحت الخطّة! بإمكان الآنسة فاديا الآن التحدّث مع الصفّ والسماح لهم بالدخول.

الآنسة فاديا: هذا ممتاز. والآن، هكذا سنبدأ كلّ حصّة من الآن فصاعداً. يجب أن تصطفّوا بصمت خارج الغرفة. فقد وجدت أنّكم أصبحتم ثرثارين جدّاً. أريدكم أنّ تدخلوا الصفّ بهدوء وتهذيب. وحين تجلسون على مقاعدكم، أريدكم أن تخرجوا كتبكم وأقلامكم وتجلسوا بهدوء، مكتوفي الأيدي، لكي أتمكّن من تسجيل الحضور. ومن يصبح جاهزاً قبل الجميع، أمنحه جدارة!

يسرع الصفّ في الدخول، وحين تدخل الآنسة فاديا، تجدهم ينتظرونها بصمت.

تعليق على المثال الجيّد

قرّرت المعلّمة استعمال مقاربة خفيفة للتعامل مع المشكلة، على الرغم من نبرة الحزم عند الحاجة. هذا الأسلوب مناسب لتلاميذ الصفّ السابع، فإن رغبت بإظهار هيبتها فجأة، ما عليها سوى رفع صوتها بعض الشيء أو تغيير نبرته. حين وصل التلاميذ، كانت مستعدّة بانتظارهم، وخطّتها جاهزة. أوّل ما فعلته هو طرح تحدٍّ للصفّ، ضمن وقت محدود، وبدأت بالعدّ العكسيّ من الرقم الخمسة لترى ما إذا كانت الخطّة ستنجح. وقد نجحت إلى حدٍّ ما لأنّ التلاميذ وقفوا في صفّ مستقيم (بحيث تستطيع رؤية وجوه الجميع). غير أنّهم ظلّوا يثرثرون.

هنا قرّرت المعلّمة استعمال تقنية غير اعتيادية. فادّعت بأنّها تتحدّث إلى نفسها وتقول بصوت مرتفع ما تريده من الصفّ وكيف أنّهم يخالفون توقّعاتها، مع أنّها تحبّهم فعلاً، وأخيراً ما ستكون نتيجة ثرثرتهم. بحديثها مع نفسها فهي تفكّر بصوت عالٍ وتنزع الصفة الشخصية عن العقاب الذي

تفرضه عليهم. يبدأ التلاميذ بالتجاوب، وللاستفادة من ذلك، تعطيهم المعلّمة فرصة لتجنب الاحتجاز. وأخيراً، تستعمل مجدّداً تقنية العدّ، وتنجح الخطّة هذه المرّة.

حين هدأ الصفّ تماماً، استطاعت المعلّمة إخبارهم عن سبب رغبتها بأن يصطفّوا بهذا الشكل. فوضعت معياراً للمستقبل ليعرفوا ما هو متوقّع منهم حين يأتون إلى صفّها في المرّة القادمة. أخيراً، تعطيهم هدفاً لتحقيقه، وتحدّد مكافأة لمن يتمكّن من ذلك أوّلاً (وتلاميذ الصفّ السابع يحبّون المنافسة عموماً)؛ وهو دخول الصفّ بسرعة وهدوء، والجلوس بصمت لتتمكّن من تسجيل الحضور. لاحظ كيف أنّ المعلّمة بقيت هادئة ومهذّبة طيلة المواجهة.

مثال سيّئ

يصل التلاميذ إلى الصفّ وهم يثرثرون بفرح. الآنسة فاديا داخل الصفّ تقوم ببعض التحضيرات في الدقائق الأخيرة. حين تراهم يبدأون بالدخول، تلوّح لهم للتراجع إلى الخارج.

الآنسة فاديا: لا، لا، لا! اخرجوا! اخرجوا! لن أسمح لكم بالدخول إلى أن تهدأوا. عودوا إلى الخارج وانتظروني.

غير أنّ جمال، وهو تلميذ لطيف، هادئ ومهذّب كان قد جلس في مكانه وبدأ بإخراج أقلامه وكتبه.

الآنسة فاديا: جمال! قلت اخرجوا!لا أصدّق! ما خطبك اليوم؟ أنت مطيع عادة. أعد أغراضك إلى الحقيبة واخرج!

جمال: ولكن آنسة...

الآنسة فاديا: لا تقل ولكن، أيّها الشابّ. اسكت وافعل ما أقول.

يصل مزيد من التلاميذ، ولكنّ الآنسة فاديا تعيدهم إلى الباب، وهي تلوّح لهم بيدها.

الآنسة فاديا: إلى الخارج. قلت إلى الخارج! أريدكم أن تصطفّوا بهدوء.

يصطفّ الأولاد تقريباً ولكنّهم ما زالوا يثرثرون.

الآنسة فاديا: حسناً، اصمتوا الآن، أريد التحدّث إليكم.

جمال يتحدّث مع زميلته الواقفة خلفه، طالباً منها أن تصمت لأجل الآنسة فاديا.

الآنسة فاديا: جمال! ألم تسمع ما قلته؟ إنّها المرة الثانية التي تعصاني فيها اليوم. حسناً، أنت محتجز معي بعد الحصّة.

جمال: ولكن آنسة... هذا ليس عدلاً! كنت أقول لها وحسب...

الآنسة فاديا: لا تجادلني. كنت تتكلّم، لذا أنت محتجز. والآن، هل لكم أن تصمتوا وتدعوني أبدأ؟

الآن أصبح الصفّ إمّا مستغرقاً بمشاهدة المواجهة بين الآنسة فاديا وجمال، أو يثرثر لأنّه ملّ من الانتظار.

الآنسة فاديا: [وقد بدأت تفقد أعصابها]. قلت اصمتوا! اصمتوا!!!

يهدأ الصفّ، على الرغم من أنّ بعض المشاغبين المعتادين مازالوا يتكلّمون في الخلف.

الآنسة فاديا: حسناً، حين تدخلون اجلسوا بصمت لأتمكّن من تسجيل الحضور. مفهوم؟ هيّا إذاً، إلى الداخل.

تعليق على المثال السيّئ

يتّضح لنا من بداية الحصّة أنّ الآنسة فاديا غير مستعدّة لهذا اللقاء. إن أرادت تغيير الروتين المعتاد، عليها أن تخطّط لذلك مسبقاً وأن تكون جاهزة لمواجهة الصفّ فور وصوله. غير أنّها زرعت بذور حصّة سلبية من بداية اللقاء حين صرخت في وجههم لمغادرة الغرفة. فقد كانت كلمتها الأولى "لا"! وحين بدأوا بدخول الصفّ (كما يفعلون عادة) تصرّفت وكأنّهم ينتهكون مجالها الخاصّ. وعدم الثبات هذا لا بدّ من أن يؤدّي إلى مواجهات بسيطة على الأقلّ.

أمّا خطؤها الثاني، فهو الصراخ في وجه جمال المسكين، التلميذ المنضبط الذي كان يقوم بما يفعله عادة، أي الاستعداد للدرس! فسألته على الفور ما خطبه، وهو تعليق سلبي جدّاً، اقترن بالفظاظة حين أمرته بالسكوت. ومنذ أن لوّحت المعلّمة للتلاميذ بالخروج، سبّبت لهم الإزعاج، وليس من المستغرب ألاّ يتبعوا التعليمات. وهنا أيضاً كلّمتهم بفظاظة حين أمرتهم بالسكوت. ثمّ ظلمت جمال مجدّداً؛ فهو يحاول جعل إحدى التلميذات تلتزم الصمت، غير أنّ المعلّمة اتّهمته بعصيانها، وفرضت عليه عقاباً لا يستحقّه. ولو كان جمال تلميذاً ميّالاً إلى المواجهة لأدّى ذلك إلى حادثة أكثر خطورة.

يشعر الصفّ الآن بالارتباك والملل. لقد وصلوا إلى الغرفة وهم يتوقعون أن تسير الأمور كالعادة، إلاّ أنّهم فوجئوا بحوادث غير اعتيادية. وبما أنّ التلاميذ لم ينفّذوا توقّعات المعلّمة (غير الواقعية) فإنّها تفقد أعصابها. يهدأ الأولاد نتيجة ذلك، إلاّ أنّها تسمح لهم بالدخول من دون أن تحصل على انتباههم التامّ. في هذه المرحلة، يبدو إصرارها على إخراجهم من الصفّ وإجبارهم على الاصطفاف بلا معنى على الإطلاق. فهي لم تحقّق شيئاً! المشاغبون الواقفون في آخر الصفّ لم يعاقَبوا على عدم انضباطهم، والاصطفاف كان من دون جدوى. من هنا، سيستغرق التلاميذ وقتاً طويلاً ليهدأوا بعد دخولهم الغرفة، كما كوّنوا فكرة سلبية عن اللقاء بأكمله.

مضغ العلكة

السنّ: الصفّ التاسع

تفاصيل المشكلة: مضغ العلكة هو أمر غير مسموح به في المدرسة. إلاّ أنّ بعض التلاميذ يتجاهلون هذا النظام على الدوام. وهم من التلاميذ الأكثر إزعاجاً في الصفّ.

مثال جيّد

يعمل الصفّ على مهمّة فرديّة. وفيما يتنقّل المعلّم بينهم لمساعدتهم، يلاحظ بأنّ فادي يمضغ علكة. فيذهب إلى مقدّمة الصفّ ويحضر سلّة النفايات ويضعها تحت فم فادي.

المعلّم: فادي! ابصق العلكة في السلّة. الآن. أنت تعرف النظام.

فادي: ولكن، أستاذ! أنا لا أعلك.

المعلّم: بلى. ابصقها الآن.

فادي: لقد ابتلعتها يا أستاذ. انظر. [يفتح فمه].

المعلّم: سأصدّقك. ولكن إن رأيتك تعلك مجدّداً في هذه الحصّة ستكون في ورطة كبيرة.

يلاحظ المعلّم لاحقاً بأنّ فادي يمضغ علكة من جديد.

المعلّم: فادي، تعال من فضلك. [يسير نحو سلّة المهملات]

فادي: ماذا، يا أستاذ؟

المعلّم: تعال إلى هنا من فضلك.

يحضر فادي إلى حيث يقف المعلّم.

المعلّم: أترى هذه؟

فادي: ماذا؟

المعلّم: سلّة المهملات.

فادي: ماذا عنها؟

ينحني المعلّم نحو فادي ويتحدّث إليه بصوت منخفض كي لا يسمعه الباقون.

المعلّم: ابصق العلكة هنا حالاً. ولا تقل لي "أنا لا أعلك"، لأنّني رأيتك. ستبقى لخمس دقائق بعد انتهاء الحصّة لتنظيف الصفّ. وإن تفوّهت بمزيد من الحماقات، ستُحتجز لمدّة نصف ساعة.

يبصق فادي العلكة ويعود إلى مكانه مرتبكاً.

تعليق على المثال الجيد

يحتاج تلاميذ الصفّ التاسع إلى معاملة مختلفة بعض الشيء وأكثر قساوة من تلاميذ الصفّ السابع. فنظراً لوجود عنصر مزعج في المجموعة، من الضروري أن يوضح المعلّم مدى سيطرته على الوضع. كانت مقاربته الأولى أن طلب من التلميذ أمام الصفّ كلّه بصق العلكة في سلّة المهملات، فالصفّ كلّه يعرف بأنّ نظام المدرسة يمنع مضغ العلكة في الصفّ وهذا التلميذ يخالفه

عمداً. صحيح أنّ المشكلة تبدو بسيطة، ولكن إن نجح المعلّم في حلّها الآن، ستتعزّز سلطته بأكملها لأنّه أثبت للصفّ رغبته بتطبيق أنظمة المدرسة.

كما يحدث غالباً، ادّعى التلميذ بأنّه ابتلع العلكة، مبطِلاً بذلك طلب معلّمه. ولكن عوضاً عن الدخول في جدال معه حول ذلك، يحذّره ممّا سيحدث لو ضبطه مرة أخرى وهو يعلك. غير أنّ الحادثة تتكرّر لاحقاً خلال الحصّة. وهذه المرّة، يتّبع المعلّم مقاربة مختلفة، ويتعامل مع التلميذ على انفراد. فيطلب منه المجيء إليه (وهي طريقة نافعة دوماً لإظهار علوّ منزلتك) ويطلب منه بصق العلكة في السلّة، موضحاً له هذه المرّة عدم جدوى التهرّب. ثمّ يعاقب التلميذ كما وعد، ويجعل العقاب مناسباً للخطأ، ويحذّره من أنّ عقاباً أطول ينتظره إن أصرّ على المعصية.

مثال سيّئ

يعمل الصفّ على مهمّة فرديّة. وفيما يتنقّل المعلّم بينهم لمساعدتهم، يلاحظ بأنّ فادي يمضغ علكة.

المعلّم: فادي! هل تمضغ علكة؟

فادي: كلاّ يا أستاذ.

المعلّم: بلى. لقد رأيتك.

فادي: كلاّ، أنا لا أفعل، يا أستاذ. انظر. [يفتح فمه].

المعلّم: لقد رأيتك تعلك. لا تكذب. هل لك أن تذهب وتبصقها في سلّة المهملات من فضلك؟

فادي: ولكن معلّم، أنا لا أعلك.

المعلّم: من الأفضل لك ألاّ تفعل.

يلاحظ المعلّم لاحقاً بأنّ فادي يمضغ علكة من جديد.

المعلّم: فادي، أظنّك قلت بأنّك لم تكن تعلك؟

فادي: أنا لا أعلك يا أستاذ، أنا أعضّ فمي من الداخل. أفعل ذلك حين أشعر بالملل.

المعلّم: هل أنت واثق؟

فادي: بالتأكيد يا أستاذ.

المعلّم: حسناً إذاً.

تعليق على المثال السيّئ

هذا المثال سيّئ، ليس بسبب حدوث مواجهة، بل لأنّ التلميذ يتغلّب على المعلّم في النهاية. ومن شأن هذه الحادثة أن تكون خطيرة في صفّ يحتوي على مشاغبين. فإن نجا التلميذ بفعلته البسيطة، سيبدأ بتجاوز الحدود ليرى إلى أيّ مدى يمكنه أن يصل من دون عقاب. يعود القرار إليك

كمعلّم في تطبيق أنظمة المدرسة، كحظر العلكة. عليك أن تسأل نفسك: هل الأمر يستحقّ المواجهة التي قد تقع؟ وهل يمكنك استخدام النظام لإثبات سلطتك على نحو هادئ وثابت؟

يعتبر أسلوب المعلّم هنا دفاعيّاً جدّاً. فهو يسأل التلميذ ما إذا كان يمضغ علكة عوضاً أن يقول له بأنّه رآه يفعل ذلك. كما أنّه يتجنّب معاقبة التلميذ، ربّما لخشيته ممّا سيحدث لو أنّه فعل. في هذا المثال، من الواضح بأنّ التلميذ هو الذي يربح المواجهة. فجميع التصريحات الأكيدة تصدر عنه لا عن المعلّم. والتعليق الذي يعطيه فادي عن شعوره *بالملل* يلمّح إلى الازدراء الذي يشعر به تجاه المعلّم والدرس على حدٍّ سواء.

رمي المعجون على الآخرين

السّن: الصفّ الثاني

تفاصيل المشكلة: سالي هي مشكلة حقيقية. فهي مليئة بالحياة، وحين تضجر خلال الحصص، تبدأ برمي المعجون على زملائها. نادراً ما تراها المعلّمة تفعل ذلك، إلاّ أنّ باقي التلاميذ يتذمّرون باستمرار. وفي نهاية اليوم الدراسي، تكون السجادة مغطّاة بقطع صغيرة من المعجون.

مثال جيّد

يعمل الصفّ في مجموعات صغيرة على الأوزان. فهم يزنون موادّ مختلفة ليروا أيّها الثقيل وأيّها الخفيف. ولسوء الحظّ، كان المعجون من الموادّ التي يفترض بهم وزنها. الآنسة بنان تراقب عن كثب مجموعة سالي التي كانت على وشك أن تزن المعجون.

الآنسة بنان: عمل جيّد، أيّتها المجموعة الحمراء. لقد تمكّنتم حتّى الآن من وزن مختلف الموادّ. ماذا لاحظتم؟

نادر: المحرمة الورقيّة خفيفة جدّاً، آنسة بنان.

الآنسة بنان: عظيم يا نادر. وماذا أيضاً؟

رامي: القطعة المعدنيّة ثقيلة جدّاً.

الآنسة بنان: ممتاز، رامي. ماذا عن المعجون؟ سالي. ماذا تعتقدين؟ سيكون ثقيلاً أم خفيفاً؟

سالي: خفيف، يا آنسة.

الآنسة بنان: هل أنت واثقة؟ هل لنا أن نجرّب الآن؟

سالي: حسناً. [تزنه.] آه. إنّه ثقيل، يا آنسة.

الآنسة بنان: وحين يكون الشيء ثقيلاً، ماذا يمكن أن يحدث حين نرميه على شخص ما؟ ماذا تعتقد يا نادر؟

نادر: قد نؤذيه، آنسة؟

الآنسة بنان: صحيح. والآن سالي، هل تظنّين أنّه من الجيد رمي قطعة معدنية على أحدهم؟

سالي: كلاّ بالتأكيد.

الآنسة بنان: والمعجون؟

سالي: في الحقيقة، يمكننا رمي القليل منه. وهكذا لن نسبّب له الأذى.

الآنسة بنان: ولكن ماذا لو دخل في عينيه؟

رامي: في هذه الحالة، سيسبّب أذىً كبيراً! في إحدى المرّات، دخل الصابون في عينيّ وآلمني كثيراً. وقد يسبّب المعجون الشيء نفسه.

الآنسة بنان: وماذا إن علق على السجّادة؟

رامي: ستتّسخ كثيراً. انظري يا آنسة، ثمّة معجون على السجّادة هنا. هذا مقرف!

الآنسة بنان: هل تعتقد أنّه من الجيّد رمي الأشياء، نادر؟

نادر: في الواقع... يمكننا رمي الكرة في الملعب، آنسة.

الآنسة بنان: وماذا عن الصفّ؟ ماذا تعتقدين سالي؟

سالي: كلا. لا ينبغي علينا رمي أيّ شيء في الصفّ، آنسة.

تعليق على المثال الجيد

في هذا المثال، تعالج المعلّمة المشكلة من اتّجاه جانبي. فعوضاً عن الإمساك بسالي وهي ترمي المعجون، (ما كان سيسبب إشكالية)، تقرّر مقاربة المسألة بالمناقشة، محاولة جعل الأولاد يفهمون لماذا لا يجدر بهم رمي أشياء على بعضهم. فتقترب من المجموعة حين أصبحت على وشك أن تزن المعجون وتثني على الفور على طريقة عملهم، لتعطي شعوراً إيجابيّاً حول المواجهة بأكملها.

تناقش العمل معهم، وتحرص على أن يشارك الجميع، لتصل إلى السبب الذي يجعل رمي المعجون على الآخرين خطراً. وهي لا تتّهم سالي أبداً بأنّها ترمي المعجون على زملائها، بل تشير إلى المشاكل التي قد تنجم إن قام أحدهم بفعل ذلك. وبما أنّ الحديث لم يكن موجّهاً إلى سالي على الإطلاق، ستضطرّ على الأرجح لإعادة التفكير بسلوكها. وفي حال واصلت رمي المعجون، بوسع المعلّمة العودة إلى هذه المناقشة وإيضاح أسباب ضرورة التوقّف عن هذا السلوك.

مثال سيئ

يعمل الصفّ في مجموعات صغيرة على نشاط فنّي. فهم يصنعون أشكالاً من المعجون لحيوانات مزرعة. كانت الآنسة بنان تساعد المجموعة الخضراء حين تلقّت ضربة على رأسها بكرة صغيرة من المعجون.

الآنسة بنان: آخ! من رمى هذه؟ لقد آلمتني فعلاً. سالي؟ أأنت من فعل هذا؟ لقد رأيتك ترمين المعجون من قبل.

سالي: كلاّ يا آنسة، لست أنا، إنّه مروان.

مروان: كلاّ لست أنا. أنت من فعل هذا يا سالي، لقد رأيتك.

الآنسة بنان: سالي، أنت لم ترمي المعجون عليّ فحسب، بل تكذبين أيضاً. أنت سيّئة السلوك كثيراً.

سالي: لم أرمها. مروان يكذب.

مروان: كلاّ، أنا لا أكذب. أنت الكاذبة. كاذبة! كاذبة!

الآنسة بنان: توقّفا كليكما! اذهبا واجلسا على السجادة. ما دمتما غير منضبطَين، لن تشاركا في النشاطات المسليّة.

يجلس مروان وسالي على السجادة. وبعد خمس دقائق، يندلع شجار بينهما.

الآنسة بنان: توقّفا على الفور!

تعليق على المثال السيّئ

هذه المواجهة محكوم عليها بالفشل منذ البداية. فقد ضُربت المعلّمة بالمعجون، وهذا ما جعلها انفعالية إزاء الوضع، عوضاً عن معالجته بطريقة هادئة وعقلانية. وكانت ردّة فعلها الفورية اتّهام سالي. ومع أنّها قد تكون محقّة، إلاّ أنّه من غير العادل لومها من دون دليل قاطع. فتحاول سالي، التي شعرت على الأرجح بالارتباك من سلوكها، بإلقاء اللوم على زميلها. لا شكّ بأنّ مروان يشعر بالانزعاج بسبب ذلك. ثمّ يعاقَب على الرغم من عدم ارتكابه أيّ سوء. فتنتهي الحادثة بمعاقبة التلميذين، والعقاب المفروض عليهما يحرمهما من متابعة العمل. ومن الأفضل بكثير معاقبتهما بطريقة لا تؤثّر على دراستهما، وتجعلهما يغيّران سلوكهما.

ليس من المستغرب أن ينشأ شجار بين الولدين الجالسين على السجادة، بعد أن شعرا بالضجر لعدم انشغالهما بشيء. فهما يشاهدان الباقين وهم يقومون بنشاط مسلٍّ، ما يعتبر غير عادل بالنسبة إلى مروان خصوصاً، الذي كان يدافع عن نفسه وحسب حين اتُّهم عن غير وجه حقّ!

16 - المشاكل السلوكية الخطيرة

الأمثلة

يعالج هذا الفصل المشاكل السلوكية الأكثر خطورة التي قد تطرأ في صفّك. وهي حوادث من شأنها أن تُشعر المعلّم بتهديد كبير، وتتركه في حالة من الضعف والاستياء في ما بعد. لحسن الحظّ، تعتبر هذه الحوادث نادرة في معظم المدارس. وببحث طرق معالجة تلك الحوادث الخطيرة قبل وقوعها، أسعى إلى تسليحك بالمعرفة التي تحتاجها لمواجهة ظروف كتلك إن حدثت في صفّك.

عند التعامل مع مواجهة خطيرة، من الأهمية بمكان تأمين سلامتك الشخصية وسلامة تلاميذك الموجودين في الصفّ. وإن بدا لك بأنّ الوضع يشارف على الانفجار، لا تتردّد في استعمال العقاب الأقصى، على سبيل المثال، إخراج بطاقة حمراء تعني بأنّ على التلميذ التوجّه على الفور إلى المدير. أرسل تلميذاً موثوقاً به لمساعدتك أيضاً عند الضرورة.

إن كنت تعمل في مدرسة تندر فيها هذه الحوادث، قد تشعر بأنّ المعلّمين متساهلون جدّاً في هذه الحالات. فمن الممكن في مدرستك أن يتمّ قبول العقاب الفوري على كلمة سباب واحدة عن طيب خاطر. بالمقابل، تضمّ بعض المدارس الأخرى أولاداً يعانون من مشاكل كثيرة ويحتاجون إلى مقاربة أكثر ذكاء، مع أخذ خلفيّتهم الاجتماعية بعين الاعتبار. في تلك الحالات، تؤدّي العقوبات الفورية والمتصلّبة إلى عدد كبير من المواجهات والطرد للتلاميذ. وهنا أيضاً، يعتمد قرار تطبيق المرونة على الظروف التي تدرّس فيها.

ملاحظة: بما أنّني أردت لهذه الأمثلة أن تكون واقعية قدر الإمكان، ضمّنت النصّ الشتائم التي غالباً ما ترافق الحوادث الخطيرة، واستبدلتها بالنجوم. أترك لخيالك الحرية بملء الفراغات.

التهديد الجسدي

السّن: الصفّ العاشر

تفاصيل المشكلة: كمال هو تلميذ صعب المراس، غالباً ما ينفجر غاضباً بسهولة. خلال الحصّة، يندلع شجار بينه وبين بسام، سرعان ما يبدأ بالتحول إلى عراك جسدي.

مثال جيّد

يتشاجر كمال وبسام حول من يملك القرص المدمج. يدّعي كمال أنّه أعاره لبسام، ولكنّ بسام ينكر ذلك.

كمال: أعده إليّ، أيّها ******!

بسام: كن صادقاً، كمال. إنّه لي، أنت لم تعرني إيّاه أبداً.

الآنسة هدى: كمال. بسام. اهدأا من فضلكما.

كمال: لقد استولى على قرصي المدمج يا آنسة.

بسام: نعتني بأنّني ******، يا آنسة.

الآنسة هدى: اسمعا، أريدكما أن تتابعا العمل. وتوقّفا عن التفوّه بألفاظ بذيئة وإلاّ عاقبتكما على ذلك. أعطني القرص يا بسام، وسنحلّ المشكلة بعد انتهاء الحصّة.

بسام: أبداً، إنّه لي.

الآنسة هدى: بسام. أعطني القرص على الفور ومن دون جدال، واذهب للجلوس هناك، بعيداً عن كمال لو سمحت. [وتشير إلى الطرف الآخر من الصفّ.]

يعطيها إيّاه بنقمة ويذهب للجلوس حيث أشارت. يبدأ الصبيان بالعمل، ولكنّهما يبدأان بالشجار مجدّداً عبر الغرفة بعد بضع دقائق.

كمال: سأريك بعد انتهاء المدرسة، أيّها ****.

بسام: حقّاً؟ وأنا سأسحق رأسك أيّها الأحمق ******!

الآنسة هدى: حسناً، هذا يكفي. كمال، بسام، اخرجا من الصفّ حالاً.

بسام: لن أخرج. أنا لم أفعل شيئاً.

الآنسة هدى: كلاكما إلى الخارج فوراً. أنا أعني ما أقول. لا تعبثا معي.

يخرج الولدان مع الآنسة هدى من الصفّ. وتقف بينهما لتمنعها من إيذاء بعضهما.

الآنسة هدى: حسناً، سنحلّ هذه المشكلة الآن. القرص المدمج معي، وإن تشاجرتما مجدّداً، سأعطيه للمدير. وعندها سيقرّر بنفسه ما إذا كان سيعيده لكما. بسام؟ ما رأيك؟ هل ستعود إلى عملك وتتوقّف عن الحماقات؟

بسام: حاضر، آنسة.

الآنسة هدى: جيّد. ادخل إذاً، أودّ التحدّث مع كمال على انفراد. [يعود بسام إلى الصفّ].

كمال: سألقّنه درساً لن ينساه يا آنسة. لا آبه لما تقولينه.

الآنسة هدى: كمال، موقفك أزعجني كثيراً. إن تعاركت مع بسام، ستسبّب لنفسك المشاكل. وسيتمّ طردك على الأرجح. أهذا ما تريده؟

كمال: كلاّ.

الآنسة هدى: أريد حلّ هذه المشكلة بالنقاش. أخبرني ما قصّة هذا القرص؟

كمال: لقد ابتاعته لي شقيقتي. ثمّ أعرته لبسام، ولكنّ هذا **** يرفض إعادته إلي.

الآنسة هدى: كمال، سأعتبر أنّني لم أسمع ما قلت. ولكن إن عدت إلى الشتم ثانية، سنذهب إلى مكتب رئيسة القسم لتحلّ هذه المشكلة.

كمال: أنا آسف.

الآنسة هدى: حسناً. شقيقتك في الصفّ التاسع، صحيح؟ هل لنا أن نسألها عن الأمر خلال الاستراحة؟ إن وافقَت على ما تقول، يمكنك استعادة القرص.

كمال: حسناً.

الآنسة هدى: والآن كمال، أريدك أن تجلس هنا وتتابع عملك حتّى انتهاء الحصّة.

كمال: لماذا؟ هذا غير عادل.

الآنسة هدى: هل تريد الشجار مع بسام مجدّداً؟ كلاّ؟ أنا أجنّبك ذلك بجلوسك خارج الصفّ. وخلال الاستراحة، سنحلّ موضوع القرص، اتّفقنا؟

يوافق كمال. فتحضر له المعلّمة كرسيّاً وطاولة ليعمل عليها وتترك الباب مفتوحاً لمراقبته.

تعليق على المثال الجيّد

تتدخّل المعلّمة بسرعة مع بداية الشجار، ساعية إلى إيقافه قبل أن يتطوّر. وغالباً ما ينجح هذا التدخّل المبكر في منع المواجهة البسيطة من التفاقم والخروج عن السيطرة. وتقرّر عدم معاقبة كمال على الكلام البذيء الذي تفوّه به لأنّها تعرف بأنّ ذلك سيزيد الأمر تعقيداً. فبالنسبة إلى كثير من تلاميذ الصفّ العاشر، تعتبر الشتائم طريقة طبيعية للتعبير عن الغضب، ولا ترى أنّه من المجدي التوقّف عندها. ما تريده هو أخذ القرص من الولدين بسرعة، لأنّها بذلك تحلّ المشكلة مؤقّتاً، وحين تحصل عليه، تقرّر ما ستفعله به. أيضاً إن بقي مع بسام، سيحاول كمال أخذه منه بالقوّة. فكانت نبرتها واضحة ومباشرة، حيث أمرته بإعطائها القرص على الفور عوضاً عن طلبه منه. كما فصلت بين الشابين لكي توقف الشجار على الفور.

لكنّ الشجار يندلع مجدّداً بعد بضع دقائق، وتدرك المعلّمة أنّ عليها اتخاذ تدابير إضافية لوضع حدّ له. فالولدان يشتمان بعضهما ويهدّدان باستعمال العنف الجسدي. هذا السلوك غير مقبول. لذا تخرجهما من الصفّ، وتتحدّث إليهما على انفراد. بتلك الطريقة، تتعامل مع المشكلة بعيداً عن بقيّة التلاميذ. فتتيح لهم متابعة عملهم عوضاً عن التفرّج عليها وهي تتحدّث إلى زميليهم. وهنا أيضاً، تأمرهما بالخروج ولا تقبل أيّ جدال بخصوص ذلك.

في الخارج، تستعمل المعلّمة القرص كأداة للمساومة، فإن استمرّا بالشجار، ستعطيه لرئيس القسم. وبهذا التهديد، تسعى إلى تهدئتهما. ثمّ تتعامل أوّلاً مع بسام، فهو أقلّ عنفاً، ولا تنوي معاقبته. وبعد إرساله إلى الصفّ من جديد، تتعامل مع كمال في جوّ أكثر هدوءاً. فهي تعرف بأنّه يثور بسهولة، لذا تتحدّث إليه على نحو هادئ وحازم في آن واحد. فتخبره بما سيحدث إن نفّذ تهديده وضرب بسام. ثمّ تسمح له بإخبارها القصّة من وجهة نظره. وبالإصغاء إليه وأخذه على محمل الجدّ، تريه الجانب الإنساني من شخصيّتها فضلاً عن رغبتها بتصديقه والوثوق به.

يشتم كمال مجدّداً، وتقرّر المعلّمة تجاهل ذلك مرّة أخرى، ولكنّها توجّه له تحذيراً أخيراً. ثمّ تقدّم حلاً مؤجّلاً إلى وقت الاستراحة، لتحصل على فرصة أفضل لحلّ المشكلة. وهي تعلم أنّ عليها العودة إلى صفّها الآن. فتطلب من كمال أخيراً الجلوس خارج الصفّ لبقيّة الحصّة تجنّباً لاحتمال حدوث عراك جسدي أكبر. لاحظ مدى الحزم الذي ساد نبرتها أثناء التعامل مع المسألة ككلّ، مع أنّها بقيت هادئة وغير استفزازية. فكانت تقول لهما ما عليهما القيام به عوضاً عن الطلب منهما، لتحافظ بذلك على إحساسها بالسيطرة، مهما كانت أعصابها ثائرة من الداخل. لاحظ أيضاً كيف أنّها استعملت اسميهما تكراراً لتضمن حصولها على انتباههما التامّ وهي تتحدّث إليهما.

مثال سيّئ

يتشاجر كمال وبسام حول من يملك القرص المدمج. يّدعي كمال أنه أعاره لبسام، ولكنّ بسام ينكر ذلك.

كمال: أعده إليّ، أيّها ******!

بسام: كن صادقاً، كمال. إنّه لي، أنت لم تعرني إيّاه أبداً.

الآنسة هدى: هل لكما بالتوقّف عن الشجار أيّها الصبيّان؟

كمال: لقد استولى على قرصي المدمج يا آنسة.

بسام: نعتني بأنّني ******، يا آنسة.

الآنسة هدى: [تبدو منزعجة جدّاً]. اسمعا، هل يمكنكما التوقّف عن التفوّه بألفاظ بذيئة ومتابعة العمل. هل تريدان أن تحتجزا معي بعد انتهاء الحصّة؟ لا؟ إذاً اسكتا وعودا إلى العمل.

يعود الشابّان إلى العمل وهما حانقان، وبعد بضع دقائق يبدأان بالشجار مجدّداً.

كمال: سأريك بعد انتهاء المدرسة، أيّها ****.

بسام: حقّاً؟ وأنا سأسحق رأسك حالاً أيّها الأحمق ******!

يقف الشابّان ويتّخذان وضعيّات هجومية.

الآنسة هدى: حسناً، توقّفا على الفور. اجلسا.

كمال: لن تسحق رأسي أيّها ******!

بسام: حقّاً؟ تعالَ لنرى، كمال. أنت تظنّ نفسك بطلاً. [يشدّ قبضتيه].

الآنسة هدى: هل لكما بالتوقّف عن ذلك والجلوس!!

لكن فات الأوان، فالولدان بدأا بالعراك وبقيّة التلاميذ يحثّونهما على ذلك. تحاول الآنسة هدى الوصول إليهما لإبعادهما عن بعضهما.

الصفّ: هيّا! هيّا! هيّا! هيّا!

الآنسة هدى: هل لكم بالكفّ عن ذلك جميعاً والجلوس فوراً!!

تعليق على المثال السيّئ

لاحظ السرعة التي يتصاعد فيها الشجار هنا، لأنّ المعلّمة لا تتدخّل بحزم كافٍ منذ البداية. فعوضاً عن قول ما تريده للتلميذين، تطلب منهما التوقّف عن الشجار. كما أنّها تدعوهما بالصبيّين عوضاً عن مناداتهما باسميهما، وهذا ما يقلّل من أثر ما تريد قوله. فتهدّد بالاحتجاز كطريقة لحلّ المشكلة عوضاً عن التدخّل في الشجار وإزالة سبب النزاع، أي القرص المدمج. كما تطلب منهما السكوت عوضاً عن أمرهما بالتزام الصمت. هذا التصرّف الذي عكس موقفها والنبرة المنزعجة التي استعملتها ساهما في تفاقم النزاع عوضاً عن تبديده.

بعد بضع دقائق، كان الخلاف لا يزال موجوداً، فبدأ الولدان بالشجار مجدّداً. وبما أنّ المعلّمة لم تتدخّل كما يجب في البداية، لم يعد بمقدورها إيقاف العراك الجدي الذي وقع. وهنا أيضاً، تقول لهما أن يجلسا، عوضاً عن القيام والفصل بينهما أو إخراجهما من الصفّ، بعيداً عن الباقين. ولكنّ الأوان قد فات، وأصبح العراك محتوماً.

استخدام الألفاظ البذيئة

السنّ: الصفّ الثامن

تفاصيل المشكلة: تعاني نادين من مشكلة في السيطرة على أعصابها، وحين تشعر بالانزعاج، يتفجّر غضبها لفظيّاً. فتبدأ بشتم الجميع، بمن فيهم المدير.

مثال جيّد

رأى المعلّم نادين تمرّر سيجارة لصديقتها خلال الحصّة. ففضّل تجاهل الأمر عوضاً عن الدخول في مواجهة معها، ولكنّ نور رأتها وأخبرت المعلّم.

نور: أستاذ! رأيت نادين تعطي ناديا سيجارة!

نادين: اصمتي أيتها البلهاء!

ناديا: وإلاّ فسنريك بعد انتهاء المدرسة!

المعلّم أنور: نادين، ناديا، تعالا إلى هنا لو سمحتما، وأحضرا حقيبتيكما. [يشير إليهما للمجيء إليه].

نادين: لن أتحرّك من مكاني.

المعلّم أنور: سأطلب منكما مجدّداً، نادين وناديا، تعالا إلى هنا وأحضرا حقيبتيكما. هذا آخر إنذار.

ناديا: قومي يا نادين، لا أريد أن أحتجز مع هذا الأحمق. [تتوجّهان إلى مكتبه].

المعلّم أنور: سأدّعي بأنّني لم أسمع ما قلته للتوّ. [يقف]. حسناً. سأعطيكما فرصة واحدة لإعطائي السجائر، ولن أقبل بأيّ جدال. وإلاّ ستكونان في ورطة كبيرة لأنّني سأتّصل بأهلكما

وأخبرهم بالأمر.

نادين: لن أعطيك سجائري ******. وأبواي يعلمان أصلاً بأنّني أدخّن. ماذا ستفعل الآن أيّها الأحمق؟

المعلّم أنور: نادين، ألفاظك مريعة، وكوني أحمق لا يعني أنّني لا أنزعج من سماع ذلك. [يضحك بقية الصفّ]. إن سمعتك تشتمين مجدّداً سأحتجزك. والآن أعطيني السجائر وإلاّ اتّخذت تدبيراً آخر.

ناديا: هل يمكننا استعادتها؟

المعلّم أنور: استعادة ماذا؟ ماذا تقرّين بأنّك تملكين؟

ناديا: آه، لا شيء. تفضّل، يا أستاذ. [تعطيه السيجارة التي أعطتها إياها نادين].

المعلّم أنور: [يسحق السيجارة ويرميها في سلة المهملات]. شكراً ناديا، يمكنك العودة إلى مكانك. نادين، أعطيني بقية العلبة.

نادين: مستحيل أيّها ****** ******! إنّها لي!

المعلّم أنور: حسناً نادين، لقد حذّرتك. أنت محتجزة معي لمدّة عشر دقائق بعد الحصّة. سأخبر المدير بحيازتك السجائر. تعالي معي إلى الخارج لمناقشة الأمر قبل أن تتورّطي في مزيد من المشاكل.

نادين: لن آتي إلى الاحتجاز اللعين، ولن أخرج معك إلى الخارج أيّها *****!

المعلّم أنور: حسناً، أصبحت مدة احتجازك عشرين دقيقة، وسأتحدّث مع مسؤول الصفّ عن ألفاظك البذيئة. أنت تعرفين بأنّ السباب ممنوع، نادين، وما زلت تخرقين القاعدة. فلنخرج ونناقش هذا الأمر، ما رأيك؟

يسير المعلّم نحو الباب، ويترك نادين واقفة عند مكتبه. فتتبعه إلى الخارج. فيغلق الباب خلفهما.

المعلّم أنور: حسناً نادين. لديك الآن احتجاز لمدة عشرين دقيقة معي وإحالة لحيازتك على سجائر. أنت تعرفين بأنّ السجائر ممنوعة في المدرسة، شأنها شأن الشتائم. أريدك أن تسلميني العلبة على الفور، لو سمحت.

نادين: كلا. [ولكنّها بدأت تهدأ].

المعلّم أنور: أصغي إليّ نادين. الخيار لك. إمّا أن تتعاوني معي أو ستجبرينني على إرسالك إلى نائب المدير حالاً. أهذا ما تريدين؟

نادين: كلاّ.

المعلّم أنور: إذاً أعطيني السجائر، ولنعد إلى الصفّ ونتابع الدرس.

يمدّ يده. فتعطيه نادين العلبة.

المعلّم أنور: جيّد. عودي إلى الصفّ ولا أريد رؤية سجائر بحوزتك مرّة ثانية، مفهوم نادين؟

تعليق على المثال الجيّد

إنّها حادثة دقيقة. فامتلاك التلميذتين للسجائر فيه خرق خطير للنظام. إلاّ أنّ المعلّم مضطرّ للعمل معهما في المستقبل، ويشعر أنّه من الأهمية بمكان أن يكون على علاقة جيّدة معهما. لاحظ كيف يحافظ على هدوئه وروحه المرحة طيلة المواجهة. فما إن تبدأ المشكلة، حتّى يتدخّل بالطلب من الفتاتين المجيء إليه. لحسن الحظّ، تدرك ناديا أنّه جدّي، وتشجّع نادين على الانصياع لما يقوله.

يقدّم المعلّم مخرجاً لنادين حين يخبرها أنّها إن أعطته السجائر لن يصعّد المشكلة أكثر من ذلك. ولكنّ نادين تبدأ بشتمه على الفور. فيقابلها بالهدوء لا بل ويُضحك الصفّ حين يشير إلى إهانة نادين. ويحذّر نادين من أنّها إن شتمت مجدّداً ستعاقَب. ثمّ يتعامل مع ناديا، الأقلّ ميلاً إلى المواجهة والتي توافق على طلبه. وبعد أن تعود ناديا إلى مكانها، يتعامل مع نادين على انفراد.

مع الأسف، تعاود نادين الشتم، فيضطرّ المعلّم إلى تنفيذ العقاب الذي هدّد به. كما يخبرها أنّ عليه إحالة المسألة إلى المسؤول عن الصفّ. كان بحاجة إلى إبعادها عن الصفّ لكي يعزلها عن جمهورها. وبتوجّهه نحو الباب يترك نادين بمفردها، فتضطرّ إلى اللحاق به عوضاً عن أن تبدو حمقاء وهي واقفة في مكانها أمام الصفّ. في الخارج، ينجح المعلّم في تهدئة الأمور، فيلخّص الصورة ويشرح ما سيحدث إن رفضت نادين التعاون معه.

لاحظ كيف يتحدّث المعلّم طيلة المواجهة بنبرة هادئة وخالية من التهديد. وحين يضطرّ إلى فرض العقاب، لا يجعله يبدو شخصيّاً. بل يحرص على أن يكون قرار الانصياع للأوامر أو عدمه بيد نادين، ما سيحدّ من حجم الأذى الذي سيلحق بعلاقتهما.

مثال سيّئ

رأى المعلّم نادين تمرّر سيجارة لصديقتها خلال الحصّة. ففضّل تجاهل الأمر عوضاً عن الدخول في مواجهة معها، ولكنّ نور رأتها وأخبرت المعلّم.

نور: معلّم! رأيت نادين تعطي ناديا سيجارة!

نادين: اصمتي أيتها البلهاء!

ناديا: وإلاّ فسنريك بعد انتهاء المدرسة!

المعلّم أنور: لا تكونا بهذه الفظاظة أيّتها الفتاتان. وهل لكما أن تعطياني السجائر؟ تعلمان أنّها ممنوعة في المدرسة. أنتما محتجزتان معي بعد انتهاء الحصّة. وسأتّصل بأهلكما اليوم.

ناديا: هذا ليس عدلاً، يا أستاذ! أنا لم أفعل شيئاً!

المعلّم أنور: اهدئي ناديا وتابعي عملك.

نادين: يمكنك الاتّصال بأبويّ، فهما يعلمان أصلاً بأنّني أدخّن. لا آبه لما تفعله أيّها ******!

المعلّم أنور: ماذا قلت؟

نادين: *******!

المعلّم أنور: [وهو يصرخ]. حسناً أيّتها الشابّة! أنت في ورطة! أنت محتجزة معي لمدّة ساعة بعد الحصّة. تعالي إلى هنا وأعطيني السجائر!

نادين: دعني وشأني أيّها ******!

المعلّم أنور: كيف تجرؤين! [يتوجّه نحوها]. أعطيني السجائر حالاً وإلاّ...!

نادين: كفى! لن أعطيك السجائر أيّها الأحمق ****!

المعلّم أنور: [وهو يصرخ في وجهها]. اخرجي حالاً! ولا تعودي إلى هنا!

نادين: [تنهض وتصرخ في وجهه]. سأخبر أمّي بما فعلته! لا يمكنك التحدّث إليّ بتلك الطريقة أيّها ****** ***** ******! [وتخرج مسرعة].

تعليق على المثال السيّئ

تنتهي هذه المواجهة بشكل مختلف تماماً عن المثال الأوّل، ومن غير المرجّح أن يتمكّن المعلّم أنور ونادين من إصلاح علاقتهما. ومن المرجّح أيضاً أنّ نادين قد وقعت الآن في ورطة كبيرة. فالخطأ الأول الذي وقع فيه المعلّم هو التحدّث مع التلميذتين أمام الصفّ بأكمله، من مكانه، عوضاً عن أن يطلب منهما المجيء إليه. وعاقبهما على الفور وأخبرهما أنّه سيتّصل بأهلهما. وحين احتجّت ناديا، أسكتها من دون مناقشة.

شتمته نادين، فارتكب الخطأ الكلاسيكي حين سألها "ماذا قلت؟" وكانت مسرورة بالطبع لتكرار الإهانة! ففقد المعلّم أعصابه، وبدأ بالصراخ، ما صعّد المشكلة بالطبع. ومن دون أيّ تحذير، زاد مدّة احتجازها لساعة، وظلّ يتوقّع منها إعطاءه السجائر.

انتقل المعلّم الآن إلى المجال الشخصي وراح يهدّد نادين ويصرخ في وجهها. وبالنسبة إلى تلميذة ميّالة إلى المواجهة، لن تؤدّي هذه الطريقة العدوانية في التعامل مع المسألة سوى إلى انفجارها في وجه معلّمها. فتشتمه مجدّداً. وحين يطردها من الصفّ، تغادر مع إطلاق تهديد واتّهام بسوء المعاملة.

الأداة الخطرة

السنّ: الصفّ الثالث

تفاصيل المشكلة: تم تحذير رياض في مرّات سابقة من اللعب بالمقصّ. وتحدّث الصفّ عن سبب خطورة هذا السلوك. ولكن، ما زال رياض يميل إلى التلويح بالمقصّ على نحو خطر، وقد سبق أن قصّ شعر وملابس أحد الأولاد.

مثال جيّد

رياض يحمل مقصّاً ويهدّد بقصّ شعر لينة. فبدأت بالبكاء.

لينة: آنسة! آنسة! رياض يريد قصّ شعري! امنعيه من ذلك!

رياض: أنا أمزح وحسب، آنسة. لن أقصّ شعرها.

الآنسة منى: لينة، هل يمكنك الذهاب وإخراج المشروبات لوقت الاستراحة؟ ممتاز، شكراً جزيلاً لينة. [تذهب لينة لوضع المشروبات]. والآن رياض، أريدك أن تعطيني المقصّ حالاً. هاته. [تمدّ يدها لأخذه].

رياض: آه آنسة! هذا ليس عدلاً. لم أكن أفعل شيئاً به. أحتاجه لقصّ الخرائط.

الآنسة منى: رياض، أعطني إيّاه فوراً، من فضلك.

رياض: [يبدأ بالغضب]. لن أفعل. لا أستطيع القيام بعملي من دونه.

الآنسة منى: [تصفّق بيديها]. حسناً! أريدكم أن تتوقّفوا جميعاً عن العمل وتنظروا إليّ. انظروا إليّ وأنصتوا من فضلكم!

يترك التلاميذ الخرائط والمقصّات وينظرون إلى المعلّمة. هي الآن تتجاهل رياض عمداً.

الآنسة منى: حسناً! سأعطيكم تحدّياً لأرى مدى ذكائكم. أريدكم أن تمزّقوا الخرائط بأيديكم، وسنرى خريطة من ستكون الأفضل. وسيحصل الفائز على نجمة ذهبية وملصق من اختياره! سأحدّد الوقت، لديكم عشر دقائق لإنهاء العمل. استعداد، انطلقوا!

حين نظرت إلى رياض، كان قد بدأ بتمزيق خريطته بيده. فأخذت منه المقصّ بسرعة من دون أن يلاحظ.

تعليق على المثال الجيّد

هنا أيضاً كان تدخّل المعلّمة السريع حيويّاً لتفادي تطوّر المشكلة. ولو تركت رياض وشأنه، لكان من المحتمل أن يقصّ شعر لينة فعلاً. فكانت خطوتها الأولى هي إلغاء لينة من المعادلة وتقديم بديل مثير لاهتمامها. وهذا ما منع لينة من الاستمرار بالبكاء. ثمّ طلبت من رياض إعطاءها المقصّ، ولكنه أجاب بأنّه يحتاج إليه لإتمام عمله، وهذا صحيح. وحين أدركت المعلّمة ذلك ورأت أنّه قد يصبح عدوانيّاً إن ألحّت عليه، قرّرت تغيير خطّتها.

في هذه السنّ، من السهل صرف انتباه الأولاد، وهذا ما قرّرت فعله. فتجاهلت رياض، وصرفت انتباهها عنه، وجذبت انتباه الصفّ عوضاً عن ذلك. ثمّ طرحت لهم تحدّياً لا يحتاج إلى استعمال

المقصّات على الإطلاق. وجعلت المسابقة أكثر إثارة بإضافة مكافأة تعرف بأنّها ستعجب رياض؛ نجمة ذهبية وملصق. حين نظرت إليه، كان منهمكاً بإنجاز العمل فتمكّنت من سحب الأداة الخطرة عن طاولته. ويمكن للمعلّمة التحدّث أكثر مع رياض عن خطر استعمال المقصّ مرّة أخرى.

مثال سيّئ

رياض يحمل مقصّاً ويهدّد بقصّ شعر لينة. فبدأت بالبكاء.

لينة: آنسة! آنسة! رياض يريد قصّ شعري! امنعيه من ذلك!

رياض: أنا أمزح وحسب، آنسة. لن أقصّ شعرها.

الآنسة منى: رياض، سبق أن طلبت منك ذلك وها أنا أطلبه مجدّداً. هل لك بالتوقّف عن اللعب بالمقصّ؟ أنت تعرف بأنّه خطر. وأنتِ لينة. لا تكوني سخيفة، توقّفي عن البكاء، فهو لم يؤذك، أليس كذلك؟

رياض: آه آنسة! هذا ليس عدلاً. لم أكن أفعل شيئاً به. أحتاجه لقصّ الخرائط.

الآنسة منى: أعطني المقصّ فوراً، رياض، وإلاّ منعتك من المشاركة في النشاط.

رياض: [يبدأ بالغضب]. لن أفعل. هذا ليس عدلاً. لا أستطيع القيام بعملي من دونه.

الآنسة منى: [وهي تصرخ]. رياض! أعطني المقصّ وإلاّ لن تخرج إلى الملعب اليوم!

راح كلّ من رياض ولينة يبكيان. أمّا بقيّة الصفّ فتوقّف عن العمل لمشاهدة ما يحدث.

الآنسة منى: انظرا ماذا فعلتما الآن، أيّها الولدان السخيفان! اصمتا فوراً وعودا إلى العمل!

رياض: أنا أكرهك!

الآنسة منى: وأنا أيضاً رياض! اخرج من الصفّ وقف خارج غرفة الناظر. [تنفجر غاضبة]. آه، لينة، توقّفي عن البكاء!

تعليق على المثال السيّئ

هذه المرّة، عوضاً عن إخراج لينة من الصورة، تتّهمها المعلّمة بأنّها سخيفة، وهي تهمة غير عادلة. وحين يرفض رياض الانصياع لأوامرها، تغضب بسرعة، وتبدأ بالصراخ عوضاً عن الحفاظ على هدوئها والتعامل مع المشكلة بشكل عقلاني. فتهدّد رياض من دون تحذير بأنّه سيخسر وقت اللعب ولا تأخذ شكواه بجدّية حول عدم قدرته على إتمام العمل من دون المقصّ.

وحين يبدأ بقيّة الصفّ بمشاهدة ما يحدث، تنعت المعلّمة الولدين بالسخيفين وتطلب منهما السكوت. وهذه الفظاظة تؤزّم الأمور من دون شكّ، فيجيبها رياض بأنّه "يكرهها". غير أنّها تتصرّف بمزيد من الفظاظة ولا تحلّ المشكلة سوى بإرسال رياض إلى مكتب الناظر. فكانت ردّة فعلها مبالغة تجاه مسألة من الممكن حلّها ببساطة. فوجدت نفسها أمام صفّ منصرف تماماً عن عمله، وتلميذة غارقة بالبكاء.

القسم السادس

حين تتأزّم الأمور...

17 - حلّ المواجهات

لِمَ تنشأ المواجهات؟

ثمّة أسباب عديدة ومعقّدة لنشوء المواجهات. ويكون السبب في بعض الأحيان خارجاً تماماً عن سيطرتك، كأن يصل أحد الأولاد إلى صفّك في حالة من التوتّر والإجهاد بحيث لا يمكنك فعل شيء أكثر من احتواء المشكلة. فبعض الأولاد يحملون على كاهلهم هموماً ثقيلة؛ حالات وحوادث رهيبة يعانون منها خارج إطار المدرسة وتجعلهم أكثر قابلية للانفجار. بعضهم تأثّر بأهله أو أولياء أمره الذين يستجيبون للمشاكل على نحو انفعالي. لذا من الأهمية بمكان عند الإمكان، وضمن حدود السرية، أن تكوّن فكرة عن نوع الحياة المنزلية التي يعيشها تلاميذك. هكذا تصبح أكثر إدراكاً لظروفهم الخاصّة بحيث تستخدم المرونة التي تحدّثنا عنها في البداية.

في بعض الأوقات، يساهم المعلّم مباشرة في المواجهة. ومع أنّه ليس المذنب إن فقد التلميذ السيطرة على نفسه، إلى أنّ تصرّفه يساعد على تفاقم المشكلة أحياناً. بالتالي، أثناء سعيك لتحسين سلوك تلاميذك، من الأهمية بمكان أن تفهم كيف تساهم في نشوء المواجهات، لكي تتمكّن من تفاديها عند الإمكان. وفي ما يلي بعض الطرق التي يساهم فيها المعلّم في نشوء المواجهة.

- *مزاج المعلّم:* حين تكون سيّئ المزاج، من شأن مزاجك أن يتسرّب إلى جميع من في الغرفة ويضعهم في حالة ذهنيّة سلبيّة. وقد تكون صعب الإرضاء أو عنيداً مع تلاميذك وتنتج بذلك جوّاً من التوتّر والغضب.
- *شعور بالظلم:* الأولاد حسّاسون جدّاً تجاه تعرّضهم للظلم الفعلي أو غير المقصود. أنت تشعر على الأرجح بأنّك عادل تماماً. ولكن من السهل لمشاعرك الشخصيّة تجاه تلاميذك أن تنعكس بشكل لا واعٍ على طريقة تعاملك معهم.
- *سوء التفاهم:* في بعض الأحيان، نتّهم الولد أو الصفّ بسوء السلوك خطأً. على سبيل المثال، رأيت مرّة بعض التلاميذ يمرّرون ورقة لبعضهم في آخر الصفّ. وحين طلبت رؤيتها، رفضوا إعطائي إيّاها. ثمّ تبيّن لاحقاً أنّهم يوقّعون على بطاقة شكر لي.
- حدوث *المواجهات أمام الصفّ:* حين يتحدّث المعلّم إلى تلميذ فظّ أمام الصفّ بأكمله، فهو يهيّئ لحدوث مواجهة معه. فبينما يتراجع بعض التلاميذ في هذه الحالة، ثمّة من يعجز عن التراجع أو يرفضه، فيتورّط في مشادّة كلاميّة مع المعلّم.
- عدم *الثبات:* حين يكون المعلّم غير ثابت فإنّه ينتج شعوراً بالظلم لدى تلاميذه وتتوتّر علاقتهم به. فربّما كان يطبّق الأنظمة بطريقة مختلفة عن الباقين أو يغيّر توقّعاته بين يوم وآخر.

- *الحكم المسبق على التلميذ أو الصفّ:* ما إن يكسب التلميذ سمعة معيّنة حتّى يصبح من الصعب تغييرها. وقد يصف بعض المعلّمين صفّاً ما بأنّه صعب المراس. ولكن حين يقابل المعلّم التلميذ أو الصفّ ولديه أحكام وتوقّعات مسبقة، فهو لا يعطي التلاميذ الفرصة لإثبات أنفسهم. ومن شأن هذا أيضاً أن يوجِد شعوراً بالظلم وأن يؤدّي إلى توتير العلاقة بالمعلّم ووقوع المواجهات.

كيف تتجنّب المواجهات

من المستحسن عند الإمكان تجنّب الدخول في مواجهات مع التلميذ من الأساس، فهي لا تؤدّي سوى إلى الإضرار بعلاقة المعلّم بتلاميذه. إضافة إلى ذلك، ثمّة دوماً احتمال خروج المواجهة السلبية عن السيطرة وتحوّلها إلى مواجهة جسدية.

تطرأ المشاكل خصوصاً حين يكون المعلّم متعباً ومتوتّراً. وحين يتلفّظ التلميذ بالشتائم أو يتصرّف على نحو غير لائق على الإطلاق، من السهل مواجهة سلوكه بالطريقة العدائيّة نفسها، فتتصاعد المشكلة. وتجنُّب المواجهة لا يعني بأنّك تتهرّب من التعامل مع المسألة، بل أنّك تقاربها بطريقة عقلانية. عندما تتعامل مع تلميذ ميّال إلى المواجهة، حاول استعمال التقنيات التالية.

- *كن معلّما تأكيديّاً، واثقاً وثابتاً:* حين يتعامل المعلّم مع تلاميذه على نحو فاعل وتأكيدي طيلة أو معظم الوقت، سيكون مستوى التوتّر لديه منخفضاً.
- *كن مدركاً لحالتك النفسية:* حين تكون متعباً أو متوتّراً، كن واعياً لمدى تأثير ذلك على طريقة تعاملك مع الصفّ. قلّص من مستوى التوتّر المحتمل عبر جعل النشاطات الدراسية بسيطة ومراقبة. واحرص على أخذ استراحات، ومغادرة المدرسة في الوقت المحدّد للحصول على الراحة.
- *أجرِ المحادثات الصعبة على انفراد:* تعلّم التحدّث مع التلاميذ ومعاقبتهم على انفراد لكي لا تعطيهم فرصة استغلال الجمهور.
- *تدخّل باكراً:* كن مستعدّاً للتدخّل عند أولى إشارات المشاكل، حالما يبدأ الجدال أو تشعر بأنّ أحد التلاميذ مستاء.
- *تعلّم متى تتجاهل سوء السلوك الطفيف:* تعلّم بالمقابل متى تتجاهل بكلّ بساطة السخافات عوضاً عن السماح للتلميذ الذي يسعى إلى جذب الانتباه بأن يحقّق مبتغاه.
- *ارفض الدخول في جدال عقيم مع التلاميذ:* يحبّ بعض التلاميذ جرّ المعلّمين في جدالات عقيمة بهدف إضاعة الوقت أو تبرئة أنفسهم من ذنب معيّن. احرص على عدم الانجرار إلى ذلك لأنّه من دون جدوى ولا يؤدّي سوى إلى توتّر غير ضروريّ. تذكّر: "كن منطقيّاً ولكن لا تتبع منطقهم".

- *غيّر الموضوع:* استعمل تقنية صرف الانتباه لتجنّب المواجهات المحتملة. فحين يبكي الولد نحاول إلهاءه بما يضحكه أو بالألعاب، وكذلك بتغيير الموضوع تحوّلهم عن أفكارهم العدوانية.
- *أجّل حلّ المسألة لوقت آخر:* في بعض الأحيان يتورّط المعلّم في جدال ويبدو واضحاً بأنّ التلميذ لن ينصاع لقوله، بل يزداد هياجاً أو عدائيّة. في هذه الحالة، من الأفضل تأجيل النقاش إلى وقت آخر، كأن تقول للولد، سنناقش الأمر بعد انتهاء الحصّة.
- *لا تتردّد في الاعتذار حين تخطئ:* إن ارتكبت خطأً، كالتحدّث مع الولد بفظاظة أو عدائيّة لا ضرورة لها، كن متواضعاً ولا تتردّد في الاعتذار. وستحصل بالمقابل على احترام كبير.

كيف تتعامل مع المواجهات

حين تقع المواجهة، يجد بعض التلاميذ صعوبة كبيرة في التراجع. وتقع مسؤولية التعامل مع الوضع بأفضل طريقة ممكنة على عاتق المعلّم. والحلّ المثالي هو بحلّ المسألة بحيث تلحق أقلّ ضرر ممكن بعلاقتك بالتلاميذ، وتضمن في الوقت نفسه سلامة جميع من في الصفّ. ومن شأن المقترحات التالية أن تساعدك على تحقيق ذلك.

- *أزِل المشكلة:* غالباً ما تقع المواجهة حول غرض معيّن، حقيبة أقلام، قرص مدمج، هاتف نقّال، وما إلى ذلك. بالتالي، قم عند الإمكان بإزالة الغرض من المعادلة. واحرص على عدم اللجوء إلى المصادرة من البداية، تجنّباً لتصعيد المشكلة. بل ألحّ على التلميذ أن يضعه في الحقيبة قبل أن تضطرّ لأخذه منه. وفي بعض الأحيان، تضطرّ إلى التخلص من التلميذ نفسه، فتطلب منه الخروج من الصفّ لبرهة ليهدأ. احرص في هذه الحالة على أن يكون التلميذ مراقَباً من قبل مساعد.
- *خذ مشاعر التلاميذ وشكواهم على محمل الجدّ:* يكفي في بعض الأحيان الاستماع إلى التلميذ. اطلب منه وصف المشكلة التي أدّت إلى النزاع وأظهر تعاطفك معه.
- *اعرف متى تطلب المساعدة:* ليس من المخجل أبداً استدعاء الناظر بواسطة تلميذ موثوق به عند اندلاع شجار في الصفّ لكي يساعدك في السيطرة على الوضع، وليكون شاهداً على ما يحدث.
- *حافظ على هدوئك:* من الصعب جدّاً على التلميذ مواصلة التعبير عن غضبه إن لم يكن ثمّة ما يشعله. فإن حافظت على هدوئك طيلة الوقت، سيكون من الأصعب عليهم التصرّف على نحو استفزازي. كما أنّك ستمثّل نموذجاً إيجابيّاً قويّاً لكيفيّة التعامل مع السلوك العدواني.

- *توقّف للحظة:* حين يتأزّم الوضع في الصفّ، يميل المعلّم عادة إلى الاندفاع لحلّه فوراً. عوضاً عن ذلك، فكّر لبضع ثوانٍ، وأعط نفسك الوقت لتهدأ بحيث تتمكّن من حلّ المسائل الصعبة بأفضل الطرق الممكنة.
- *تحدّث بنبرة مهدّئة:* للصوت دور كبير في تهدئة النفوس المتوتّرة. استخدم في سبيل ذلك نبرةِ رتيبة هادئة.
- *لا تستخدم لغة جسدية عدوانية:* كذلك من شأن لغة الجسد غير الاستفزازية أن تساعد على التهدئة. واحرص على عدم الوقوف في مجال التلميذ الشخصي ليس تجنّباً للتوتّر وحسب بل لتحمي نفسك أيضاً من الهجوم الجسدي.
- *استعمل الأسماء تكراراً:* يساعد تكرار اسم التلميذ على لفت انتباهه وقد يتيح لك أيضاً إخراجه من المواجهة. اقرن استخدام الاسم بنبرة رتيبة هادئة.
- *تذكّر: ليست مسألة فوز أو خسارة:* قد يقع المعلّم في فخّ الشعور أنّ عليه ربح المواجهة. والحقيقة أنّ أحداً لا يربح فعلاً، مهما حدث في النهاية. يجب أن يكون هدفك حلّ الخلاف وليس الشعور بالانتصار.
- *ليس عليك أن تنظر في أعينهم:* نحن معتادون على النظر في أعين تلاميذنا ما يدفعنا إلى القيام بالمثل، ونحن نتحدّث إليهم أثناء حلّ المشاكل. غير أنّه من الأفضل في بعض الأحيان التحدّث إلى الولد من دون النظر في عينيه مباشرة. وهذا ما ينطبق خصوصاً على الأولاد الذين ينتمون إلى خلفيّة ثقافية معيّنة، والذين قد يجدون في ذلك نوعاً من القسوة والتهديد.

ما بعد المواجهة

بعد وقوع مواجهة في صفّك، قد تشعر بالتوتّر والانزعاج. وقد تهتزّ ثقتك بنفسك وتشعر بأنّك فشلت نوعاً ما كمعلّم. تفهم المدارس الجيّدة مدى تأثير المواجهات الخطيرة على المعلّم، وهي تقدّم عادة الدعم اللازم لمساعدتك في السيطرة على انفعالاتك. ومن شأن المقترحات التالية أن تساعدك في استعادة السيطرة على نفسك.

- أعطِ نفسك الوقت لتستريح، واطلب من معلّم آخر تغطية حصّتك التالية إن أمكن.
- احصل على الدعم أينما توفّر لك، من المدراء أو النقابة أو المعلّمين الآخرين أو حتّى من خارج المدرسة.
- حاول عدم النظر إلى المشكلة من زاوية شخصيّة. فالولد الذي يتهجّم على الغير لفظيّاً أو جسديّاً، يعاني من دون شكّ من مشاكل خطيرة.

- لا تحقد على التلاميذ، بل اهدف دوماً إلى إعطاء التلميذ فرصة البدء من جديد في المرة التالية التي تعلّمه فيها.

18 - السيطرة على التوتّر

لم أعد أقوى على التحمّل

من شأن التدريس أن يكون مهنة شديدة الصعوبة. فهو مرهق عاطفيّاً، جسديّاً ونفسيّاً، وثمّة أوقات تشعر فيها فعلاً بأنّك لم تعد تقوى على التحمّل. ومهما حاولت جاهداً، لا يبدو لك بأنّك تحرز تقدّماً في تحسين سلوك تلاميذك، وهذا ما يشعرك بإحباط كبير. أنت تصل إلى عملك كلّ يوم لتواجه تلاميذ غير راغبين بالانضباط. وربّما بدأت تخشى المجيء إلى العمل لعلمك بأنّ نهاراً صعباً بانتظارك. في هذه الحالات، من الأهمية بمكان أن تميّز بين الإيجابيّات والسلبيّات المحتومة في مهنة التدريس وعلامات المشاكل الخطيرة. فحين تحدّد ماهيّة المشكلة تماماً، يمكنك بحث الخيارات المناسبة للتعامل معها.

ماهيّة المشكلة

يتطوّر الشعور بعدم القدرة على الاحتمال ببطء أو يداهمك من دون سابق إنذار، حين تستيقظ وتشعر ببساطة أنّك عاجز عن النهوض من السرير والذهاب إلى العمل. في بعض الأحيان تكون المشكلة مؤقّتة، يمكن حلّها ببساطة نسبيّاً. إلاّ أنّها تمثّل في بعض الأحيان مسألة طويلة الأمد يحتاج حلّها إلى تدابير أكثر صرامة. وفي ما يلي بعض الاحتمالات.

التأثيرات الموسميّة

للوقت من السنة تأثير كبير على قدرتك على التعامل مع سوء السلوك. فتكون في أيلول نشيطاً ومليئاً بالطاقة، جاهزاً للتعامل مع كلّ ما يطرأ في صفّك من حوادث. وبالطبع، هذا هو الوقت الذي تحتاج فيه إلى هذه الطاقة الإضافية. فمن المجهد جدّاً لقاء أشخاص جدد، وحفظ أسماء جديدة، وإن كنت جديداً في المدرسة، عليك أيضاً التعرّف على المكان والأنظمة وما إلى ذلك.

مع انتهاء الفصل الأوّل، ينخفض مستوى الطاقة، وتصبح الليالي أكثر ظلمة، والتلاميذ أصعب مراساً. اسأل نفسك، هل شعورك بعدم القدرة على التحمّل هو عارض من أعراض التعب العامّ؟ هل ستبدو الأمور أفضل في بداية فصل جديد بعد أن تكون قد أخذت عطلة، واسترحت وأصبحت جاهزاً لمواجهة تلاميذك مجدّداً؟ في هذه الحالة، حاول أخذ استراحة مناسبة من التدريس خلال عطلاتك. ارفض أخذ أيّ عمل معك إلى المنزل، واذهب في رحلة إلى مكان مشمس، وركّز على إعادة شحن طاقتك. بتلك الطريقة، يمكنك العمل بنشاط أكبر عند العودة إلى المدرسة في الفصل التالي.

الإرهاق

ربّما كنت تشعر بالإرهاق بسبب فرط العمل. فكثرة العمل خارج وقت الصفّ تصعّب على المعلّم عملية التدريس. ومن شأن المشاكل العائلية أو غيرها من الالتزامات أن تضاعف من إجهاد المعلّم وإرهاقه وتضعف قدرته على ضبط سلوك تلاميذه كما يجب. كن حذراً بالتالي في تولّي مسؤولياتك الخارجة عن المنهاج. فمع أنّ هذه النشاطات تشكّل تغييراً مستحبّاً عن التعليم، وفرصة جيّدة لتتعرّف على تلاميذك، إلاّ أنّها تزيد من ساعات عملك اليومية. فأولويّاتك يجب أن تتمثّل في الحفاظ على صحّتك وسلامتك. تعلّم بالتالي أن تقول لا للمطالب الزائدة حين تكون مرهقاً.

المدرسة

بالمقابل، قد تكون المدرسة نفسها هي المشكلة. فللبيئة التي تعمل فيها تأثير كبير على سلوك التلاميذ. هل تعمل في مدرسة ذات أبنية متهالكة تفتقر إلى العناية اللازمة؟ هل تعتبر الروح السائدة في المدرسة ككلّ سلبيّة وميّالة إلى المواجهة؟ هل تفتقد المدرسة إلى استمرارية المعلّمين، والإدارة لا تؤمّن لك الدعم المطلوب؟ وهل تعتبر سياستها السلوكيّة ككلّ غير فعّالة في التعامل مع المسائل التي تواجهها؟ إن أجبت بنعم عن بعض من هذه الأسئلة أو كلّها، فإنّ مدرستك تعاني من سوء السلوك على الأرجح.

إن كانت تلك هي الحال لديك، احرص على طلب دعم موظّفين آخرين في المدرسة. وإن كنت تشعر بأنّ وضعك الشخصي يخرج عن السيطرة وأنّك عاجز عن البدء حتّى بتحسين أوضاع مدرستك، عليك أن تعيد التفكير في موضوع البقاء فيها. فالأهم بالنسبة إليك هو الحفاظ على صحّتك وسعادتك لأنّك لن تكون معلّما ناجحاً إن كنت تشعر بالتعاسة أو تعاني من المرض.

شخصيّتك

يتجاوب الناس بطرق منوّعة مع مختلف الأوضاع. إذ يبدو أنّ بعض المعلّمين قادرون على تجاوز أحداث سوء السلوك ورمي المشاكل خلف ظهورهم والتقدّم إلى الأمام، فيما تؤثّر تلك الأحداث كثيراً على غيرهم ويصعب عليهم محوها من ذاكرتهم. فكثيرون منّا يتورّطون عاطفيّاً في مهنتهم، وهو أمر محتّم حين تعمل مع الصغار، حيث يعيش كثير منهم حياة مضطّربة جدّاً. ولكن إن كنت شخصاً حسّاساً، عليك أن تتعلّم كيف تتعامل مع انفعالاتك، لا سيّما حين تعمل في مدرسة صعبة.

ما هي علامات الخطر؟

في الواقع، إنّ بعضاً من التوتّر هو شيء صحّي، لأنّه يساعدنا في الحفاظ على نشاطنا وحيويّتنا، ويمنعنا من الشعور بالملل. ففي النهاية، ربّما اخترت مهنة التعليم لأنّ الوظائف المكتبية العاديّة تثير فيك الضجر. فالتعليم يطرح كثيراً من التحدّيات المختلفة، وقد يكون من أروع المهن.

بالمقابل، من شأن التدريس أن يكون صعباً جدّاً بالنسبة إلى بعض الأشخاص، ولا عيب في شعورهم بعدم القدرة على تحمّل أعبائه.

التوتّر هو ردّة فعل تجاه حالة صعبة. فحين نشعر بالتوتّر، تفرز أجسادنا كميّات مرتفعة من الأدرينالين. وفي الأساس، يساعد إفراز الأدرينالين على مواجهة حالات "القتال أو الهروب"، التي احتاج فيها أسلافنا أن يكونوا جاهزين للهروب من الخطر أو لقتال حيوان الماموث الشهير. والمشكلة في أيّامنا هذه أنّنا نعاني من فرط التوتّر ونحن نفرز هذه الكمية من الأدرينالين من دون استخدامها.

بصفتك معلّماً، عليك المكوث والتعامل مع الظروف المسبّبة للتوتر عوضاً عن الهروب أو اللجوء إلى القوّة الجسديّة. فإن كانت المشاكل تكثر في مدرستك وكنت شديد التوتّر، من شأن ذلك أن يعرّض صحّتك للخطر. غير أنّ أفضل المهن في العالم لا تستحقّ ذلك. وتختلف أعراض التوتّر من شخص إلى آخر، وهناك أعراض شائعة يمكنك أن تعرف منها ما إذا كنت تعاني من فرط التوتّر في عملك.

الأعراض الجسدية

- *الأرق:* إن كنت تعاني من الأرق، لا سيّما ليلة الأحد، وأنت تحضّر للأسبوع القادم، ربّما كان معدّل التوتّر مرتفعاً لديك. هل تحلم بالصفوف التي تواجه مشاكل معها؟ وهل تتحوّل أحلامك إلى كوابيس لم تعد قادراً على تحمّلها؟
- *الشعور بالغثيان:* إنّ الشعور بالفراغ في تجويف المعدة هو من دون شكّ شائع لدى المعلّمين، لا سيّما من عمل منهم في مدرسة تشتمل على مشاكل سلوكية خطيرة. هل تشعر بالغثيان قبل أن تدخل صفاً صعب المراس؟ أم ينتابك هذا الشعور طيلة الوقت؟ في هذه الحالة، أنت تعاني على الأرجح من فرط التوتّر.
- *تسارع نبض القلب:* إضافة إلى الغثيان، قد تشعر بأنّ قلبك ينبض بسرعة تحت تأثير الأدرينالين. هل يحدث ذلك حين توشك على البدء بالتدريس؟ فتسارع نبض القلب قد يكون هو أيضاً من أعراض التوتّر.
- *تعرّق الكفّين:* إن كان كفّاك يتعرّقان حين تتوتر الأجواء في الصفّ، قد يكون ذلك من علامات فرط التوتّر.

الأعراض النفسيّة

- *فقدان الثقة بالنفس:* حين تشعر بأنّك عاجز عن التعامل مع سلوك تلاميذك، من السهل أن تفقد ثقتك بقدراتك التعليمية. فمن شأن إدراكك لما يحدث في صفّك أن يضطرب فتبدو لك المشاكل أكبر بكثير ممّا هي في الواقع.

- *اتّخاذ موقف دفاعي:* قد تشعر أيضاً بأنّك تصبح دفاعيّاً بشكل زائد وتتوقّع الأسوأ من تلاميذك. وهذا ما من شأنه أن يدفعك إلى اتّخاذ موقف سلبي من عملك وتلاميذك.
- *الانفجار بالبكاء:* غالباً ما رأيت معلّمين (بمن فيهم أنا) يغرقون في البكاء في غرفة المعلّمين أو حتّى في الصفّ. وفي ذلك مذلّة كبيرة بالنسبة إلى المعلّم، نادراً ما تفرضها وظائف أخرى على العاملين فيها. فإن كنت تشعر بأنّك ضعيف وحسّاس على نحو مفرط، تلك على الأرجح من علامات فرط التوتّر.
- *الفظاظة:* من شأن التوتّر أن يدفع المعلمين إلى التصرّف بفظاظة مع بعضهم بعضاً، لا سيّما إن كانوا يتعاملون جميعاً مع تلاميذ مشاكسين. بالتالي فإنّ سوء العلاقات بين معلّمي المدرسة الواحدة قد يشير إلى ارتفاع معدّل الإجهاد لديهم، خلال التفتيش مثلاً أو غيره من الظروف المسبّبة للتوتّر.

ما العمل؟

ما العمل إذاً إن كنت تعاني من التوتّر الزائد وتشعر بأنّ المشاكل السلوكيّة تخرج عن سيطرتك؟ عليك أوّلاً اتّباع النصائح المعطاة في هذا الكتاب. فكثير منها يسهل تطبيقه ويؤدّي إلى فرق كبير من حيث سلوك الأولاد في صفّك. ولكن لا تفقد صبرك بسرعة إن لم تجد نتيجة فورية، لأنّ مفعولها يستغرق وقتاً ليبدأ بالظهور. ومع المثابرة، ستنجح في حلّ مشاكلك بنفسك. في هذه الأثناء، إليك بعض الأفكار عن كيفيّة السيطرة على فرط التوتّر.

استخدم أنظمة الدعم المتوفّرة لديك

تبيّن لي خلال تجربتي المهنيّة أنّ الموظّفين الذين يعملون في المدرسة يدعمون بعضهم بشدّة. استخدم بالتالي جميع أنظمة الدعم المتوفّرة لديك، من مدراء ونظّار ومساعدين، وحتّى الأصدقاء والعائلة. تحدّث عن مشاكلك مع شخص متعاطف، ففي بعض الأحيان، لا يحتاج المرء سوى إلى كتف يبكي عليها أو أذن مصغية ومتعاطفة.

من المفيد أيضاً حضور حصص معلّمين آخرين يمارسون سيطرة جيّدة على صفوفهم. ومع أنّ هذه الفرصة لا تتوفّر سوى للمعلّمين الجدد، إلاّ أنّ المدير قد يسمح لك إن شرحت له أهميّة ذلك. فمراقبة شخص آخر وهو يتعامل مع تلاميذ شبيهين بتلاميذك قد تعطيك أفكاراً مفيدة لاستعمالها في صفّك.

وفي حال راقبت معلّماً قديماً في المدرسة، لا تنسَ أهمية السمعة الحسنة. فإن كنت جديداً، أنت ما زلت تكوّن لنفسك سمعة إيجابية. كذلك، إن راقبت معلّماً يحتلّ منصباً إداريّاً، (رئيس قسم، منسّق، نائب مدير) تذكّر بأنّ لمنصبه تأثيراً على سلوك تلاميذه.

لا تهوّل الأمور

ليس من السهل على المعلّم في المدارس الصعبة المراس أن يرى ما يحقّقه بالفعل. ففي المرحلة الابتدائيّة يكون هو وحده المسؤول عن تعليم الصفّ وما من معلّم غيره يتعامل مع تلاميذه. أمّا في المرحلة الثانوية فليست لديه فكرة حقيقية عن سلوك تلاميذه في الحصص الباقية، وتلك هي المشكلة الكبرى. تذكّر دوماً أنّ الصفّ السيّئ السلوك لا يعكس بالضرورة مؤهّلاتك كمعلّم. تذكّر أيضاً بأنّ العالم لن ينتهي في آخر النهار إن لم يلتزم تلاميذك بالأنظمة السلوكية. حاول تفادي تهويل الحوادث السلوكية وإعطائها حجماً يفوق حجمها الحقيقي. ولا تنسَ أبداً أنّه "حتّى في أسوأ حصصك، لم يمت أحد!"

تفاعل بدماغك

إنّ ردّة فعلنا الغريزيّة تجاه الفظاظة أو العدائيّة تبدأ من عواطفنا، فنحن بشر في النهاية. ولكن انفعال المعلّم يسبّب له التوتّر ويظهر ضعفه أمام تلاميذه. فبعض التلاميذ يحبّون إثارة غضب معلّميهم، وحين ننفعل أمامهم يشعرون بالانتصار. من جهة أخرى، فإن الاستجابة العقلانية تثبت للتلاميذ أنّهم لن يتمكّنوا من الانتصار عليك كما تساعدك على إيجاد طرق لحلّ المشكلة بهدوء وعقلانية.

بالتالي، في كلّ مرّة تشعر فيها بقلبك يتسارع وعواطفك تثور، خذ دقيقة للتفكير بالحالة بعقلك وليس بقلبك. توقّف لبضع ثوانٍ لقطع العلاقة بين استجابتك العاطفية وردّة فعلك الحالية، واستجب بشكل منطقي وليس بحساسية. إليك مثلان عن ذلك.

التلميذ المزعج

يتجوّل ماهر في الغرفة ويسبّب الإزعاج لبقيّة الصفّ كما يرفض العودة للجلوس في مكانه على الرغم من تهديده بالعقاب.

يقول قلبك: *"لَم لا يفعل ما أقول؟ سوف يعتقد زملاؤه أنّني عاجز عن السيطرة عليه. أشعر بالعجز. هذا أنا أغضب. لَم لا تفعل ما أقوله يا ماهر؟!"*

يقول عقلك: "حسناً، هذا التلميذ يرفض تنفيذ ما آمره به، ولكنّها ليست غلطتي، إنّه خياره. ماذا سأفعل حيال ذلك؟ أوّلاً سأحافظ على هدوئي، فهذا مهمّ. بعدها سأحذّره، وإن لم يسمع كلامي، سأنفّذ العقوبات التي أخبرت الصفّ عنها".

الصفّ غير المنضبط

تلاميذك مشاكسون جدّاً، يرفضون أن يهدأوا ويتابعوا عملهم. كما يصدرون ضجّة كبيرة ويرمون طائرات ورقية في أنحاء الغرفة.

يقول قلبك: "النجدة!!! لقد خرجوا عن سيطرتي تماماً! ماذا أفعل!؟ قد يسمعهم أحد النظّار ويعتقد أنّني غير قادر على ضبط صفّي. لن أتمكّن أبداً من تهدئتهم وإعطائهم الدرس! لمَ اخترت

مهنة التدريس في الأساس؟"

يقول عقلك: "حسناً، الأمور لا تسير على ما يرام هنا، ولكنّني لن أصاب بالهلع. أوّلاً لست أنا مخطئاً، التلاميذ هم الذين قرّروا إساءة السلوك. فالجميع يقول بأنّهم مشاكسون. سأحاول فرض العقوبات التي وضعتها، وسأحتجز الصفّ بأكمله إن تطلّب الأمر. سأكتب على اللوح: احتجاز لكلّ الصفّ؟ وأرى ما سيحدث".

استمدّ الشجاعة من النجاحات الصغيرة

حين تشعر بالإحباط، فكّر بالخطوات الصغيرة التي حقّقها تلاميذك والتي تشعرك بالفخر. فعند العمل في مدارس صعبة أو صفوف مشاكسة يعتبر ضبط الأولاد وبقاؤهم في أماكنهم إنجازاً عظيماً. امدح وكافئ نفسك وتلاميذك على تلك الإنجازات. فالتدريس هو عمل معقّد، وكثير من الأشخاص لم يتمكّنوا من تحقيق شيء من التقدّم الذي وصلت إليه. ستصادف على الأرجح تلاميذ يعيشون حياةً بائسة خارج المدرسة، ولكنّ دورك الأساسيّ هو التعليم وليس العمل الاجتماعي. قم بما في وسعك خلال ساعات العمل ولكن اترك المدرسة خلفك حين تعود إلى البيت.

لا تسعَ إلى الكمال

لا يمكنك ببساطة أن تسعى إلى الكمال حين تكون معلّماً. فعملك شديد التعقيد والتنوّع ليكون كاملاً على الدوام. بالتالي، حين تسوء الأمور في حصصك، ابحث عن السبب، ولكن لا ترهق نفسك بفرط تحليل الوضع. فإن قرّر أحد التلاميذ عدم متابعة الدرس، ابذل جهدك، ولكن لا تلم نفسك. فما دمت تبذل ما في وسعك مع تلاميذك، فأنت تقوم بعملك. ولا جدوى من البكاء على ما وقع، خذ عبراً ودروساً وتطلّع دوماً إلى الأمام.

استرِح أحياناً

لا عيب في أن تسهّل الأمور على نفسك أحياناً، لا سيّما إن كنت تعمل مع أولاد مشاكسين يوميّاً. لذا قم من وقت إلى آخر بأخذ استراحة، عبر عرض فيلم فيديو للتلاميذ أو أخذهم إلى قاعة الحواسيب.

اعتنِ بصحّتك

إن كنت تعاني من توتّر كبير، استشر الطبيب. فربّما كنت مريضاً وتحتاج إلى الاستراحة إلى أن تشفى. لا يجب أن تخجل من أخذ إجازة مرضيّة. فالتدريس ليس بالمهنة السهلة، ولن تتمكّن من إعطاء أفضل ما عندك إن كنت تعاني من التوتّر والتعب. فلتكن صحّتك إذاً على رأس أولويّاتك.

ترك المهنة!؟

في مرحلة معيّنة، عليك أن تسأل نفسك ما إذا كنت تودّ الاستمرار بالعمل في مدرستك أو في مهنة التدريس نفسها. وهذا خيار شخصي لا يعني سواك، إلاّ أنّه يحتاج إلى تفكير طويل. فربّما

خاب أملك في مدرستك الحالية وتغيير مكان العمل سيعيد إليك اهتمامك بالتدريس مجدّداً. القرار يعود إليك وحدك.

في حال قرّرت تغيير المدرسة أو تغيير المهنة، أتمنّى لك مستقبلاً ناجحاً. ولكن لا تنسَ بأنّ المعلّمين يحدثون فرقاً كبيراً في حياة تلاميذهم جميعاً. فثمّة كثير من التلاميذ المجتهدين الذين يحتاجون إلى خبرتك ومساعدتك. كما أنّ تلاميذك السيّئي السلوك بحاجة ماسّة إلى عنايتك واهتمامك ليسيروا في طريق النجاح، مهما أثاروا أعصابك. اتبع بالتالي النصائح المقترحة في هذا الكتاب، تجنّب الغضب، وأعدك بأنّك سوف تنجح في ضبط تلاميذك!